العرفان الإسلامي

سماحة آية الله
الشيخ حسين أنصاريان

ترجمة
كمال السيد

دار أحياء التراث العربي

مكتبة
هؤهن قريش

العرفان الإسلامي

العرفان الإسلامي

تأليف

سماحة آية الله الشيخ حسين انصاريان

ترجمة

احمد وهب

الجزء الحادي عشر

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٥ م

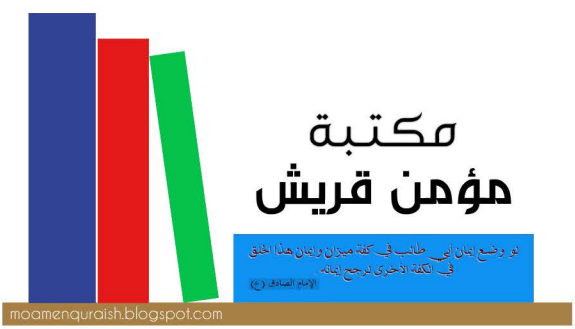

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing &Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان الجديد

دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ طريق المطار ـ خلف أوتيل الغولدن بلازا ص.ب: ١١/٧٩٥٧
الرمز البريدي: ١١/٠٧٢٢٥٠ ـ هاتف : ٠٠٩٦١١٤٥٥٥٥٩/ ٠٠٩٦١١٤٥٢٤٦٩ / فاكس: ٠٠٩٦١١٨٥٠٧١٧
Beyrouth –Lebanon—Airport Road –Behind Golden Plaza—P.O:11/7957—Postal Code:-11/072250 Tel:009611455559 – 009611452469 -- Fax : 009611/850717
Email:darturath2012@hotmail.com www.dartourath.com

الباب

(٦٤)

في آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قالَ الصّادِقُ عليه السلام:

مَنْ لَمْ يَنْسَلِخْ مِنْ هَواجِسِهِ[1] وَلَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْ آفاتِ نَفْسِهِ وَشَهَواتِها وَلَمْ يَهْزِمِ الشَّيْطانَ وَلَمْ يَدْخُلْ في كَنَفِ اللّهِ وَتَوْحيدِهِ وَأَمانِ عِصْمَتِهِ لايَصْلُحُ لِلأَمْرِ بِالْمَعْروفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لأَنَّهُ إذا لَمْ يَكُنْ بِهذِهِ الصِّفَةِ فَكُلَّمَا أَظْهَرَ يَكُونُ حُجَّةً عَلَيْهِ وَلا يَنْتَفِعُ النّاسُ بِهِ. قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[2]. وَيُقالُ لَهُ: يا خائِنُ أَتُطالِبُ خَلْقي بِما خُنْتَ بِهِ نَفْسَكَ وَأَرْخَيْتَ عَنْهُ عِنانَكَ؟.

رويَ أنَّ أبا ثَعلَبَةَ الخُشَنِيَّ سَأَلَ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله عَنْ هذِهِ الآيَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[3]. قالَ صلى الله عليه وآله: وَاؤمُرْ بِالْمَعْروفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ حَتّى إذا رَأَيْتَ شُحّاً مُطاعاً وَهَوىً مُتَّبَعاً وَإِعْجابَ كُلِّ ذي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعامَّةِ.

وَصاحِبُ الأمرِ بالمعروفِ يَحْتاجُ أَنْ يَكُونَ عالِماً بِالْحَلالِ وَالْحَرامِ فارِغاً مِنْ خاصَّةِ نَفْسِهِ مِمّا يَأْمُرُهُمْ بِهِ وَيَنهاهُمْ عَنْهُ ناصِحاً لِلْخَلقِ رَحيماً بِهِمْ رَفيقاً داعِياً لَهُمْ بِاللُّطْفِ وَحُسْنِ الْبَيانِ، عارِفاً بِتَفاوُتِ أَحْلامِهِمْ لِيُنْزِلَ كُلاًّ مَنْزِلَتَهُ، بَصيراً بِمَكْرِ النَّفْسِ وَمَكايِدِ الشَّيْطانِ، صابِراً ما يَلْحَقُهُ، لا

١ـ وردت في نسخة عبدالرزاق اللاهيجي: « هوى حِسِّهِ ».

٢ـ البقرة ٢: ٤٤.

٣ـ المائدة ٥: ١٠٥.

يُكافِئُهُمْ بها وَلايَشْكُو مِنْهُم وَلا يَسْتَعْمِلُ الْحَمِيَّةَ وَلا يَتَغَلَّظُ لِنَفْسِهِ مُجَرَّداً بِنِيَّتِهِ لِلّهِ تَعالى، مُسْتَعيناً بِهِ وَمُبْتَغياً لِثَوابِهِ، فإنْ خالَفُوهُ وَجَفَوْهُ صَبَرَ وَإنْ وافَقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ شَكَرَ، مُفَوِّضاً أَمْرَهُ إلى اللّهِ تَعالى ناظِراً إلى عَيْبِهِ.

«مَنْ لَمْ يَنْسَلِخْ مِنْ هَواجِسِهِ وَلَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْ آفاتِ نَفْسِه وَشَهَواتِها وَلَمْ يَهْزِمِ الشَّيْطانَ وَلَمْ يَدْخُلْ في كَنَفِ اللّهِ وَتَوْحيدِهِ وأَمانِ عِصْمَتِهِ لايَصْلُحُ لِلأَمْرِ بِالْمَعْروفِ وَالنَّهْي عَنِ الْمُنْكَر»

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يشير الإمام الصادق عليه السلام في هذا المقطع إلى مسألتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المهمتين، فهما بمثابة الروح للجسم والشمس للكائنات الحية بالنسبة إلى الحياة المعنوية والتربوية للفرد والأسرة والمجتمع.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان عقليان في منظار العقل، وهما واجبان شرعيان في ساحة الفقه، وواجبان اجتماعيان وإنسانيان في دائرة المجتمع.

ولولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لما كان هناك اليوم من أثر على سطح الأرض من المعارف الإلهية الهادية إلى السعادة.

فأهل الله كانوا في بعض الأوقات ورغم علمهم بما يلحقهم من ضرر مالي وأحياناً ضرر نفسي من جراء القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنهم كانوا يسعون بكل جهدهم وطاقتهم لإقامة هاتين الحقيقتين، وذلك بسبب أهمية

هذين الأصلين الإلهيين اللذين سميا خطأ بالفرعين، ولم يكونوا يسمحون للخوف من أي قوة ليتسلل إلى نفوسهم.

الهدف من بعثة الأنبياء:

لقد كان الهدف من بعثة الأنبياء وإمامة الأئمة تربية الناس وتهذيب الإنسان وإيصاله إلى الكمال، ولم يأل أنبياء الله العظام وعشاق حضرة المعبود أي جهد أو سعي في هذا السبيل، ولم يكن لهم مطمع أجر من الناس على ذلك سوى توجههم إلى الواقعيات الإلهية، ووصولهم إلى خير الدنيا والآخرة.

«فَإِنَّ اللّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِالحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبادَهُ مِنْ عِبادَةِ عِبادِهِ إِلى عِبادَتِهِ ومِنْ عُهُودِ عِبادِهِ إِلى عُهُودِهِ وَمِنْ طاعَةِ عِبادِهِ إِلى طاعَتِهِ وَمِنْ وِلايَةِ عِبادِهِ إِلى وَلايَتِهِ»[1].

وهذا الهدف المقدس ـ وهو تحرير الإنسان من جميع قيود هوى النفس الطاغوتية والطواغيت والشياطين والحكام ـ لم يكن من الممكن له البقاء والدوام لولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ورغم أن دوام هاتين الحقيقتين كان من خلال تقديم أثمان باهظة، ولكن عشاق حضرة المحبوب لم يرفعوا أيديهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك فقط وفقط من أجل الله ومن أجل إبقاء أهداف الأنبياء والأئمة حية، وكذلك من أجل حرية الإنسان، وقد قاوموا وصمدوا في هذا السبيل أمام الأضرار المالية والنفسية التي لحقت

١ـ الكافي: ٣٨٦/٨، خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، الحديث ٥٨٦؛ بحار الأنوار: ٣٦٧/٧٤، باب١٤، حديث ٣٤.

بهم، وتعرضهم للسجن والتبعيد، وذلك كي يصل دين الله اليوم إلى أهل الأرض، ويصل غداً إلى أهل الأرض أيضاً.

إن مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الإلهية تقع على عاتق جميع المسلمين أعم من الرجال والنساء، ومن بركات هاتين الواقعبتين تحصين المجتمع أمام جميع ألوان التلوث، وفتح طريق التحلي بالحسنات أمام جميع الناس.

وعلى جميع المسلمين سواء الرجال أم النساء أن يلتفتوا إلى هاتين الحقيقتين مثل الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام والأولياء والعشاق، ولايتقاعسوا لحظة عن أداء هذين التكليفين، فإن ضرر تعطيل هاتين الوظيفتين لايمكن جبره.

وقد أولى القرآن المجيد والروايات والأخبار أهمية كبيرة لهذين الواجبين الإلهيين.

كما أن المجتمع الذي لاوجود للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه يكون مجتمعاً لاروح فيه، وحياة ذلك المجتمع تكون حياة إبليسية، ويكون أفراد ذلك المجتمع فاقدين للقيمة والكرامة.

إن أتقياء طريق الحق ورغم اطمئنانهم ويقينهم بلزوم تضحيتهم بأرواحهم وأموالهم في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنهم سيواجهون ألوان المتاعب والمشكلات، فإنهم لم يكونوا يتراجعون عن أداء هذين التكليفين، وكانوا يسعون بتمام قدرتهم وجهدهم من أجل إعلاء كلمة الحق، وكانوا يصرخون بكل وجودهم في وجه العصاة والغافلين والجاهلين.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في بداية هذه الرواية بأن كل من لم يتخلص من آفاته النفسانية وهواجسه الداخلية ومهلكاته الباطنية، ولم يُنج نفسه من الرذائل ويزينها بالحسنات الإلهية، ولم يطرد الشيطان الرجيم من نفسه، ولم يدخل في كنف حماية الحق ودائرة التوحيد الشريفة، وأمان عصمته والذي هو الإيمان القوي والعمل الصالح والتقوى من المحرمات، فإنه لايصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فعلى الإنسان نصيحة نفسه ابتداءً، وإصلاح باطنه وظاهره، ومن ثم القيام بهاتين الوظيفتين، لأن العصاة والمذنبين لايستطيعون ترك التأثير المطلوب عند الآخرين، وإن كانوا قد يكونون موقع العبرة والاتعاظ عند أهل القلوب، كما نقل عن لقمان الحكيم، ذلك الإنسان الحرّ اليقظ، عندما سئل: ممن أخذت الأدب؟ فأجاب: ممن لاأدب لهم، حيث رأيت الناس ينفرون من أفعالهم وأقوالهم، فاجتنبت تلك الأفعال والأقوال!.

إصلاح النفس:

لقد كانت مسألة الصلاح والسداد، وإصلاح النفس وتهذيب الباطن، مورد اهتمام أهل يقظة طريق الحق منذ القديم، فقد كانوا اعتماداً على المعارف الإلهية يرون أن طريق الوصول إلى معراج الإنسانية هو تهذيب النفس.

فالنفس إذا لم يتم إصلاحها، فإنها تسوق الإنسان إلى جميع الذنوب والمعاصي، وتتبدل إلى باب يفتح إلى جهنم.

إننا إذا أهملنا النفس، ولم نعمل على تزكيتها وتهذيبها، فإنها تصبح مثل تنور جهنم لايشبعها شيء، ولايسكت صراخها: هل من مزيد.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[١].

نعم، فالنفس إذا لم يتم إصلاحها ولم تقع ضمن دائرة التزكية والتهذيب، فإنها تكون مثل جهنم لايشبعها شيء، ولايملأ معدتها بلايين المعاصي، ويبقى دوي صراخها: هل من مزيد، يصم آذان العالم حتى آخر لحظة من العمر.

لاتتاجروا بالنفس مع غير الله، ولاتخرجوا هذه الحقيقة الوجودية من مدار الحق، ولاتلوثوا الروح القدسية والملكوتية لوجودكم بظلمة المعصية والغفلة، فإن أضرار ذلك لايمكن جبره لافي الدنيا ولافي الآخرة.

يقول الحكيم الجليل «إلهي قمشه اي»:

إن الطهارة وصفاء القلب هما السبب للوصول إلى قصور الجنة والإحسان والعلم هما سبب السعادة، والسوء إنما يصدر من السيئين، فلن يجزيك هو عن السُكَّر سماً، وكل هذا الانشغال الذي أنت فيه هو من أجل البدن بينما أنت في غفلة عميقة عن أمر تهذيب الروح، إن الجسم إذا أصبح وسخاً فإنه يتم غسله بالماء النظيف بينما الروح إذا أصبحت ملوثة فلابد من غسلها بنَفَسٍ طاهر، قد غسلت الجسم والبدن في الماء فأصبح نظيفاً ولكن أين ستذهب بالروح القذرة فياحسرة.

اتباع هوى النفس:

١- ق ٥٠: ٣٠.

يقول صاحب كتاب «**الإنسان الكامل**»:

أيها الزاهد! إن الكثير من الناس لهم صورة ابن آدم، ولكنه ليس فيهم معنى الآدمية، بل يُحسبون من البهائم، وصفات البهائم وأفعالها ظاهرة فيهم.

أيها الزاهد! إن علامة الإنسان أربعة أشياء! الأقوال الحسنة والأفعال الحسنة والأخلاق الحسنة وكذلك المعارف، فكل من كانت عنده هذه الأشياء الأربعة فهو إنسان، وكل من لاتوجد فيه فليس هو بإنسان، وكل من تحلى بها بكمالها فهو إنسان كامل.

كما أن لتزكية النفس وتصفية القلب والعروج إلى المراتب العالية في ذلك له طرق لابد من السير والحركة فيها للوصول إلى تلك المراتب.

وبذل الجهد والسعي في هذه المرحلة هو الجهاد الأكبر وأفضل العبادات وله أفضل الجزاء والثواب الأخروي.

ومن تغلبه النفس والهوى فإنه يكون محروماً من جميع تلك الحقائق والمدارج والمراتب، ويبقى إلى الأبد في مرتبة الحيوانية، ولاشك في أن اتباع الهوى والهوس والشهوات والغرائز خارج الحدود الإلهية يعدّ من أقسام الشرك الخفي.

هوى النفس في الآيات والروايات:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ

مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[١].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ أَشَدَّ ما أَخافُ عَلَيْكُمْ خصْلَتانِ اتِّباعُ الْهَوى وَطُولُ الأَمَلِ فأَمَا اِتِّباعُ الْهَوى فَإِنَّهُ يَعْدِلُ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طولُ الأَمَلِ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْحُبَّ لِلدُّنْيا»[٢].

يقول أحدهم شعراً ـ مضمونه ـ:

«مالم تعبر هذه الصورة المجازية فإنه لن يفتح لك باب إلى الحقيقة، إن ترك النفس والمال والروح ـ هذه الثلاثة ـ هو أول منزل في وصال الروح».

مجاهدة النفس في الآيات والروايات:

إن من يقوم بمجاهدة النفس من أجل الله وفي سبيل الله فإنه يصل إلى مقام القرب، ويصبح ذا قدم في المعراج الإنساني ومتحلياً بالكمالات والمدارج المعنوية، وينزل عليه خير الدنيا والآخرة كغيث الربيع.

لاحظوا في هذا المجال هذه الآيات القرآنية:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣]

١- الجاثية ٤٥: ٢٣.

٢- لآلي الأخبار: ١/١٤٠؛ مسكن الفؤاد: ١٦.

٣- العنكبوت ٢٩: ٦٩.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[١]

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٢]

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما أخلَصَ عَبدٌ لله أربَعينَ صَباحاً إلا جَرتْ يَنابيعُ الحِكْمةِ مِنْ قَلبِهِ على لِسَانه».[٣]

النفس هي الحجاب بين العبد والحق:

سئل أحد كبار العرفاء: ماهو الطريق إلى الله؟ فأجاب: خطوتان، الأولى على النفس، والثانية على الدنيا. وعندما وصل هذا الجواب إلى عارف أكثر معرفة وعشقاً قال: لقد طوّل ماقصّره الله، فطريق الوصول إلى الله خطوة واحدة، وهي ترك النفس، فالدنيا تصبح حجاباً بين العبد والحق بسبب النفس.

ولله درّ العارف الحكيم «إلهي» حيث أنشد يقول:

لأنك قد رجعت ثانية إلى الوطن أيتها النفس المتيقظة فاجعلي دائماً وجه المحبوب هو مايراه القلب، وحافظ ياابن آدم على عهد الله ولاتنقض عهد المحبوب بأمر من الشيطان، ولأنك سوف تسافر من منزل الدنيا الفانية إلى الملك

١- محمد ٤٧: ١٧.

٢- الكهف ١٨: ١٣-١٤.

٣- عيون أخبار الرضا: ٦٩/٢، الباب ٣١، الحديث ٣٢١. بحار الأنوار: ٢٤٢/٦٧، الباب ٥٤، الحديث ١٠.

الأبدي، فَطِر وابتهج أيها الطائر الملكوتي على غصن شجرة طوبى في الجنة بجناحي العلم والإيمان.

وفي كل الأحوال فإن طريق مجاهدة النفس هو حمل النفس على أداء الفرائض وترك المحرمات والتحلي بالحقائق الأخلاقية.

فإذا سلكت هذا الطريق فإنك تكتسب صلاحية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتفوز بالثواب العظيم من الله تعالى، فضلاً عن إيقاظ الناس والحيلولة دون وقوعهم في المنكرات، وهدايتهم إلى الخير. وهنا لابد من مطالعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مرآة القرآن والروايات، ومن ثم نتابع بإذن الله شرح بقية رواية «**مصباح الشريعة**».

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2].

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

١- آل عمران ٣: ١٠٤.

٢- آل عمران ٣: ١١٠.

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[١].

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضَهُمْ أَولِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

١- آل عمران ٣: ١١٣- ١١٥.

٢- اعراف ٧: ١٥٧.

٣- توبه ٩: ٧١.

٤- توبه ٩: ١١٢.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[١].

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمْ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[٢].

مفاد آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يستفاد من الآيات السابقة الأمور التالية:

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات الإلهية الحتمية.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخلاق الأنبياء والأولياء.

٣- كان الصالحون يوصون الناس بأداء هذين التكليفين.

٤- كمال ورقي المجتمع يرتبط بإقامة هذين الأصلين الإلهيين.

٥- رضا الله وجنته هو ثواب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤديان إلى تقوية المعرفة الإلهية وبموازاة هذه القوة للإسلام فإن هذا يؤدي إلى تضعيف الكفر والشرك.

إن مسألة تهيئة الأرضية لإقامة المعروف والحيلولة دون وقوع المنكر مهمة لدرجة يعتبر القرآن تارك ذلك ملعوناً:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ

١- حج ٢٢: ٤١.

٢- لقمان ٣١: ١٧.

﴿وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[١].

بينما يعتبر القرآن الكريم المتلبسين بفضيلتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهل النجاة:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٢].

يقول القرآن المجيد في مقام الحث على الالتزام بهذه الحقيقة ووجوب ولزوم هاتين الواقعيتين:

﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٣].

إن معنى التعاون هو المساعدة والترغيب وتهيئة الأرضية وتمهيد الطريق أمام الخير والحسن، وسدّ الطريق والإعاقة بوجه الشر والسوء.

ويهاجم القرآن الكريم تاركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشدة حيث يقول:

﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ

١- مائده ٥: ٧٨- ٧٩.

٢- اعراف ٧: ١٦٥.

٣- مائده ٥: ٦٣.

السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[١].

ومع ملاحظة هذه الآيات المهمة جداً ولسانها العجيب فهل يستطيع أحد من المسلمين عدم الشعور المسؤولية تجاه هذين التكليفين الإلهيين؟!!.

ماأفضل الذين وطّنوا أنفسهم على إطاعة الحق تعالى في كل زمان وفي كل مكان، لايخافون في هذا السبيل أحداً، ولاتأخذهم في ذلك لومة لائم. حقاً، ماأسمى أن يقدم الإنسان رأسه في سبيل رضا المحبوب وإقامة دينه وإعانة الأنبياء والأئمة، فلايوجد هناك ألذ وأحلى وأكثر نفعاً من الموت والشهادة في سبيل المحبوب.

يقول «صفا أصفهاني» في شعره:

إن ممكلة ملك العشق ليست غير قلب الصوفي، بينما القلب مشغول بالسعي وراء موجودات المملكة. فغُضَّ الطرف عن النفس في طلب وجه الحبيب، فكل من وصل إلى المحبوب لايريد أكثر. وديننا هو العشق ليس إلا، ومن لايكون من ديننا فهو كافر لاغير. إنه لاوجود بنظر العاشق اليقظان إلا للمحبوب، وهذا الكلام الواضح لانقاش فيه. فمتى يتوقف طالب لقاء المحبوب عن البحث هنا وهناك، فالحبيب موجود في قلب صاحب القلب وليس في مكان آخر، وإذا لم تكن تملك قلباً فلاتنكر وجود المعشوق فالقلب موجود إلهي وليس محلاً للأفكار السيئة.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الروايات:

١- مائده ٥: ٦٣.

عن أبي عبد اللّه عليه السلام قالَ:

«ما أَقَرَّ قَوْمٌ بِالمُنْكَرِ بَيْنَ أظْهُرِهم لا يُغَيِّرونَهُ إلاّ أَوْشَكَ أنْ يَعُمَّهُمُ اللّهُ بِعِقابٍ مِنْ عِنْدِهِ»[١].

وقالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله:

«لَتَأمُرُنَّ بِالْمَعْروفِ وَلَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللّهُ شِرارَكُمْ عَلى خيارِكُمْ فَيَدْعُو خِيارُكُمْ فَلا يُسْتَجابُ لَهُمْ»[٢].

وقال علي عليه السلام:

«وَماأَعْمالُ الْبِرِّ كُلُّها وَالْجِهادُ في سَبيلِ اللّهِ عِنْدَ الأمْرِ بِالْمَعْروفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إلاّ كَنَفْثَةٍ في بَحْرٍ لُجِّيٍّ»[٣].

وقد أوصى علي عليه السلام أهل الكوفة بأن لايجلسوا في الطرقات إلا مع رعاية أمور ثلاثة:

«غَضُّ الأَبصار، وردُّ السّلام، و إرْشادُ الضالّ»[٤].

وقالَ صلى الله عليه وآله: «كَلامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لا لَهُ إلاّ أَمْراً بِمعْرُوفٍ أَوْ نَهْياً عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْراً لِلّهِ تَعالى»[٥].

١ـ وسائل الشيعة: ١٣٧/١٦، باب ٤، حديث ٢١١٧٦.

٢ـ بحار الأنوار: ٣٧٨/٩٠، باب ٢٤، حديث ٢١.

٣ـ بحار الأنوار: ٨٩/٩٧، باب ١، حديث ٧٠؛ نهج البلاغة: حكمت ٣٧٤.

٤ـ معدن الجواهر: ٣٤، باب ذكر ما جاء في الثلاثة.

٥- مستدرك الوسائل: ٢٩٢/٥، باب ٥، حديث ٥٨٩٣.

وقال صلى الله عليه وآله: «أيُّها النّاسُ إنَّ اللّه لا يُعَذِّبُ العامَّةَ بذَنْبِ الخاصّةِ إذا عَمِلَتِ الخاصَّةُ بالمُنْكَرِ سِرّاً مِنْ غَيْرِ أنْ تَعْلَمَ العامَّةُ فإذا عَمِلَتِ الخاصَّةُ المُنْكَرَ جِهاراً فَلَمْ يُغَيِّرْ ذلِكَ العامَّةُ اسْتَوجَبَ الفَريقانِ العُقُوبَةَ مِنَ اللّهِ»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

كيفَ بِكُم إذا فَسدَت نِساؤُكُم وفَسقَ شَبابكُمْ ولَمْ تأمُروا بِالمَعْروفِ ولَمْ تَنْهوا عَنِ المُنكرِ؟. فقيلَ لَه صلى الله عليه وآله: وَيكونُ ذَلك يارَسُول الله؟!. قال صلى الله عليه وآله: نعم، وَشَرٌّ منْ ذلكَ، كَيفَ بكُم إذا أَمَرْتم بِالمُنكَر ونَهَيْتم عن المَعْروف؟!. فقيلَ له: يارَسُول الله، وَيكُون ذَلك؟!. قال صلى الله عليه وآله: نَعَم، وشَرّ من ذلك، كَيفَ بِكُم إذا رَأيتُم المَعْروف مُنكراً والمُنكَرُ مَعْروفاً؟![2]

قِيل لَهُ: صلى الله عليه وآله:

«أتهْلَكُ الْقَرْيَةُ وَفيهَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ: نَعَمْ. قيلَ: بِمَ يا رَسولَ اللّهِ؟ قالَ: بِتَهاوُنِهِمْ وَسُكُوتِهِمْ عَنْ مَعاصِي اللّهِ عَزَّوَجَلَّ»[3].

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في ذيل رواية طويلة ذكرها الكافي:

١- بحار الأنوار: ٧٥/٩٧، باب ١، حديث ١٦.

٢- بحار الأنوار: ٩١/٩٧، باب ١، حديث ٨٢.

٣- جامع السعادات: ٤١/٢، التهاون والمداهنة.

«أوحَى الله عزَّ وَجَل إلى شُعَيب النبي عليه السلام: إنِّي مُعَذّب مِنْ قَومِك مِئَة أَلف: أَربَعين أَلفاً مِنْ شِرَارِهم، وستينَ ألفاً من خِيَارِهِم. فقالَ عليه السلام: يارَبّ، هَؤلاء الأشْرارُ فما بَالُ الأخْيَارِ؟ فأوحَى الله عَزَّ وَجَل إلْيهِ: دَاهَنوا أَهْل المَعاصِي، ولَمْ يَغْضَبوا لِغَضَبي».[1]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في رواية:

«إنَّ الله تَعَالى بَعَثَ مَلَكَين إلى أَهْلِ مَدينَةٍ لِيَقْلِبها عَلَى أَهْلِها، فَلمَّا انْتَهَيا إلى المَدِينة وَجَدا رَجُلاً يَدْعو الله ويَتَضَرَّع إليه، فَقالَ أَحَدُ المَلَكَين لِصَاحِبِهِ: أَما تَرَى هَذا الدَّاعِي؟ فَقال: قَدْ رَأيْته، ولَكنْ أُمْضي مَاأَمَرَ به ربّي، فَقالَ: لا، وَلَكِنْ لاأُحْدِث شَيئاً حتى أُراجِع ربِّي. فَعادَ إلَى الِله تبَارك وَتَعالى، فقالَ: ياربّ إنّي انْتَهَيت إلَى المَدِينة، فوَجْدت عَبْدَك فُلاناً يَدْعوكَ ويَتَضرّع إلَيْك، فَقالَ: أَمْضِ مَاأَمَرْتُك به، فإنَّ ذا رجُلٌ لمْ يتَمَعَّر وجْهُهُ غَيظاً لِي قَط».[2]

وفي رواية أخرى يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ رَجلاً من خَثْعَم جَاءَ إلَى رَسول الله صلى الله عليه وآله فَقالَ: يارَسول

١- الكافي: ٥٥/٥، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث ١؛ وسائل الشيعة:١٤٦/١٦، باب ٨، حديث ٢١٢٠١.

٢- الكافي: ٥٨/٥، باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حديث ٨؛ وسائل الشيعة :١٤٣/١٦، باب ٦، حديث ٢١١٩٥.

الله أخْبِرْني مَاأفْضَل الإسْلام؟ قالَ: الإيْمانُ بالله. قَالَ: ثُمَّ مَاذا؟ قالَ: صِلَةُ الرَّحم. قَالَ: ثُمَّ مَاذا؟ قَالَ: الأمْرُ بالمَعْروف والنَهْي عَن المُنكَر. قَالَ: فَقالَ الرَّجُل: فَأخْبِرْني أيّ الأَعْمال أَبْغَض إلَى الله؟ قال: الشِّركُ بِالله. قالَ: ثُم ماذا؟ قالَ: ثُمَّ قَطيعَةُ الرَّحم. قال: ثم ماذا؟ قال: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف».[1]

وعنه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَمَرَنا رَسول الله صلى الله عليه وآله أنْ نَلْقى أهْلَ المَعاصِي بِوجُوه مُكْفَهرة».[2]

قَالَ أبوعبدالله عليه السلام:

«الأَمْرُ بِالْمَعْروفِ وَالنَّهْي عَنِ الْمُنْكَرِ خُلْقانِ مِنْ خُلُقِ اللّهِ فَمَنْ نَصَرَهُما أعَزَّهُ اللّهُ وَمَنْ خَذَلَهُما خَذَلَهُ اللّهُ»[3].

وَعَنْهُ عليه السلام:

«إنَّهُ كانَ أبُو عَبدِاللّه عليه السلام إذا مَرَّ بِجَماعَةٍ يَخْتَصِمُونَ، لا يَجُوزُهُمْ حَتّى يَقُولَ ثَلاثاً: اِتَّقُوا اللّهَ، يَرْفَعُ بِها صَوْتَهُ»[4].

١- الكافي: ٥٨/٥، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث ٩؛ وسائل الشيعة:١٢١/١٦، باب ١، حديث ٢١١٣٧

٢- الكافي: ٥٨/٥، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث ١٠؛ وسائل الشيعة:١٤٣/١٦، باب ٦، حديث ٢١١٩٤.

٣- الكافي: ٥٩/٥، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث ١١؛ مجموعة ورام :١٢٤/٢.

٤- الكافي: ٥٩/٥، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث ١٢؛ بحار الأنوار :٩٢/٩٧، باب

عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله:

«إنَّ اللّهَ لَيُبْغِضُ الْمُؤْمِنَ الضَّعيفَ الَّذى لا دينَ لَهُ. فَقيلَ: وَمَا الْمُؤْمِنُ الَّذي لا دينَ لَهُ؟ قالَ: الَّذى لا يَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ»[1].

والمستفاد من آيات وروايات باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن وجوب هاتين الوظيفتين إنما يقع على عاتق من تجتمع لديه الشرائط العلمية والعملية، وخاصة تحليه بالفضائل الإلهية وتنزهه عن الرذائل الأخلاقية.

إلهي! عرفنا جميعاً أولاً الحقائق الإلهية، ثم وفقنا للعمل بتلك الحقائق، وحينذاك وفقنا جميعاً لتهيئة الأرضية للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإننا نحتاج إلى توفيقك في جميع الأمور وخاصة في هذين الأمرين المهمين.

يقول «عطار النيشابوري»:

لقد وقعت في حبك دفعة وأصبحت حيراناً تائهاً. ولو كنت أيها القلب في مكانك الصحيح لما كنت احترت و ضِعت ثانية. إلى متى أتحمل العذاب من نفسي وبدني وإلى متى أتحمل الألم من هذا وذاك. لقد تعبت من وجودي فطهرني من خلال إفنائي دفعة. وإذا كنت لاتريد إفنائي فارفع الحجاب عن الوجود. حتى ينكشف لوجودي حينئذ أسرار الكونين وعلم الأسرار. إنني أصرخ مثل الطير الذي وقع أسيراً في الفخ من ضيق أوهامي وفكري. وإذا حصلت هذه اليقظة فإن «عطار» يكون قد استيقظ من النوم حينئذ.

١، حديث ٨٦

١ ـ الكافي: ٥٩/٥، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث ١٥؛ وسائل الشيعة :١٢٢/١٦، باب ١، حديث ٢١١٣٩.

«لأَنَّهُ إذا لَمْ يَكُنْ بِهذِهِ الصِّفَةِ فَكُلُّ ما أظْهَرَ يَكونُ حُجَّةً عَلَيْهِ ولا يَنْتَفِعُ النّاسُ بِهِ. قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[1]؟ وَيُقالُ لَهُ: يا خائِنُ أَتُطالِبُ خَلْقي بِما خُنْتَ بِهِ نَفْسَكَ وَأَرْخَيْتَ عَنْهُ عِنانَكَ روِيَ أنَّ أبا ثَعلَبَةَالخُشَنِيَّ سَألَ رسولَ اللّهِﷺ عَنْ هذهِ الآيَة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[2]، قالَﷺ: وَاؤمُرْ بِالْمَعْروفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى ماأَصابَكَ حَتّى إذا رَأَيْتَ شُحّاً مُطاعاً وَهَوىً مُتَّبَعاً وَإعْجاب كُلّ ذى رَأيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعامَّةِ»

أهلية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن من يريد القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن يكون بحسب كلام الإمام الصادقعليه السلام متحلياً بالصلاح والسداد، لأنه إذا لم يكن متصفاً

١ـ البقرة ٢: ٤٤.

٢ـ المائدة ٥: ١٠٥.

بالاستقامة ولم تظهر فيه الحقائق والخيرات، فإن نفس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيكونان حجة عليه، وذلك أنه:

في المرحلة الأولى سوف يقول له الناس: إذا كان ماتقوله صحيحاً وحسناً، فلماذا لانراه فيك؟. ولماذا تقع فيما تنهى الآخرين عنه؟.

وفي المرحلة الثانية يقال له يوم القيامة: لماذا دعوت الناس إلى الخيرات ولكنك لم تأت بها؟. ولماذا نهيت الناس عن السيئات والمعاصي ولكنك لم تجتنبها؟.

وكما أشار القرآن إلى هؤلاء البعيدين عن وادي الحقيقة حيث وبخهم على دعوتهم الناس لأفعال البرّ حال كونهم ناسين لأنفسهم.

ويقول تعالى لمثل هؤلاء الأشخاص:

أيها الخائنون! أتطالبون عبادي بما خنتم به أنفسكم؟. وأرخيتم لها العنان فيه؟!.

وقد سأل ثعلبة الخشني رسول الله صلى الله عليه وآله عن معنى هذه الآية:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[1].

فقال صلى الله عليه وآله: «أمر بالمعروف و انه عن المنكر. و اصبرعلى ما أصابك حتى اذا رأيت شحّا مطاعا و هوىً متّبعا و اعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك و دع أمر العامة و صاحب

١ـ المائدة ٥: ١٠٥.

الأمر بالمعروف يحتاج الى أن يكون عالما بالحلال و الحرام فارغا من خاصّة نفسه عما يأمرهم به ويناهم ناصحا للخلق رحيما رفيقا بهم داعيا لهم باللطف و حسن البيان عارفا بتفاوت اخلاقهم لينزّل كلاّ منزلته بصيرا بمكر النفس و مكايد الشيطان صابراً على ما يلحقه لا يكافيهم بها و لا يشكو منهم و لا يستعمل الحمية و لا يغتاظ لنفسه مجرّدا نيته لله مستينا به و مبتغيا لوجهه، فإن خالفوه و جفوه صبر و إن وافقوه و قبلوا منه شكر مفوضا أمره الى الله ناظرا الى عيبه»[1].

١- بحار الانوار ج ٩٧ ص ٨٤.

«وَصاحِبُ الأمرِ بالمعروفِ يَحْتاجُ أَنْ يَكُونَ عالِماً بِالْحَلالِ وَالْحَرامِ فارِغاً مِنْ خاصَّةِ نَفْسِهِ مِمّا يَأْمُرُهُمْ بِهِ وَيَنهاهُمْ عَنْهُ ناصِحاً لِلْخَلقِ رَحيماً بِهِمْ رَفيقاً داعِياً لَهُمْ بِاللُّطْفِ وَحُسْنِ الْبَيانِ، عارِفاً بِتَفاوُتِ أَحْلامِهِمْ لِيُنْزِلَ كُلاًّ مَنْزِلَتَهُ، بَصيراً بِمَكْرِ النَّفْسِ وَمَكايِدِ الشَّيْطانِ، صابِراً ما يَلْحَقُهُ، لا يُكافِئُهُمْ بِها وَلايَشْكُو مِنْهُم وَلا يَسْتَعْمِلُ الْحَمِيَّةَ وَلا يَتَغَلَّظُ لِنَفْسِهِ مُجَرَّداً بِنِيَّتِهِ لِلّهِ تَعالى، مُسْتَعيناً بِهِ وَمُبْتَغِياً لِثَوابِهِ، فَإِنْ خالَفُوهُ وَجَفَوْهُ صَبَرَ وَإِنْ وافَقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ شَكَرَ، مُفَوِّضاً أَمْرَهُ إِلى اللّهِ تَعالى ناظِراً إِلى عَيْبِهِ»

شرائط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

يقول الإمام الصادق عليه السلام في نهاية هذا المقطع بأن من يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى عدة أمور:

١- **أن يكون عالماً بالحلال والحرام وسائر الأحكام الخمسة**، وقادراً على التمييز بينها، وإلا فمن الممكن أن يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، ويستوجب بذلك العقاب والعذاب.

٢- **أن لايكون تاركاً للطاعات مرتكباً لما ينهى عنه، لأنه لاأثر لموعظته** حينئذ، بل سيكون مورد ملامة الناس.

٣- أن يقوم بهذين التكليفين عن إخلاص واعتقاد صحيح، وأما إذا اختلط عمله بالأغراض الفاسدة والأعراض الكاسدة فإن نتيجته ستكون شناعة في الدنيا وهلاكاً في الآخرة.

٤- أن يقوم عمله على أساس من الشفقة والرحمة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كانا عن حدة وغلظة فإنه لن يكون لهما نتيجة حسنة.

يقول الشاعر (سعدي شيرازي) في كتابه «**گلستان**»:

أيها الواعظ إن الأمربالمعروف وإن كان واجباً، ولكن عليك التعامل بطريقة لاينكسر بها قلب المذنب.

أيها الطاهر النقي لاتغضب من المذنب، وانظر إليه برحمة. وإذا كنت أنا قد خالفت المروءة في سلوكي، فتجاوز أنت عني مثل أصحاب المروءة.

٥- أن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أساس من الحكمة، بمعنى أن يتصرف مع كل شخص بحسب حاله، فيرشد مثلاً الأشخاص الذين لم يعتادوا العبادة ولم يتذوقوا حلاوة العبودية إلى طريق العبودية بشكل تدريجي، ولايأمرهم بالعبادات الشاقة دفعة واحدة، لأن هذا لايتفق مع الحكمة، بل هو باعث على النفور، وقد ورد في بعض الكتب أن عابداً قام بوعظ شخص تارك للصلاة ونصحه ورغّبه بالصلاة وعلمه آدابها، وطلب منه أن يبقى ملازماً له عدة أيام في أوقات الصلاة حتى يعلمه بشكل جيد واجبات الصلاة وسننها علمياً وعملياً، ووافق ذلك الشخص على ذلك.

وعند طلوع الفجر قام ذلك العابد بإيقاظ التائب لصلاة الصبح، فقام التائب وصلى مع العابد، وبعد الصلاة نبهه إلى تعقيبات الصلاة حتى طلعت الشمس، ثم

ذهب التائب إلى عمله لتحصيل معاشه، ولم يمض عليه طويلاً وإذ بالظهيرة قد حلت، وبصوت العابد يناديه لأداء صلاة الظهر، فترك التائب عمله قبل إتمامه وذهب إلى الصلاة، وحثه العابد على صلاة النافلة أولاً ثم صلاة الظهر الواجبة، ثم أمره بنافلة العصر، وبعد ذلك بصلاة العصر، وبقيا مشغولين بالتعقيبات إلى حين الغروب، ثم انشغلا بصلاة العشائين ونوافلهما إلى قرب منتصف الليل.

والخلاصة أن جميع أعمال التائب انحصرت في الصلاة والتعقيبات والأوراد، ولم يستطع القيام ببقية أمور معاشه.

وعند ذاك قال للعابد: إن الصلاة هي عمل البطالين، ولاطاقة لي على ذلك، ثم ترك العابد ورجع إلى سيرته الأولى تاركاً للصلاة.

٦- يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عدم الغفلة عن مكر النفس ومكائد الشيطان.

٧- أن يلتزم الصبر والشكر فيما يصيبه من حوادث الزمن ومحنه.

٨- أن لاينتقم لنفسه تجاه مايواجهه به الناس الذين هو بصدد إصلاحهم.

٩- لايشتكي إلى أحد.

١٠- يجتنب العبوس وسوء الخلق مع الناس.

١١- يجتنب الحدة والغلظة.

١٢- يخلص نيته من الأغراض المادية والأمور الفاسدة.

١٣- يبتغي أجر عمله فقط وفقط من الله فإنه أفضل معتمد وخير معين للمحتاجين.

١٤- إذا خالفه الناس فيما يأمره به وينهاهم عنه صبر، وإذا وافقوه وقبلوا منه شكر.

١٥- يفوض أمره في جميع الأحوال إلى الله تعالى.

١٦- لايغفل عن عيب نفسه.

إن الشخص الذي يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد له من أن يضع نصب عينيه أحوال الأنبياء والأئمة ـ عليهم السلام ـ والأولياء، وكيف أنهم لم يتراجعوا عن هدفهم وعملهم رغم أنواع المصائب والابتلاءات والمصاعب الاجتماعية والعائلية التي واجهوها، بل صبروا في طريق الحق واستقاموا حتى نالوا رضوان الله وسعدوا في الدنيا والآخرة.

ولو أن الوهن في طريق الله كان يصيب الأنبياء والأئمة ـ عليهم السلام ـ، ولو كانوا يصابون بالكسل والملل في ذلك، فمن المتيقن أنه لم يكن الدين الإلهي والمعارف العالية الإلهية لتصل إلى المجتمع البشري. وإذا أصبتم أنتم ـ أمة وأتباع أولئك العظماء ـ بالوهن والضعف خلافاً لهم، وتركتم ساحة التبليغ والإبلاغ نتيجة للحوادث، فإنكم تكونون قد وجَّهتم ضربة لبقاء الدين، وساعدتم على إطفاء نور الهداية. فاحذروا بشدة أن تؤثر فيكم حادثة ما، وحافظوا على نشاط ساحة التبليغ، واستمروا بالسير في طريقكم الحق كما كان كذلك من تقتدون بهم ومن هم مرشدوا طريق التوحيد، ولاتفكروا وأنتم في هذا المسير إلا فقط وفقط بالحق تعالى، وتوجهوا إليه تعالى فإنه لاطريق لتحصيل خير الدنيا والآخرة إلا بالتسليم أمامه وإطاعة أوامره.

الباب

(٦٥)

في الخوف والخشية من الله

قالَ الصادِقُ عليه السلام: اَلْخَشْيَةُ ميراثُ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ شُعاعُ الْمَعْرِفَةِ وَقَلْبُ الإيمانِ، وَمَنْ حُرِمَ الْخَشْيَةَ لايَكُونُ عالِماً وَإِنْ شَقَّ الشَّعْرَ بِمُتَشابِهاتِ الْعِلمِ.

قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1].

آفَةُ الْعُلَماء عَشَرَةُ أَشْياء: الطَّمَعُ، وَالْبُخْلُ، وَالرِّياءُ، وَالعَصَبِيَّةُ، وَحُبُّ الْمَدْحِ، وَالْخَوْضُ فيما لَمْ يَصِلُوا إلى حَقيقَتِهِ، وَالتَّكَلُّفُ في تَزْيينِ الْكَلامِ بِزَوائِدِ الأَلْفاظِ، وَقِلَّةُ الْحَياء مِنَ اللّهِ عَزَّوَجَل، وَالاِفْتِخارُ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ بِما عَلِمُوا.

قالَ عيسى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام: أَشْقَى النّاسِ مَنْ هُوَ مَعْروفٌ عِنْدَ النّاسِ بِعِلْمِهِ مَجْهُولٌ بِعَمَلِهِ.

قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: لا تَجْلِسُوا عِنْدَ كُلِّ داعٍ يَدْعُوكُمْ مِنَ الْيَقينِ اِلَى الشَّكِّ وَمِنَ الإِخْلاصِ إلى الرِّياء وَمِنَ التَّواضُعِ إلى الْكِبْرِ وَمِنَ النَّصيحَةِ إلى الْعَداوَةِ وَمِنَ الزُّهْدِ إلى الرَّغْبَةِ. وَتَقَرَّبُوا مِنْ عالِمٍ يَدْعُوكُمْ مِنَ الْكِبْرِ إلى التَّواضُعِ وَمِنَ الرِّياء إلى الإِخْلاصِ وَمِنَ الشَّك إلى الْيَقينِ وَمِنَ الرَّغْبَةِ إلى الزُّهْدِ وَمِنَ الْعَداوَةِ إلى الإِخْلاصِ. وَلا يَصْلُحُ لِمَوْعِظَةِ الْخَلْقِ إلا مَنْ جاوَزَ هذِهِ الأَصْنافَ بِصِدْقِهِ، وَأَشْرَفَ عَلى عُيُوبِ الْكَلامِ وَعَرَفَ الصَّحيحَ مِنَ السَّقيمِ وَعِلَلَ الْخَواطِرِ وَفِتَنَ النَّفْسِ وَالْهَوى.

قالَ أميرُالْمُؤمِنينَ عليه السلام: كُنْ كَالطَّبيبِ الرَّفيقِ الَّذي يَضَعُ الدَّواءَ بِحَيْثُ يَنْفَعُ.

١ـ فاطر ٣٥: ٢٨.

«اَلْخَشْيَةُ ميراثُ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ شُعاعُ الْمَعْرِفَةِ وَقَلْبُ الإيمانِ، وَمَنْ حُرِمَ الْخَشْيَةَ لايَكُونُ عالِماً وَإِنْ شَقَّ الشَّعْرَ بِمُتَشابِهاتِ الْعِلمِ.
قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾»[1]

حقيقة الخوف من الله:

تعرضنا في الجزء الأول من الكتاب بشكل موسع لمسألة الخوف والخشية ومايرتبط بذلك، وذكرنا مايرتبط بذلك من الآيات القرآنية والروايات والأدعية الإسلامية وكلمات الحكماء وأشعار العرفاء، ولذا فإننا نكتفي هنا بمرور سريع على الرواية.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

بأن الخوف الإلهي هو نتيجة العلم، فمن لاعلم له لاخوف عنده، ومن لاخوف عنده فلارادع أمامه لارتكاب أي معصية، ولايجد من نفسه الشوق والرغبة في أي طاعة. وأن العلم هو شعاع المعرفة بصفات وأسماء الله والمعرفة بالتكاليف الشرعية والحقائق الأصولية، وأن ثمرة العلم ونتيجته هو الإيمان الكامل، فمن حرم من الخوف الإلهي فقد حرم من السعادة العظمى وكان مغبوناً

١ـ فاطر ٣٥: ٢٨.

في حياته، معدوداً من الجهَّال، محشوراً يوم القيامة مع المحرومين من الفيض الإلهي، وإن كان في حدة الفهم وكثرة العلم من المبدعين المحققين، فالله تعالى يقول بأنه لايخشاه إلا العلماء

«آفَةُ الْعُلَماء عَشَرَةُ أَشْياء: الطَّمَعُ، وَالْبُخْلُ، وَالرِّياءُ، وَالعَصَبِيَّةُ، وَحُبُّ الْمَدْحِ، وَالْخَوْضُ فيما لَمْ يَصِلُوا اِلى حَقيقَتِهِ، وَالتَّكَلُّفُ في تَزْيينِ الْكَلامِ بِزَوائِدِ الأَلْفاظِ، وَقِلَّةُ الْحَياءِ مِنَ اللّهِ عَزَّوَجَل، وَالاِفْتِخارُ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ بِما عَلِمُوا»

آفات العلم:

آفات العلم عشرة، وأي آفة منها تصيب العلم فإنها تمنعه من أن يعطي ثماره، بل يصبح سبباً في تعاسة الإنسان وشقائه، وهي:

١- **الطمع**، وتورث هذه الرذيلة الذلة والحقارة، وتغرق الإنسان في الأمور المادية، فهي لاتتلاءم مع عزة العلم.

٢- **البخل**، وذلك لأن العلم ناتج عن علو الهمة، وعلو الهمة يتنافى مع البخل الذي هو من الصفات الذميمة، ولافرق في دناءة البخل بين أن يكون في العلم أم في المال، فالبخل يقطع جذور علو الهمة، ويسقط الإنسان من نظر الرحمة الإلهية ومن نظر الآخرين إليه بعطف.

٣- **الرياء**، وهو من أسوأ الآفات، وهو النار التي تأكل الثواب والأجر الأخروي، فالمرائي يأتي يوم القيامة خالي اليدين من الأجر والعناية الإلهية، وتذهب جميع أعماله وجهوده أدراج الرياح في عرصة المحشر العظيمة !!.

٤- **العصبية**، فالتعليم لابد أن يكون معتمداً على الإنصاف والعدل، وليس على العناد واللجاج، وبحكم: ﴿**أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ**﴾[1] فلابد من اتباع الحق من أي شخص صدر، ومهما كان الأمر، وفي أي موقع كان.

٥- **حب المدح**، لايصح من العالم عند قيامه بالتعليم والتدريس انتظار مدح الناس له وثنائهم عليه، فانتظار المدح والثناء يعد من الصفات الخبيثة وهو سبب لتضييع حق العلم، ويمنع من نزول الفيوضات الإلهية على صفحة النفس الإلهية، وكذلك فإن صاحب هذه الصفة لايخلو من شائبة الرياء، وتجعل هدفه دائماً هو الغلبة والتسلط على الأقران والأمثال، وقد أوضحنا في الأبواب السابقة أن هذه الصفة مخربة للدين ومضيعة للعلم.

٦- **الخوض والغور في الأمور التي لايمكن الوصول إلى كنهها**، فإعمال الفكر في هذه الأمور سبب لإضاعة الوقت، والوقوع في الاعتقادات الباطلة والمهلكة.

٧- **تزيين الكلام بالألفاظ الزائدة**، حيث يجري ذلك في النقاشات والحوارات وفي تأليف الكتب والمصنفات بنحو يبقى المستمع والقارئ عاجزين عن فهم

١- يونس ١٠: ٣٥.

المسائل والحقائق، وهذا التفنن في الكلام والكتابة بعيد عن الإنصاف وغريب عن أخلاق الأنبياء وأولياء الله.

٨- **قلة الحياء من الله تعالى**، وهو يؤدي إلى عدم رعاية الأدب مع الناس، وتضييع حق الأعلم والأصلح والأفضل، وعلى هذا فلابد من اعتبار قلة الحياء من أخبث الخبائث بالنسبة للجميع وخاصة لأهل العلم، وهو أمر بشع وشنيع بالنسبة للجميع وهو أبشع وأشنع بالنسبة لأهل العلم.

٩- **المباهاة والافتخار**، بالعلم والمعرفة، أو بالمال والجمال والأفعال، وقد ذكر القرآن الكريم أن الله تعالى لايحب من الناس الفخور والمتكبر.

وقد قال الحكماء: لاتفتخر بمالك وجمالك، فالأول يذهب في ليلة واحدة والثاني في علة بسيطة، وكذلك الأمر في بقية الشؤون والاعتبارات الدنيوية، وقد قالوا [شعراً]:

لاتفرح بالعزة ولاتحزن من الذلة، فإن هذين الأمرين يزولان سريعاً.

١٠- **ترك العمل بالعلم والمعرفة**، فترك العمل بالعلم تضييع لحق العلم، والعالم بلا عمل كقوس بلا وتر، وشجرة بلا ثمر، وفانوس بلا نور.

يقول الشاعر «نشاط أصفهاني»:

كل من له قلب فمنزله الحبيب، ومن يبقى بلا حبيب فليس له قلب.

وأين يهرب المحبوب من محبيه، فهو أينما كان هو شمع وسط المحفل.

إن الجفاء والظلم ليس خاصاً بك، فكل من كان جميل الجسم فهو قاسي القلب.

إن العشق بحر لاشاطئ له وفيه يكون الموج هو الربّان والطوفان شاطئه.

أيها المريدون، لاتعب في الطريق، فالعشق هو طريق وهو أيضاً منزل.

الظلام وإن عمَّ البيت، لكنه يزول عندما يأتي شعاع ضوء الشمس.

الحق واحد لاأكثر في جميع العالم، وكل ماتدخله الكثرة فهو باطل.

دع العقل يا«نشاط» وكذلك العشق، فالعاشق غافل عن نفسه ولكنه عاقل عنه ملتفت إليه.

«قالَ عيسىَ بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام: أشْقَى النّاسِ مَنْ هُوَ مَعْروفٌ عِنْدَ النّاسِ بِعِلْمِهِ مَجْهُولٌ بِعَمَلِهِ»

أشقى الناس:

يقول عيسى بن مريم عليه السلام: إن أشقى الناس من يكون مشهوراً بين الناس بالعلم، ولكنه من جهة العمل فيما بينه وبين الله فهو كسول لانشاط له.[1]

١- بحار الأنوار: ٥٢/٢، باب ١١، حديث ١٩.

«قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: لا تَجْلِسُوا عِنْدَ كُلِّ داعٍ يَدْعُوكُمْ مِنَ الْيَقينِ إِلىَ الشَّكِّ وَمِنَ الإِخْلاصِ إِلى الرِّياءِ وَمِنَ التَّواضُعِ إِلى الْكِبْرِ وَمِنَ النَّصيحَةِ إِلى الْعَداوَةِ وَمِنَ الزُّهْدِ إِلى الرَّغْبَةِ. وَتَقَرَّبُوا مِنْ عالِمٍ يَدْعُوكُمْ مِنَ الْكِبْرِ إِلى التَّواضُعِ وَمِنَ الرِّياءِ إِلى الإِخْلاصِ وَمِنَ الشَّك إِلى الْيَقينِ وَمِنَ الرَّغْبَةِ إِلى الزُّهْدِ وَمِنَ الْعَداوَةِ إِلى الإِخْلاصِ. وَلا يَصْلُحُ لِمَوْعِظَةِ الْخَلْقِ إِلا مَنْ جاوَزَ هذِهِ الأَصْنافَ بِصِدْقِهِ، وَأَشْرَفَ عَلى عُيُوبِ الْكَلامِ وَعَرَفَ الصَّحيحَ مِنَ السَّقيمِ وَعِلَلَ الْخَواطِرِ وَفِتَنَ النَّفْسِ وَالْهَوى»

العالم الحقيقي في كلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

يحذر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هنا من المشاركة في المجالس التي تدفع الإنسان من اليقين إلى الشك، ومن الإخلاص إلى الرياء، ومن التواضع إلى التكبر، ومن السلامة والصفاء إلى العداوة والبغضاء، ومن الزهد فيما ينبغي الزهد فيه إلى الرغبة والشوق إليه.

ويرغّب بمعاشرة العالم الذي يأخذ بالإنسان من الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الشك إلى اليقين، ومن الرغبة بالدنيا الفانية إلى الزهد فيها، ومن العداوة والبغضاء إلى المحبة والسلامة.

ويبين النبي صلى الله عليه وآله أن من اجتاز هذه العقبات، وطهَّر نفسه بهمته الصادقة من هذه العيوب والصفات الخبيثة، وحرر نفسه من الأسقام الروحانية والأمراض النفسانية واللذائذ الجسمانية الخاطئة، فإنه هو الذي يصلح لموعظة الناس، فمثل هذا العالم يكون خليفة حقيقياً للأنبياء والأئمة عليهم السلام بين الناس، ويكون شعلة في طريق حياة الناس، وشمساً مضيئة للحياة الإنسانية.

نعم، فمن يكون سائراً في طريق الصدق، ومطلعاً على عيوب الكلام، وعارفاً بالصحيح من السقيم، وخبيراً بأمراض النفس، وبصيراً بفتن النفس والهوى، فإنه هو العالم الحقيقي.

«قالَ أميرُالْمُؤمِنينَ عليه السلام: كُنْ كَالطَّبيبِ الرَّفيقِ الَّذي يَضَعُ الدَّواءَ بِحَيْثُ يَنْفَعُ»

العالم هو طبيب الروح:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: بأنه عليك أن تكون بين الناس كالطبيب المشفق الذي يعطي الدواء بالشكل المناسب من أجل شفاء المريض، فإذا كنت كذلك فإن الناس سوف ينجون بمساعدتك من القذارات، ويشفون من الأمراض الروحية والقلبية، ويرغبون بالتوبة والإنابة بفضل علمك ومعرفتك، ويصلحون مابينهم وبين ربهم، ومن ثم بعد يقظتهم فإنهم يناجون ربهم في خلواتهم قائلين ـ كما يقول نشاط أصفهاني:

إلى من أعطي القلب وأنت في روحي، ومع من تفرح روحي وأنت محبوبي.
لايمكنني غير ذلك فممن أخفي الأمر، فليعلم جميع الناس أنك أنت محبوبي.
قلت لك إنك شمس وهذا لاجدال فيه، وأنت بطلعتك البهية برهاني.
أنا جريح أيها العزيز فليتك ترحمني وأنا متألم أيها الحبيب فليتك تشفيني.
لاهمّ أحمله ولاأفكر بغدي، فأنت بدايتي وأنت أيضاً نهايتي.
قلت أيتها اليد لعلك تصلين إليه يوماً ولكن الروح تمزقت ومازلت تطالبين.

قلت أيتها القدم سوف نمر على طريقه ولكن العمر مضى ومازلت تنتظرين.

قلت له هل يمكن أن يمد «نشاط» يده إلى ضفائر شَعْرِكَ قال يكفيك أنك ملهوف يخفق قلبك لأجلي.

الباب

(٦٦)

في آفة قرَّاء القرآن

قالَ الصّادِقُ عليه السلام:

اَلْمُتَقَرّي بِلاعِلْمٍ كَالْمُعْجَبِ بِلامالٍ وَلامُلْكٍ يُبْغِضُ النّاسَ لِفَقْرِهِ وَيُبْغِضُونَهُ لِعُجْبِهِ فَهُوَ أَبَداً مُخاصِمٌ لِلْخَلْقِ فى غَيْرِ واجِبٍ وَمَنْ خاصَمَ الْخَلْقَ في غَيْرِ ما يُؤْمَرُ بِهِ فَقَدْ نازَعَ الْخالِقِيَّةَ وَالرُّبُوبِيَّةَ.

قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنيرٍ﴾[1].

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عِقاباً مِمَّنْ لَبِسَ قَميصَ النُّسُكِ بِالدَّعْوى بِلا حَقيقَةٍ وَلا مَعْنىً.

وَقالَ زَيْدُ بْنُ ثابِتٍ لِابْنِهِ: يا بُنَيَّ لا يَرَى اللّهُ اسْمَكَ في ديوانِ القُرّاء.

وَقالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: يَأْتي عَلى أُمَّتي زَمانٌ تَسْمَعُ بِاسْمِ الرَّجُلِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلقاهُ وأَنْ تَلْقاهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُجَرِّبَه.

وَقالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: أَكْثَرُ مُنافِقي أُمَّتي قُرّاؤُها فَكُنْ حَيْثُ نُدِبْتَ إِلَيْهِ وَأُمِرْتَ بِهِ وَأَخْفِ سِرَّكَ مِنَ الْخَلْقِ مَا اسْتَطَعْتَ وَاجْعَلْ طاعَتَكَ لِلّهِ بِمَنْزِلَةِ روحِكَ مِنْ جَسَدِكَ، وَلْتَكُنْ مُعْتَبِراً حالُكَ ما تُحَقِّقُهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بارِئِكَ وَاسْتَعِنْ بِاللّهِ في جَميعِ أُمُورِكَ مُتَضَرِّعاً إِلَيْهِ آناءَ اللَّيلِ والنَّهارِ.

قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُعْتَدينَ﴾[2].

١ـ الحج: ٢٢: ٨

٢ـ الأعراف: ٧: ٥٥.

وَالأعتِداءُ مِنْ صِفَةِ قُرّاءِ زَماننا وَعَلاماتِهِمْ.

ولْتَكُنْ مِنَ اللّهِ تَعالى في جَميعِ أَحْوالِكَ عَلى وَجَلٍ لِئَلا تَقَعَ في مَيْدانِ التَّمَنّي فَتَهْلِكَ.

«اَلْمُتَقَرّي بِلاعِلْمٍ كَالْمُعْجَبِ بِلامالٍ وَلامُلْكٍ يُبْغِضُ النّاسَ لِفَقْرِهِ وَيُبْغِضُونَهُ لِعُجْبِهِ فَهُوَ أَبداً مُخاصِمٌ لِلْخَلْقِ فى غَيْرِ واجِبٍ وَمَنْ خاصَمَ الْخَلْقَ في غَيْرِ ما يُؤْمَرُ بِهِ فَقَدْ نازَعَ الْخالِقِيَّةَ وَالرُّبُوبيَّةَ.

قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنيرٍ﴾»[1].

عظمة القرآن:

تعرضنا ضمن شرح الرواية الثالثة عشر من هذا الكتاب للحديث مفصلاً عن القرآن والمكانة العظيمة لهذا الكتاب في مجالات الحياة، وكذلك عن الفوائد المترتبة على الارتباط العلمي والعملي بالقرآن، وعن الخسائر الواقعة بسبب عدم الاهتمام بهذا المصدر للبركات والفيوضات، ورغم أني لاأرى ضرورة للتوسع أكثر مما مرّ الحديث عنه في ذلك المجلد، ولكنني وبسبب أهمية الموضوع أتعرض هنا لبعض المسائل المرتبطة بهذا الكنز الفريد وهذه الثروة الملكوتية التي لامثيل لها، فلعل ذلك يعود علينا بفائدة أكبر دنيوية وأخروية، فلو كتبت

١ـ الحج: ٢٢: ٨

آلاف الكتب بيد العارفين والعلماء والمفسرين حول هذا الكتاب فإن هذا يكون عملاً ضئيلاً وليس بشيء يستحق الذكر أمام عظمة هذا المصدر الإلهي.

يقول «نشاط أصفهاني»:

لاهوى لي في أي مكان سوى هذا، وهل يمكن العيش ولو لحظة بدون هوى.

لقد مررت على عدة نيران مشتعلة من روح وقلب طور، ولكنه للأسف لاتوجد الصفة الموسوية لتبحث عن قبس.

لاتسألنا عن سر المحبوب، ولاتفشي السر لأحد فينقله لآخر.

إننا لم نتحدث بحديث يمكن ذكره وسماعه، ورغم ذلك ينتشر بين الناس على لساننا أحاديث كثيرة.

لقد وقعت في هذا الفخ وهيهات أن أتحرر منه، سوف أبقى للأبد أسيراً لك ولاهوس لي غير القيد.

دعاء الشروع بقراءة القرآن:

ينقل الشيخ الطوسي وهو ممن لاتخفى منزلته وجلالة قدره على أحد من أصحاب القلوب عن مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام أنه حينما كان يريد قراءة القرآن، هذا المنبع للفيض السرمدي، فإنه كان يتوجه لله تعالى بهذا الدعاء:

«اَللّهُمَّ اشْرَحْ بِالْقُرْآنِ صَدْري، وَاسْتَعْمِلْ بِالْقُرْآنِ بَدَني، وَنَوِّرْ بِالْقُرْآنِ بَصَري وَأَطْلِقْ بِالْقُرْآنِ لِساني وَأَعِنّي عَلَيْهِ ما أَبْقَيْتَني

فَإِنَّهُ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاّ بِكَ»[١].

شرح الصدر بالقرآن:

لاحظوا هذه الكلمات الملكوتية، وانظروا إلى الكنوز العظيمة التي يصل إليها الإنسان عندما يتلو القرآن تلاوة حقيقية.

إن شرح الصدر هو حقيقة يحتاج الإنسان إليها ليتعامل بشكل صحيح مع المسائل المالية، ومسألة المناصب، وكذلك المسائل العائلية والاجتماعية، وقضية الغرائز.

ويذكر الله تعالى مسألة شرح الصدر في القرآن المجيد باعتبارها نعمة معنوية عظيمة.

كما أن سبب موفقية الأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء في مواجهتهم لجميع حوادث أزمنتهم كان هو شرح الصدر، فقد طلب موسى عليه السلام من الله شرح الصدر حينما تلبس بلباس الرسالة المقدس وتحرك باتجاه مصر لتهديم النظام الطاغوتي:

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[٢].

وكذلك فإن الله يُذكّر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بمنحه له شرح الصدر:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[٣].

كما أن الله تعالى يذكر مسألة شرح الصدر على أنها نعمة منزلة من عنده على المؤمنين:

١ـ مصباح المتهجد: ٣٢٣؛ بحار الأنوار: ٢٠٩/٨٩، باب ٢٥، حديث ٦.

٢ـ طه ٢٠: ٢٥ ـ ٢٦.

٣ـ الانشراح ٩٤: ٢.

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِن رَبِّهِ﴾[١].

ويذكر القرآن المجيد أن منفعة شرح الصدر تكمن في قبول الإسلام والمعارف الإلهية العالية:

﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾[٢].

إن الذي يطمح لنيل شرح الصدر فإن سبيل ذلك هو المعرفة بالقرآن والعمل بآيات هذا المنبع للبركات والفيوضات، وذلك لأنه بمعرفة القرآن تحصل معرفة الحق ومعرفة الدنيا والآخرة ومعرفة التكاليف، وحينئذ يتعاطى الإنسان مع الحوادث الواقعة على أساس هذه المعرفة، ويحطم بكامل القوة أمواج الحوادث، ويتحرك نحو رضا الله تعالى من خلال فتح الطريق وسط الأمواج والحوادث.

البدن والقرآن:

لقد طرحت الجملة الثانية من دعائه عليه السلام مسألة البدن والقرآن، والبدن عبارة عن اليد والرجل والجلد والمعدة والشهوة والأذن، فإذا كانت حركات جميع هذه الأعضاء مطابقة لما قرره الله تعالى في القرآن المجيد فإن تلك الحركات تكون عملاً صالحاً، والعمل الصالح مقبول عند الله تعالى، وقبول الحق تعالى يورث الجنة، وأما إذا لم يتحرك البدن طبقاً للقرآن، فإن حركته تكون عين الضلالة، والضلالة عين العذاب الإلهي.

١ـ الزمر ٣٩: ٢٢.

٢ـ الأنعام ٦: ١٢٥.

البصيرة بالقرآن:

وتطرح الجملة الثالثة من الدعاء مسألة البصيرة وتنور القلب والعقل، فإن هذه البصيرة والاستنارة والصفاء إنما تحصل فقط من خلال الارتباط بكتاب الله تعالى.

اللسان والقرآن:

إن اللسان من الأعضاء المهمة في الإنسان، فإذا لم يكن اللسان مقيداً بالمسائل القرآنية فإنه يقع بما يقارب العشرين معصية وبعضها من الكبائر. وإذا أراد اللسان أن يكون موجوداً ملكوتياً إلهياً فلامفر أمامه غير مطابقة شؤونه مع الآيات المرتبطة باللسان.

الاستعانة بالحق:

وجاء في آخر الدعاء: أعني على الالتزام بجميع مافي القرآن، فإنه لاحول ولاقوة إلا بحولك وقوتك.

حقاً، ماهي المقامات العظيمة والعالية التي يصل إليها الإنسان من خلال ارتباطه بالقرآن المجيد، وماهي المنازل العالية والمراتب المهمة التي يطويها، والتي ليس هناك من موجود في العالم يصل استعداده وقدرته على التحليق إلى مستوى استعداد الإنسان وقدرته على التحليق.

وصايا الإمام علي عليه السلام تجاه القرآن:

يوصي الإمام علي عليه السلام جميع الأمة بشكل قاطع تجاه القرآن الكريم بهذه الوصايا:

«تَعَلَّمُوا كِتابَ اللّهِ تَبارَكَ وَتَعالى فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَديثِ وَأَبْلَغُ الْمَوْعِظَةِ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبيعُ الْقُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدورِ وَأَحْسِنُوا تِلاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْقَصَصِ»[١].

ويقول في نهج البلاغة:

«اِعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النّاصِحُ الَّذي لايَغُشُّ وَالْهادي الَّذي لايُضِلُّ وَالْمُحَدِّثُ الَّذي لايَكْذِبُ وَما جالَسَ هذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلاّ قامَ عَنْهُ بِزيادَةٍ أَوْ نُقْصانٍ، زِيادَةٍ في هُدى أَوْ نُقْصانٍ مِنْ عَمى»[٢].

التوسل بالقرآن:

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر:

«عَلَيْكَ بِتِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللّهِ كَثيراً فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ في السَّماءِ ونُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ»[٣].

كما أن لرسول الله صلى الله عليه وآله مناجاة روحية عاشقة وردت في بعض الكتب بهذا المضمون:

«اَللّهُمَّ اجْعَلْ لي في قَلْبي نُوراً وَفي بَصَري نُوراً وَعَلى لِساني نوراً وَفي سَمْعي نُوراً وَعَنْ يَميني نُوراً وَعَنْ يَساري نُوراً وَمِنْ

١ـ تحف العقول: ١٤٩؛ بحار الأنوار: ٢٩١/٧٤، باب ١٤، حديث ٢.

٢ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦؛ بحار الأنوار: ٢٣/٨٩، باب ١، حديث ٢٤.

٣ـ مستدرك الوسائل: ٢٩٤/٥، باب ٥، حديث ٥٩٠٠.

فَوْقي نُوراً وَمِنْ تَحْتي نُوراً وَمِنْ أَمامي نُوراً وَمِنْ خَلْفي نُوراً وَاجْعَلْ لي في نَفْسي نُوراً وَعَظِّمْ لي النُّورَ»[1].

يقول أحد العرفاء:

إن النور الذي طلبه رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الدعاء من الله تعالى هو الالتفات العلمي والعملي للقرآن المجيد، وذلك لأن الله تعالى يقول:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾[2].

فمن المحال أن تستنير أعضاء وجوارح الإنسان، وظاهره وباطنه ومافوق رأسه وماتحت رجله، وعن يمينه وشماله، وأمامه وخلفه، إلا بواسطة القرآن.

ولتوضيح الدعاء بشكل أفضل لاحظوا الآيتين التاليتين:

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[3].

دققوا ثانية في متن الآيتين، وسوف تلاحظون أنه إذا أراد الإنسان أن يسد طرق نفوذ الشيطان إليه من جميع الجهات فإنه لامفر أمامه سوى التوسل العلمي والعملي بالقرآن، فالقرآن نور إلهي، وكل من يُنوِّر بنور القرآن قلبه ونفسه وعينه

١ـ بحار الأنوار: ٣١٣/٨٤، باب ١٣، حديث ٩ باختلاف ضئيل.

٢ـ النساء ٤: ١٧٤.

٣ـ الأعراف ٧: ١٦ ـ ١٧.

وأذنه ولسانه ويمينه وشماله وفوقه وأسفله وخلفه وأمامه، فقد حرم الشيطان من الوصول إليه، وأغلق في وجهه طريق غلبته عليه إلى الأبد.

نعم، فللقرآن منافع كثيرة دنيوية وأخروية، والسعيد هو من يسافر إليه، ويقيم دائماً في ذلك الملجأ، والذي هو ملجأ إلهي.

وكما يقول عارف شيراز:

ياقصة الجنة أخبرينا حكاية عنك، إن وجهك رواية تشرح جمال الحور.

أنفاس عيسى تحكي عن شفاهك البلورية، وماء الحياة كناية عن ماء رضابك.

كل جزء من قلبي فيه حكاية عن غصة، وكل سطر من خصالك هو آية من الرحمة.

متى صرت وردة يفوح عطرها في مجلس الروحانيين، أو أن هذه هي رائحتك قد فاحت.

إذا طاف خيال وجهه في جهنم، فتعال أيها الساقي فإنه لاألم من الحريق حينئذ.

وهل تدري ماهو مراد «حافظ» من هذا الألم والغصة، يريد منك غمزة ومن الملك عناية.

القرآن في كلام الملا محسن فيض:

يقول المحدث الكبير المرحوم ملا محسن فيض الكاشاني في المجلد الأول من كتابه «**علم اليقين**» حول القرآن:

اعلم أن في القرآن الترياق الأكبر والكبريت الأحمر والخواص الغريبة والمعجزات العجيبة، ولايمثل بالطود الأشم ـ بل هو أفخم ـ ولابالبحر الخضم ـ بل هو أعظم.

فإن نظرت إلى المواعظ والزواجر، فمنه يأخذ الخطيب المصقع والواعظ البليغ، وإن نظرت إلى الأحكام ومعالم الحلال والحرام، فمن بحره يغترف الفقيه الحاذق، والمفتي الصادق، وإن نظرت إلى البلاغة والفصاحة فمنه يأخذ البلغاء، وبه يجبر كلام الفصحاء، وبتوجيه معانيه ومعرفة أساليبه ومبانيه يفتخر الأديب الكاسر، والكيّس الماهر.

وماعسى يقول فيه المادحون ويثني عليه المثنون بعد قوله تعالى:

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[2].

وإن نظرت إلى الاستشفاء والاسترقاء، ففيه الشفاء والدواء، وهو سبيل إلى الكفاية والغناء، ووسيلة إلى إجابة الدعاء.

ويكفي في فضائل هذا الكتاب أن الله تعالى قد مدحه وأثنى عليه في آيات كثيرة:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا

١ـ الأعراف ٧: ١٨٥.

٢ـ الأنعام ٦: ٣٨.

فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

﴿قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٣].

اللهم! هب لنا معرفة هذا الكتاب، وامنحنا عيناً بصيرة لرؤية جمال هذه الحقيقة، إلهي! كل شيء موجود في هذا الكتاب ولكننا نحن أصحاب القلوب العمياء لانصيب لنا من هذه المائدة الغنية بالفيض. يارب! هب أرواحنا الصفاء للوصول إلى حقائق هذا الكتاب، وارحمنا نحن الفقراء إليك.

يناجي «إلهي قمشه اى» ذلك العاشق الكبير ربه ويقول:

إلهي بعشاقك المجانين بك، بمن هم كالمجانين بك.

بصياح المخمور من خمر العشق، بالمجنون الهائم في صحراء العشق.

بالروح المدهوشة الحائرة بك، بالقلب الخافق دائماً إليك.

بضفائر شعر المحبوب التي يفوح منها المسك، بعيون وغمزة الحبيب.

١ـ يونس ١٠: ٥٧.

٢ـ المائدة ٥: ١٥ ـ ١٦.

٣ـ النحل ١٦: ٨٩.

بحلاوة شفاهه البلورية الجميلة. بشمس إيمان وجه المرتضى، كاتب سر لوح القضاء.

هب لنا طريقاً إلى لقائك، وامنن علينا بقلب مستنير من رحمتك.

حقيقة القرآن وفضله:

لقد وردت روايات عجيبة جداً في فضل القرآن ومعلميه الحقيقيين وهم أهل بيت النبي عليهم السلام، وذلك في أهم كتب الحديث وأكثرها اعتباراً، مما يوجب على كل مسلم النظر في تلك الآثار.

قالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: «إنّي تارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُما أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ: كِتابَ اللّهِ وَعِتْرَتي أَهْلَ بَيْتي فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُوني فيهِما فإنَّهُما لَنْ يَفْتَرِقا حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْض»[1].

لقد ورد هذا الحديث بطرق مختلفة وبألفاظ متعددة في أغلب جوامع الحديث، ولايشك أحد في صدور هذه الرواية عن رسول الإسلام صلى الله عليه وآله.

وقد سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى العترة الواردة في رواية الثقلين فأجاب: «أَنا، والحَسَن، والحُسَين، والأَئِمَة التِّسْعة مِنْ وُلْد الحُسَين تَاسِعُهُم مَهديّهمْ وقائِمهُمْ، لايُفارِقونَ كِتابَ الله ولايُفارِقهم حتى يَرِدوا عَلى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله حَوْضَه»[2].

١ـ إحقاق الحق: ٣٠٩/٩ ـ ٣٧٣؛ بحار الأنوار: ١٣٧/٣٧، باب ٥٢، حديث ٢٥.

٢ـ معاني الأخبار: ٩٠، باب معنى الثقلين والعترة؛ بحار الأنوار: ٣٧٣/٣٦، باب ٤٢، حديث ٢.

وقد أورد كتاب «**الكافي**» حديثاً مهماً في باب فضل القرآن جاء فيه:

عن الباقر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أَنا أَوَّلُ وافِدٍ عَلَى الْعَزيزِ الْجَبّارِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَكِتابُهُ وَأَهْلُ بَيْتي ثُمَّ أُمَّتي ثُمَّ أَسْأَلُهُمْ ما فَعَلْتُمْ بِكِتابِ اللّهِ وَبِأَهْلِ بَيْتي[1].

إنه حديث عجيب، كلام مخيف، تتزلزل منه الجبال فكيف بالإنسان، تخيلوا يوم القيامة، وصحراء المحشر، وقد وقفتم وجهاً لوجه أمام رسول الله صلى الله عليه وآله، والسلطنة والحكومة بيده يومئذ بإذن الله، وهو يسألكم: ماذا فعلتم بالقرآن وبأهل بيتي عليهم السلام؟.

فهلموا إلى التوبة إلى الله تعالى إذا كنا مقصرين ـ وهو كذلك ـ في هذا الموضوع، ولنطلب من ربّ العزة أن يوفقنا في بقية عمرنا لإقامة أحكام القرآن وتوجيهات أهل البيت عليهم السلام.

وكما يقول العارف بالقرآن «إلهي قمشهاي»:

التوبة مماسوى عشق وجهك، والتوبة من أي كلام غير ذكرك أيها الحبيب.

سنسعى في سبيل لقائك مادام فينا روح، والتوبة مماسوى لذة اللقاء.

لن نرجع من السعي ولو قلت مئة مرة لن تراني، نحن ولقاؤك هو همُّنا وماعدا ذلك فالتوبة منه.

١ـ الكافي: ٦٠٠/٢، كتاب فضل القرآن، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ١٧٠/٦، باب ٢، حديث ٧٦٥٣.

وجودنا شوك حديقة الوجود، وبرؤية وجهك ياخالق الورد قد تبنا من الشوك.

ماإن رأينا مظهر جمالك في هذه الحديقة، حتى تبنا من ورد وشوك هذه الدار.

القرآن في نهج البلاغة:

يقول علي عليه السلام في «نهج البلاغة»، وهو معلم القرآن والعارف بجميع حقائقه، في بيان هذه المائدة المعنوية ومنشأ البركات الإلهية والفيوضات الربانية:

«ثُمَ أَنزلَ عَليهِ الكِتابَ نُوراً لايطفئ مَصابيحه، وَسِراجاً لايَخْبو تَوقدُه، وبَحراً لايُدرَك قَعْره، ومِنْهاجاً لايَضل نَهْجه، وشُعاعاً لايظْلِم نُورُه، وفُرْقاناً لايَخْمد بُرْهانه، وبُنياناً لاتهدم أَرْكانه، وشِفاءً لاتُخْشى أَسْقامه، وعِزاً لايُهزم أَنْصاره، وحقاً لايخذل أَعْوانه، فَهو مَعْدن الإيْمانِ وبحْبوحَته، وَيَنابيع العِلْمِ وبحوره، ورياض العَدلِ وَغدْرانه، وَأَثافِي الإِسْلام وبنيانه، وأودية الحَقِ وغِيْطانه، وبَحْر لاينْزِفه المُسْتنزِفون، وعُيون لاينضبها الماتِحون، ومَناهِل لايغيضها الواردون، وَمَنازِل لايضل نَهْجها المسافرون، وأَعْلام لايعمي عَنْها السَّائرون، وآكام لايَجوز عنَهْا القاصِدُون.

جَعَله الله تعالى ريّاً لِعطشِ العُلَماءِ، وربيعاً ممرعاً لِقُلوب

الفُقَهاء ومحاجّ لطرق الصُّلحاء، ودَواءٌ ليسَ بَعْده داء، ونوراً ليسَ مَعَه ظُلْمة، وحَبْلاً وثيقاً عُرْوته، ومَعْقِلاً مَنيعاً ذَرْوته، وعزاً لمنْ تَولاه، وسِلماً لمنْ دَخَله، وهُدى لمن ائْتَمَّ به، وعُذْراً لمنْ انْتَحله، وبُرْهاناً لمن تَكَلم به، وشاهداً لمَنْ خاصم به، وفَلَجاً لمنْ حاجَّ به، وحاملاً لمن حَمَله، ومَطِية لِمَن أَعْمَله، وآية لمن تَوسَمَ، وجُنّة لمن اسْتلأم، وعِلماً لمن وعى، وحَديثاً لمن رَوَى، وحُكماً لمنْ قَضَى».[1]

وعن الصادق عليه السلام:

«إِنَّ اللّهَ تَعالى أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ تِبْيانَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّى وَاللّهِ ما تَرَكَ اللّهُ شَيْئاً يَحْتاجُ إِلَيْهِ الْعِبادُ حَتّى لا يَسْتَطيعُ عَبْدٌ يَقُولُ لَوْ كانَ هَذا أُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ إِلاّ وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللّهُ فِيه».[2]

أسماء وصفات القرآن:

وردت في القرآن المجيد مجموعة من الأسماء والصفات للتعريف بالقرآن الكريم، وكل واحدة منها تدل على حقيقة أو أكثر من هذا الكتاب، كما تدل على العظمة غير المتناهية لمصدر الفيض الإلهي هذا:

١ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٩٨؛ بحار الأنوار: ٢١/٨٩، باب ١، حديث ٢١.

٢ـ الكافي: ٥٩/١، باب الرد إلى الكتاب والسنة، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٢٣٧/٦٥، باب ٤.

نور[١]، حكمة[٢]، خير[٣]، روح[٤]، حق[٥]، هدى[٦]، ذكر[٧]، نبأ عظيم[٨]، شفاء[٩]، رحمة[١٠]، عليّ حكيم[١١]، تنزيل[١٢]، ذوالذكر[١٣]، بشير[١٤]،نذير[١٥]، بشرى[١٦]، مُنزَّل[١٧]، عظيم[١٨]، مجيد[١]، عزيز[٢]، موعظةحسنة[٣]، نعمة[٤]، رزق[٥]، مبين[٦]، ميزان[٧].

١ـ النساء ٤: ١٧٤.

٢ـ الإسراء ١٧: ٣٩.

٣ـ النحل ١٦: ٣٠.

٤ـ الشورى ٤٢: ٥٢.

٥ـ الرعد ١٣: ١.

٦ـ الجن ٧٢: ١٣.

٧ـ الحجر ١٥: ٩.

٨ـ ص ٣٨: ٦٧.

٩ ـ الإسراء ١٧: ٨٢

١٠ـ الإسراء ١٧: ٨٢

١١ـ الزخرف ٤٣: ٤.

١٢ ـ الشعراء ٢٦: ١٩٢.

١٣ـ ص ٣٨: ١.

١٤ـ فصّلت ٤١: ٤.

١٥ـ فصّلت ٤١: ٤.

١٦ـ النحل ١٦: ٨٩

١٧ ـ الأنعام ٦: ١١٤.

١٨ـ الحجر ١٥: ٨٧

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«يَجيء القُرْآن يَوْم القِيامَة فِي أَحْسَن مَنظورٍ إلَيْه صُورة فَيمر بالمسْلِمين فَيَقولون: هَذا الرَّجلُ منا، فَيُجاوزهم إلى النَّبيين، فَيَقولون: هو مِنَّا، فَيُجاوزهم إلى المَلائِكَة المُقَربين فيقولون: هو مِنَّا، حَتى يَنْتهي إلى رَبِّ العِزَّة عزَّوجل فيقولُ: ياربِّ فُلان بن فُلان أظْمأتُ هواجِرَه وأسْهرتُ لَيْله في دارِ الدُّنيا وفُلان بن فُلان لمْ أُظْمِيء هواجِرَه ولَمْ أُسْهر لَيْله. فيقول تباركَ وتَعالَى: أدْخِلْهم الجَنَة على مَنازِلِهم فيقوم فيتبعونه، فيقول للمُؤْمِن: اِقْرأ وارْقَهْ. قال: فيقرأ ويَرْقى حتى يَبْلغ كل رجلٍ مِنْهم مَنْزلته التي هي له فَيَنْزلها»[٨].

القرآن والحقائق الملكية والملكوتية:

إن الغرض الأصلي لكتاب الله هو دعوة الإنسان إلى الله تعالى. وتواجهنا في هذا المجال ست مسائل كلية في الكتاب الإلهي، وأما بقية المسائل فهي من توابع تلك المسائل.

١ـ ق ٥٠: ١.

٢ـ فصّلت ٤١: ٤١.

٣ـ النحل ١٦: ١٢٥.

٤ـ البقرة ٢: ٢٣١.

٥ـ المؤمن ٤٠: ١٣.

٦ـ المائده ٥: ١٥.

٧ـ الشورى ٤٢: ١٧.

٨ـ الكافي: ٦٠١/٢، كتاب فضل القرآن، حديث ١١.

معرفة الله:

١- التعريف بالله عزَّ وجلَّ، ويشتمل ذلك على بيان طريق معرفة ذاته تعالى وصفاته وأفعاله، وباعتبار أنه ليس هناك من قابلية لأي موجود لمعرفة كنه الذات، فلم ترد في القرآن الكريم إلا إشارات وتلميحات في هذا المجال، وذلك مثل الآيات التالية:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١].

﴿قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ، اللّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[٢].

﴿تَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٣].

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٤].

وأكثرها ترجع إلى تقديس وتعظيم الحق تعالى.

وحيث أن صفات الله تعالى يمكن فهمها وإدراكها لكثير من الناس فقد وردت آيات كثيرة في القرآن تهدف إلى التعريف بالعلم، والقدرة، والحياة، والحكمة، والكلام، والسمع، والبصر.

١ـ الشورى ٤٢: ١١.

٢ـ التوحيد ١١٢: ١ ـ ٤.

٣ـ الأنعام ٦: ١٠٠.

٤ـ البقرة ٢: ١١٧.

وأما الآيات المرتبطة بالأفعال، فهي كبحر واسع لايمكن لكل أحد إدراك أطرافه وأكنافه واستيعاب جميع جوانبه.

لقد تعرض القرآن في آيات كثيرة منه إلى مسائل عالم الملك والشهادة، من قبيل السماوات والأرض، والنجوم والكواكب، والجبال والبحار، والحيوانات والنباتات، والغيوم والرياح والمطر، وذلك للتعريف بالخالق والارتقاء بفكر الإنسان وتعريفه بحقائق عالم الوجود.

وأما بالنسبة لعالم الغيب وعالم الملكوت فقد اكتفى القرآن بإشارات وتلميحات في ذلك المجال، وذلك لقصور كثير من الناس عن فهم ذلك، ومثل تلك الآيات تعتبر قلب وسرّ القرآن الكريم، وإنما يفهمها العشاق والعرفاء وأصحاب القلوب الطاهرة، وذلك كما يقول القرآن:

﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[1].

طريق الوصول إلى الحق تعالى:

٢- وأما الآيات التي من القسم الثاني فقد اهتمت بالكلام عن الطريق للوصول إلى الحق تعالى والسلوك إليه عزَّ وجلَّ، وتحتوي هذه الآيات على مسائل مهمة جداً فيما يوجب الإقبال على الله تعالى والإعراض عما سواه، وخلاصة هذه الآيات يمكن اعتباره تفسيراً توضيحياً للكلمة الطيبة «**لاإله إلا الله**». ونشير هنا إلى نموذج من هذه الآيات تاركين تفسيرها على عهدة التفاسير المهمة، وأما

١ـ الواقعة ٥٦: ٧٩.

تحمل عبء مراجعة تلك التفاسير فهو وظيفتكم أنتم، لأن هذا المختصر لايحتمل استيعاب توضيح تلك الآيات:

﴿اذْكُرُوا اللّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾[١].

﴿لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهَ﴾[٢].

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾[٣].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[٤].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[٥].

رجوع الناس إلى الحق تعالى:

٣- وأما القسم الثالث من الآيات فهو يبين زمان رجوع جميع الناس إلى الحق تعالى، وتتضمن تلك الآيات الكلام عن لقاء السالكين، وجنتهم الجسمانية والروحانية، وكذلك الكلام عن المحجوبين الأشقياء وعن جهنم ظاهرهم وباطنهم.

والكلام في هذا القسم يجري عن الحشر والنشر، والحساب والميزان والملائكة والصراط، وكل أمر من هذه الأمور له ظاهر وباطن، أما ظاهره فهو كغذاء البدن

١ـ الأحزاب ٣٣: ٤١.

٢ـ المنافقون ٦٣: ٩.

٣ـ المزمل ٧٣: ٨.

٤ـ الشمس ٩١: ٩ ـ ١٠.

٥ـ الأعلى ٨٧: ١٤ ـ ١٥.

يدركه عموم الناس، وأما باطنه فهو متاح لفهم وإدراك خاصة عباد الله تعالى.

التعريف بعشاق الحق:

٤- في التعريف بأحوال المحبين، وهو دعوة إلى الله تعالى، ولطائف صنع الله وفعله في هذا المجال. وتواجهون في هذا القسم القصص العظيمة لحياة الأنبياء والأولياء، والتعريف بأوضاع الملائكة، وأحوال المعرضين عن الحق، وسقوطهم الكبير في هذا الطريق، وتدركون فوائد مثل هذه الآيات التي تحث على الرجوع إلى الحق، والمحذرة من العذاب، والمنبهة للإنسان والمذكرة له والتي تبصّره بالأمور المهمة والمسائل الإلهية، ففي مثل هذه الآيات تكمن أسرار ورموز وإشارات وتلميحات تحتاج إلى تدبر عميق وفكر طويل.

التعريف بمنكري الحق:

٥- في التعريف بأحوال المنكرين، واحتجاجاتهم الواهية، وكشف مساوئهم، وردّ أباطيلهم ووساوسهم بمنطق متين.

لقد أجاب القرآن الكريم في هذه الآيات على منكري الحق وأصحاب المقولات الباطلة فيما يرتبط بصفات الربِّ وأسمائه، وكذلك ردَّ بشكل محكم على منكري النبوة والقيامة وبقية المسائل الحقة، فكان رده في ذلك قوياً بحيث لم يبق للمخالف قدرة على التفوه بشيء إلى الأبد، وأغلق أمام المعاند جميع طرق الإنكار، وفضح المنكرين في كلا المجالين العلمي والعقلي. وأثبت صحة كلامه المحق بحيث يبقى حتى صبح يوم القيامة أمام طريق الإنسان مشعلاً مضيئاً لهدايته، ولايبقى للمخالف أي طريق للاحتجاج والنصر.

تبيين الصراط المستقيم:

٦- تبيين الطريق السوي، وتوضيح الصراط المستقيم والأخطار التي تحف بهذا الطريق العظيم، وطريق تحصيل الاستعداد للحركة في هذا الطريق، والتسلح بالسلاح لدفع اللصوص ومفاسد الذين يتربصون في الكمين بكامل قواهم لإضلال الإنسان.

وتشتمل هذه المجموعة من الآيات الشريفة على الحلال والحرام والدّيات والأحكام والقصاص، كما تطرح في هذه الآيات قضية السياسة الصحيحة بنظر الإسلام، ومسألة تشكيل الحكومة والجهاد وإنفاق المال وتقديم النفس في سبيل الله.

قرّاء القرآن الجهلة:

بعد هذه المقدمات المهمة في بيان شيء يسير من عظمة القرآن ومسؤولية الإنسان تجاه هذا الكتاب المليء بالفيض، وتوضيح أن سعادة الدارين تكمن في مطابقة الحياة لهذا المنبع للبركة، وأن الشقاء الأبدي هو نتيجة لمهجورية هذه المائدة الإلهية، نتعرض هنا لتوضيح ماجاء في الرواية حول بيان حال القراء الجهلة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

إن قارئ القرآن الذي لايملك علماً ومعرفة بهذا الكتاب، وهو بنفس الوقت معجب بنفسه، هو كمن لايملك شيئاً من المال والأملاك ولكنه رغم ذلك معجب بنفسه ولديه شعور بالأنا والكبر.

وكما أن المتكبر المعجب الذي لامال ولاملك له يبغض الناس ويشعر بالحقد تجاههم بسبب فقره، والناس يبغضونه في المقابل بسبب عجبه، فكذلك القارئ

الجاهل وقارئ القرآن فاقد المعرفة فهو يخاصم الناس ويعاديهم من دون الاستناد لأصل من الأصول وإنما ذلك بسبب فقره المعنوي وعدم علمه بحقائق القرآن، فهو بعيد عن التوازن الروحي والفكري، وتكون معاملاته مع الناس معاملات إبليسية شيطانية، وهو رغم ذلك يرى نفسه قارئاً للقرآن، ويضع على نفسه هذا العنوان العظيم رغم عدم استحقاقه له.

إنه لايدري أن المنازعة والمخاصمة مع الخلق ترجع إلى المنازعة والمخاصمة مع الله.

إنه لايعقل أن جميع تقديرات الحق وأفعاله عين الحكمة والمصلحة ومحض العلم والعدالة.

إنه لايتنبه إلى أن الله الرحمن قد وضع وجود كل شيء في مكانه المناسب، وأن العالم هو كالخط والخال والحاجب بحيث أن كل شيء قد وضع في مكانه المناسب. فهو يقول: أنا قارئ للقرآن، ولكنه وبسبب جهله بالقرآن فإنه لايتعامل مع الناس بشكل صحيح، فأبوه وأمه وزوجته وأولاده وأصدقاؤه وكل من له علاقة به يعانون من المشقة والعذاب بسببه، فمثله لايفهم أنه بذلك يوجه ضربة للإسلام والقرآن، وهولايلتفت إلى أن وجوده مصدر للشر، وأن أعماله عين الظلم والجور.

إنه لو كان قد فهم القرآن لكان عاش بعدالة، ولكان تابعاً للحق والحقيقة في جميع شؤونه، ولكان مسلماً للواقعيات في جميع الأمور، ولكان يفرُّ من أصغر الذنوب الصغيرة فضلاً عن الكبيرة منها، ناهيك عن ظلم الناس والجور عليهم !.

إن جميع إشكالات قارئ القرآن الجاهل بأوضاع عالم الوجود وأحوال ظاهر الناس وباطنهم هي من قبيل إشكالات بني إسرائيل، وهي في الحقيقة إشكال على ربِّ العزة والجلال.

وهؤلاء القراء الجهلة هم كالذين أشارت إليهم الروايات المعتبرة حيث ورد فيها التحذير من أمثال هؤلاء القراء المذبذبين المتلونين المنافقين بائعي الدين بالدنيا تابعي الحكام والسلاطين والمخاصمين للناس، فإن ضررهم على المجتمع أكبر من ضرر الذئب على قطيع الغنم، وهم أشد على أولياء الله من جيش يزيد في كربلاء !!.

والله تعالى يقول في كتابه المجيد:

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنيرٍ﴾[1].

فهؤلاء لاقدرة لهم على تمييز الصواب من الخطأ، وهم من أهل الخسران، وليس هناك من هو أشد خسارة منهم.

---

١ ـ الحج: ٢٢: ٨

«وَلَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عِقاباً مِمَّنْ لَبِسَ قَميصَ النُّسُكِ بِالدَّعْوى بِلا حَقيقَةٍ وَلا مَعْنىً. وَقالَ زَيْدُ بْنُ ثابِتٍ لِابْنِهِ: يا بُنَيَّ لا يَرَى اللّهُ اسْمَكَ في ديوانِ القُرّاءِ»

عذاب القارئ الجاهل:

لايوجد يوم القيامة عذاب أشد من عذاب الإنسان المدعي الذي لاعمل له، والقارئ الجاهل، أولئك الذين يكونون بحسب الظاهر من العبّاد والزهاد، ولكنهم في الباطن متلبسون بالأوصاف الدنيئة والصفات السيئة.

وقد أوصى زيد بن ثابت ابنه بأن يتحرز عن أن يكون ممن يجعل الله اسمهم في ديوان القراء، أي القراء الذين يقرؤون ظاهر القرآن ولكنهم غافلون عن باطن القرآن ومعانيه[1].

١- مستدرك الوسائل: ٢٥٢/٤، باب ٧، حديث ٤٦٢٦.

«وَقالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: يَأتي عَلى أُمَّتي زَمانٌ تَسْمَعُ بِاسْمِ الرَّجُلِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلقاهُ وأَنْ تَلقاهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُجَرِّبَه.

وَقالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: أَكْثَرُ مُنافِقي أُمَّتي قُرّاؤُها فَكُنْ حَيْثُ نُدِبْتَ إِلَيْهِ وَأُمِرْتَ بِهِ»

القراء المنافقون:

يقول النبي صلى الله عليه وآله: سوف يأتي يوم على أمتي يكون سماعك باسم الشخص خير من أن تراه وتلقاه، وأن تلقاه خير من أن تعاشره، وذلك لأن ظاهر أكثر الناس لايكونَ مطابقاً لباطنهم [1].

وكذلك يقول صلى الله عليه وآله: إن أكثر منافقي هذه الأمة هم القراء الذين لايعملون بما يقرؤون من القرآن ولايكون قولهم مطابقاً لعملهم. فاسع كي يكون عملك موافقاً لقولك[2]، واعمل بمضمون الآية الشريفة:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[3].

١- مستدرك الوسائل: ٢٥٢/٤، باب ٧، حديث ٤٦٢٦.

٢- مستدرك الوسائل: ٢٥٢/٤، باب ٧، حديث ٤٦٢٦.

٣- هود ١١: ١١٢.

«وَأَخْفِ سِرَّكَ مِنَ الْخَلْقِ مَا اسْتَطَعْتَ وَاجْعَلْ طاعَتَكَ لِلّهِ بِمَنْزِلَةِ روحِكَ مِنْ جَسَدِكَ، وَلْتَكُنْ مُعْتَبِراً حالُكَ ما تُحَقِّقُهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بارِئِكَ وَاسْتَعِنْ بِاللّهِ في جَميعِ أُمُورِكَ مُتَضَرِّعاً إِلَيْهِ آناءَ اللَّيل والنَّهارِ»

رضا الله في الطاعة:

أخف أسرار باطنك وأمورك عن الناس، فإن إذاعة السر يؤدي للندم.

واجعل طاعتك وعبوديتك لمحض رضا الحق تعالى، واجعل هذه الطاعة في حياتك بمنزلة الروح من الجسد، فالجسد الذي لاروح فيه لاخير فيه، والإنسان الذي لاطاعة له لاسعادة ولاسلامة له، وكما أن مفارقة الروح للبدن مؤلمة وصعبة فاسعَ كي تكون حالك بالنسبة لطاعة الله تعالى كذلك أيضاً بحيث تكون مفارقة الطاعة أشد الأمور عليك.

وأصلح فيما بينك وبين ربك، واجعل سعيك أن تكون مرضياً عند الله حتى وإن لم تكن مرضياً عند الناس ولم يحبوك.

وتضرع إلى حضرة المحبوب ليلاً ونهاراً، واستعن بحضرة الحق في جميع أمور ظاهرك وباطنك، فلامعين ولامغيث سواه تعالى.

يقول «نشاط أصفهاني»:

إلهي أنا الذي بكرمك منحته سبيلاً إلى الوجود من العدم.

ذاتك التي لاشبيه لها قد أفاضت جوداً فمنحت العدم من الكرامة كل ماكان.

فجودك لم يجد أفقر مني ليظهر كمالك وفضلك.

وكل ماكان مخزوناً في كنز العدم قد مضى واحداً بعد واحد حتى وصل الدور لي.

فقدرتك هي التي منحتنا الوجود بعد العدم وأغنتنا بعد الفقر.

وحقاً أقول إنني الآن أيضاً مازلت ذاك العدم وحتى لو لم أعترف بذلك فأنت تعلم حقيقتي.

يامن بوجودك ظهرت ظلمتنا إن ظلمتنا هي حجاب نور وجهك.

ياستار عيوب عبادك أخف عيوبنا.

أنا الذي رأيت ستاريتك لظلمي متى أيأس من غفاريتك!.

أعْمَيتَ أبصار وآذان خلقك عن عيوبي فيارب أخف عيوبي عن نفسي أيضاً.

«قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَيُحِبُّ الْمُـعْتَدينَ﴾[1] وَالأعتِداءُ مِنْ صِفَةِ قُرّاءِ زَماننا وَعَلاماتِهِمْ.

ولْتَكُنْ مِنَ اللّهِ تَعالى في جَميعِ أَحْوالِكَ عَلى وَجَلٍ لِئَلا تَقَعَ في مَيْدانِ التَّمَنّي فَتَهْلِكَ»

القارئ والخوف من الله:

يحث القرآنُ الإنسانَ على التضرع إلى الله تعالى في جميع الأمور، وأن يدعوه تعالى في جميع الأحوال بشكل خفي. إن الله لايحب خروج أي عمل عن الحد الوسط، ففي الدعاء وقراءة القرآن لاينبغي رفع الصوت، وإنما ينبغي التأمل في مفاهيمه ومعانيه، فالذي لايكون خاشعاً خاضعاً في قراءة القرآن والدعاء ولايتدبر في آيات الحق تعالى يكون من المعتدين.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في نهاية الرواية:

كن في جميع أحوالك بحالة خوف ووجلٍ من الله تعالى، لئلا تقع عند قراءة القرآن في شيء من تمنيات النفس ومشتهياتها فتفتح بذلك على نفسك باباً إلى

١ـ الأعراف: ٧: ٥٥.

العذاب الأبدي، وتطرد من بساط القرب إلى البعد، ومن الرَوح والرحمة إلى الذلة واللعنة.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنَّ في جَهَنَّم رَحى تَطحَنُ أَفَلاتَسْألون ماطَحْنها؟ فقيلَ لهُ: فما طَحْنها ياأَمِيرَ المؤمِنين؟ قالَ: العُلَماء الفَجَرة والقُرَّاء الفَسَقة والجَبابِرَة الظَّلمة والوزَراءُ الخَوَنة والعُرَفاء الكَذَبة»[1].

١- مستدرك الوسائل ٤/٢٥٠، باب ٧، حديث ٤٦٢٣.

الباب

(٦٧)

في بيان الحق والباطل

قَالَ الصّادِقُ عليه السلام:

اِتَّقِ اللّهَ وَكُنْ حَيْثُ شِئْتَ وَفي أَيِّ قَوْمٍ شِئْتَ فَإِنَّهُ لا خِلافَ لأَحَدٍ فِي التَّقْوى، وَالتُّقى مَحْبُوبٌ عِنْدَ كُلِّ فَريقٍ وَفيهِ جِماعُ كُلِّ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، وَهُوَ ميزانُ كُلِّ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ وَأَساسُ كُلِّ طاعَةٍ مَقْبُولَةٍ.

وَالتَّقْوى ماءٌ يَنْفَجِرُ مِنْ عَيْنِ الْمَعْرِفَةِ بِاللّهِ تَعالى، يَحْتاجُ إِلَيْهِ كُلُّ فَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ وَهُوَ لا يَحْتاجُ إِلاّ إِلى تَصْحيحِ الْمَعْرِفَةِ بِالْخُمُودِ تَحْتَ هَيْبَةِ اللّهِ وَسُلْطانِهِ. وَمَزيدُ التَّقْوى يَكُونُ مِنِ اطِّلاعِ اللّهِ تَعالى عَلى سِرِّ الْعَبْدِ بِلُطْفِهِ. فَهذا أَصْلُ كُلِّ حَقٍّ.

وَأَمَّا الْباطِلُ فَهُوَ ما يَقْطَعُكَ عَنِ اللّهِ يَتَّفِقُ عَلَيْهِ أَيْضاً كُلُّ فَريقٍ فَاجْتَنِبْ عَنْهُ وَأَفْرِدْ سِرَّكَ لِلّهِ تَعالى بِلا عَلاقَةٍ.

قالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَتْهَا الْعَرَبُ كَلِمَةٌ قالَها لَبيدٌ:

أَلا كُلُّ شَيْءٍ ما سِوَى اللّهِ باطِلٌ

وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلٌ[1]

فالْزَمْ ما أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الصَّفاءِ وَالتُّقى مِنْ أُصُولِ الدّينِ وَحَقايِقِ الْيَقينِ وَالرِّضا وَالتَّسْليمِ وَلا تَدْخُلْ فِي اخْتِلافِ الْخَلْقِ وَمَقالاتِهِمْ فَتَصْعُبَ عَلَيْكَ.

وَقَدْ أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ الْمُخْتارَةُ بِأَنَّ اللّهَ تَعالى واحِدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَأَنَّهُ عَدْلٌ في حُكْمِهِ يَفْعَلُ ما يَشاءُ وَيَحْكُمُ ما يُريدُ وَلا يُقالُ لَهُ في شَيْءٍ مِنْ صُنْعِهِ لِمَ؟

١ـ زياد بن لبيد.

وَلا كانَ وَلا يَكُونُ شَيْءٌ إلاّ بِمَشِيَّتِهِ وَأَنَّهُ قادِرٌ عَلى ما يَشاءُ وَصادِقٌ في وَعْدِهِ وَوَعيدِهِ وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُهُ وَأَنَّهُ مَخْلُوقٌ وَأَنَّهُ كانَ قَبْلَ الْكَوْنِ وَالْمَكانِ وَالزَّمانِ وَأَنَّ إحْداثَ الْكَوْنِ وَفَناءَهُ عِنْدَهُ سَواءٌ مَا ازْدادَ بِإحْداثِهِ عِلماً وَلا يَنْقُصُ بِفَنائِهِ مُلْكُهُ، عَزَّ سُلْطانُهُ وَجَلَّ سُبْحانهُ فَمَنْ أَوْرَدَ عَلَيْكَ ما يَنْقُضُ هذا الأصْلَ فَلا تَقْبَلْهُ وَجَرِّدْ باطِنَكَ لِذلِكَ تَرى بَرَكاتِهِ عَنْ قَريبٍ وَتَفُوزُ مَعَ الْفائِزينَ.

«اِتَّقِ اللّهَ وَكُنْ حَيْثُ شِئْتَ وَفي أَيِّ قَوْمٍ شِئْتَ فَإِنَّهُ لا خِلافَ لأَحَدٍ فِي التَّقْوى، وَالتُّقى مَحْبُوبٌ عِنْدَ كُلِّ فَريقٍ وَفيهِ جِماعُ كُلِّ خَيْرٍ وَرُشْدٍ»

يشير الإمام الصادق عليه السلام في هذا الفصل إلى مسألة الحق والباطل، فهو يرى أن التقوى حق وأن العيش بدون حدّ أو حدود هو أمر باطل.

وسوف يأتي الحديث مفصلاً عن التقوى ودراسة جميع جوانبها إن شاء الله تعالى في شرح رواية الباب الثاني والثمانين من هذا الكتاب.

ونكتفي هنا بتوضيح مختصر لهذه الرواية المهمة، ونسأل الله المتعال والرب الرحيم بخضوع وخشوع أن يهدينا جميعاً لطريق الحق ويعصمنا من الوقوع في الباطل.

حقيقة التقوى:

إن الدراسة الشاملة في المسائل الإلهية توصلنا إلى هذه النتيجة وهي:

إن التقوى هي حالة داخلية تنشأ من المعرفة بالحق ومعرفة الأنبياء والأئمة والقرآن، والاستقامة في أداء الواجبات وترك المحرمات، والتحلي بمحاسن الأخلاق وتجنب الأوساخ النفسانية. وإذا وجدت هذه الحالة واستقرت في أرض

وجود الإنسان وتجذرت فإن وجود الإنسان يغدو منبعاً للخير والبركة وتتفتح أمامه أبواب سعادة الدنيا والآخرة.

وبالنتيجة لابد من القول بأن التقوى هي محصول الحق، والحق عبارة عن وجود الله المقدس، ووجود الذين تمت تربيتهم مباشرة من قبله تعالى وهم الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وكذلك هو عبارة عن القرآن الكريم الذي هو انعكاس علم الحق تعالى وإرادته ومشيئته وحكمته في المجتمع البشري.

وباعتبار أن التقوى انعكاس وظل للعلاقة مع الله والأنبياء والأئمة عليهم السلام والقرآن الكريم، والحياة طبقاً لتوجيهات أولئك العظماء وللقرآن الكريم، فإن الإمام الصادق عليه السلام يطرح التقوى على أنها الحق وعدمها هو الباطل.

فالشخص الحق هو المتحلي بالتقوى، والأسرة الحقة هي المتزينة بالتقوى، والمجتمع الحق هو المجتمع الذي تلبَّس بلباس التقوى.

وإذا علمت معنى التقوى ومفهومها بالشكل الذي مضى في الأسطر السابقة، تكون قد علمت معنى الحق، وعرفت أيضاً ضده الذي هو الباطل. ويلزمك حينئذ مراعاة جانب الحق في جميع مجالات الحياة سواء في مرحلة الاعتقاد أم العمل، والفرار من الباطل كفرار النعجة من الذئب.

ونكتفي في هذا الفصل بذكر مسألة واحدة، وهي: أيها الأعزة! يابني آدم! إن الحق والذي هو عبارة عن الوجود المقدس للخالق الواحد ووجود الأنبياء والأئمة عليهم السلام والقرآن هو أوضح من النهار وأظهر من نور الشمس، فمامعنى أن تهملوا منابع النور والعدالة والحق والحقيقة، وتهتموا بأمور يكون مرشدكم فيها هوى النفس والشياطين سواء من الداخل أم الخارج.

تأملوا قليلاً لتجدوا في أثناء التفكر أنفسكم، فإن الوصول إلى النفس نعمة عظيمة، لأن من عثر على نفسه وعرفها فإنه سوف يصل دون شك إلى الله ويعرفه:

«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»[١].

نعم، فمن التدبر في وجودك والتفكر في الخلق والدقة في نظام الخلقة سوف تصل إلى خالقك وخالق الكون والعالم، وإذا وصلت إليه تعالى فسوف ينفتح أمامك التوفيق للوصول إلى الأنبياء والأئمة عليهم السلام، والوصول إلى القرآن الكريم، وإذا توجهت إلى الأنبياء والأئمة عليهم السلام والقرآن فسوف تصبح عاشقاً للطهارة والنقاء، وعلى أثر هذا العشق النابض سوف تتحرك لإصلاح قلبك وعملك وأخلاقك، وحينئذ تصبح مصداقاً للحق ويتبدل وجودك إلى منبع للخير والبركة، وسوف تسافر إلى لقاء المحبوب ووصاله، وسوف تصل إلى المقصد الأعلى والهدف الأسنى.

نعم، ابحث عن الحق فإن العثور عليه سهل، وعندما تجده فاقبض بيدك عليه إلى الأبد، لأنك بذلك سوف توفق لكسب الرحمة والرضوان، وسوف تتجلى فيك حقيقة الخلافة الإلهية وعلم الأسماء والأشرفية والأفضلية على جميع الموجودات.

وبقول العارف النيشابوري وكم كان جميلاً شعره في ذلك:

أيها القلب إذا أردت أن يكون لك صاحب فابحث عن صاحب في سبيل الله.

وإذا أخذتك أيها القلب سكرة طبل الوحدة فلاتفكر حينها أين أنت.

١ـ عوالي اللآلئ: ١٠٢/٤، حديث ١٤٩؛ بحار الأنوار: ٣٢/٢، باب ٩، حديث ٢٢.

وإذا سلبت النفس والهوى عقلك فقاوم نفسك التي بداخلك.

وإذا ابتليت مثل يوسف ببئر كنعان فتحمل في البئر المحنة والبلاء.

وإذا وقعت في بحر الحقيقة فلاتكن غافلاً وتحرك دائماً بيدك ورجلك.

ولاتفكر مثل إبراهيم محطم الأصنام أن تخرج سالماً من كل نار تواجهها.

وتبرأ مثل موسى في طور سيناء فإن زاد هذا الطريق هو التقوى.

اذهب يا «عطار» أيها المسكين وكن تراب الطريق عند أهل القلوب لتصل إلى مبتغاك.

الحق في آيات القرآن:

ونستعرض هنا بعض الآيات المرتبطة بالحق:

الله حق:

﴿ذلكَ بِأَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[1].

﴿فَتَعَالَى اللّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[2].

خلق السماوات والأرض:

﴿مَا خَلَقْنَا السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[1].

١ـ الحج ٢٢: ٦٢.

٢ـ المؤمنون ٢٣: ١١٦.

﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَا خَلَقَ اللّهُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[٢].

﴿خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣].

بعثة الأنبياء وإرسال الرسل:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لاَنُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُولئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤].

الكتب السماوية:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيما اخْتَلَفُوا

١ـ الأحقاف ٤٦: ٣.

٢ ـ الروم ٣٠: ٨.

٣ـ النحل ١٦: ٣.

٤ـ الأعراف ٧: ٤٢ ـ ٤٣.

فِيهِ﴾[١].

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ مِن قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ﴾[٢].

ماجاء من عند الله:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾[٣].

﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾[٤].

كتمان الحق:

﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥].

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارى قُلْ ءأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ

١ـ البقرة ٢: ٢١٣.

٢ـ آل عمران ٣: ٣ ـ ٤.

٣ـ البقرة ٢: ٢٦.

٤ـ القصص ٢٨: ٥٣.

٥ـ آل عمران ٣: ٧١.

عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾[٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

﴿وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤].

الموت وسكراته:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[٥].

١ـ البقرة ٢: ١٤٠.

٢ ـ البقرة ٢: ١٥٩.

٣ـ البقرة ٢: ١٧٤.

٤ـ البقرة ٢: ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

٥ـ ق ٥٠: ١٩.

صيحة القيامة:

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَكَانٍ قَرِيبٍ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[١].

القيامة:

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً﴾[٢].

موازين الأعمال:

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

وطبقاً للآيات والروايات فإن الله تعالى يكون يوم القيامة ميزاناً مثل القرآن والرسول صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا كانت أعمال المرء وعقائده وأخلاقه مطابقة لهذه الموازين ومتوافقة معها فهو من أهل النجاة، وإلا فإنه يقع في العذاب الأبدي.

قضاء الله:

﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ

١ـ ق ٥٠: ٤١ ـ ٤٢.

٢ـ الفرقان ٢٥: ٢٦.

٣ـ الأعراف ٧: ٨.

بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[١].

مواعد الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً﴾[٢].

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[٣].

﴿أَلاَ إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّماوَاتِ والأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللّهَ حَقٌّ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٤].

﴿وَعْدَ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ اللّهُ وَعْدَهُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٥].

١ـ الزمر ٣٩: ٦٩.

٢ـ النساء ٤: ١٢٢.

٣ـ يونس ١٠: ٤.

٤ـ يونس ١٠: ٥٥.

٥ـ الروم ٣٠: ٦.

العارفون بالحق:

نعم، العارفون بالحق تعالى الذين أصبحوا عشاقاً للحق نتيجة لعرفانهم يملكون قلوباً مليئة بالرحمة، وأفئدة تفيض بالعاطفة، ونفوساً طاهرة، وأعمالاً صالحة، وعيوناً باكية، فلاحظوا الآية التالية:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ، فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

نعم، العارف العاشق يكون من أصحاب الأحوال، ومن أصحاب القلوب، ومن أهل السير والسلوك، ومن أهل الخدمة والشفقة على خلق الله، ومن أهل الله، ومن أهل الحقيقة والمعنى الذي اكتسبه نتيجة عرفانه الحقيقي، ونتيجة تجلي أسماء الحق وصفاته في روحه وقلبه.

وبقول عارف المعارف «افتخار الدين زوزني»:

لاتضع الأيام أكثر من ذلك في إدارة الكأس.

إذا أردت الحياة فتذوق من شراب العشق وارم الزهد دفعة وابحث عن العشق.

١ـ المائدة ٥: ٨٣ ـ ٨٥.

يجب تعلم العشق من «افتخار» فقطف الثمار يحتاج إلى إحراق النفس.

إن العشق يعني قطع العلائق والسوح في العالم بلا رأس ولاقدم.

وكل من وقع في قيده، وكل من وقع في العشق.

فليغسل مثلي يده من الوجود وليترك لذة الدنيا والآخرة.

العشق شمس ويقولون عنه أنه «مهر[1]» ولكن قدره أجل من الأفلاك التسعة.

فروح القدس من لمعات أنواره والنفس الكلية من شعاع آثاره.

وعلى كل حال، وطبقاً لآيات القرآن الكريم فإن المصاديق البارزة للحق هي عبارة عن:

الله تبارك وتعالى

السماوات والأرض

الموجودات السماوية والأرضية

بعثة الأنبياء وإرسال الرسل

الكتب السماوية

ماجاء من عند الله

الموت وسكراته

صيحة القيامة

القيامة

موازين الأعمال

١ـ اسم رب نوع الشمس عند قدماء الفرس.

قضاء الله

مواعد الله تعالى

إن الذين يملكون معرفة بهذه الواقعيات المذكورة، وتكون جميع حركاتهم وسكناتهم مبنية على أساس تلك المعرفة، هم أهل التقوى، وبعبارة أخرى هم أهل الحق، وكل من يخرج عن مدار هذه المعرفة ولايكون عمله مبنياً على أساس منها هو من أهل الباطل، حتى ولو ادعى الحق وأنه من أهل الحق. وبناءً على هذا فإن التقوى التي عرّفها الإمام الصادق عليه السلام في هذه الرواية بأنها الحق هي بالمعنى الذي مضى ذكره، وضدها يكون باطلاً بدون شك أو ترديد. نعم، التقوى حق، ومعناها واسع سعة ظاهر وباطن الخلق، والمتحلي بها يكون من أهل الحق، وهو عند الله أكرم الناس وأشرفهم.

إنكم إذا تأملتم في الأسطر السابقة فسوف يتبين لكم أن هذه المسألة تعتبر من أدق المسائل، ومن أعمق المواضيع.

ولايملك الإنسان القدرة على الوصول إلى التقوى والحق، إلا إذا تجنب هوى النفس وهجر الآمال البعيدة.

إن الهوى وهو عبارة عن طغيان جملة الغرائز الحيوانية يعتبر أصعب مانع أمام حركة الإنسان في طريق القرب واللقاء.

الهوى مانع من الوصول إلى الله:

نعم، لقد ثبت تاريخياً أن جميع المظالم والشرور والفساد وألوان الجور والطغيان والقتل والخيانة والعدوان كانت نتيجة اتباع الإنسان لأهوائه وآماله

الطويلة والبعيدة. فالهوى يعمي العين التي ترى الحق، ويصم الأذن التي تسمع الحق، ويفسد القلب المطيع.

وقد قال الكمَّل من الأولياء وكبار العرفاء في شرح الآية الشريفة:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَيَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَيَسْمَعُونَ بِهَا أُولئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

«لَيْسَ الْمُرادُ أَنَّهُمْ لا يُبْصِرُونَ الْمَحْسُوساتِ وَلا يَسْمَعُونَ الأَصْواتِ وَلا يَفْقَهُونَ الأُمُورَ الدُّنْيَوِيَّةِ بَلْ وَهُمْ كامِلونَ في تِلْكَ الْجِهاتِ، وَإِنَّما هُوَ عَدَمُ الإِدْراكِ وَالتَّفَقُّهِ وَالاسْتِماعِ لِمَعالِي الأُمُورِ وَمَراتِبِ الْعِرْفانِ».

وذلك لأن تمام همتهم وجلَّ هدفهم هو الأمور البهيمية، وإشباع البطن والشهوة، والاستغراق في الماديات والأمور المحسوسة، لدرجة أنهم اعتقدوا أنه لايوجد عالم آخر وحياة أخرى وراء عالم البطن وحياة الشهوة.

يقول «مولوي» في كتابه «مثنوى معنوى»:

ضع التراب على بصرك الحسي فالبصر الحسي عدو للعقل والدير

ولقد عدَّ الله بصر الحس أعمشاً وكذلك مشركاً.

لأنه رأى الزبد ولم ير البحر ورأى الحال ولم ير الغد.

١ـ الأعراف / ١٧٩.

فلاتدع الصورة والخيال يأسرانك فإن ذاتنا لامثيل لها.

يقول عاشق متوله:

إلهي! طهِّر أبصارنا عن العيب، وجنِّب صدورنا من الريب، وامنن علينا بعين يكون كل ما تراه مَطلعاً للأنوار، وتكرَّم علينا بقلب يكون مخزناً للأسرار لكل مايخطر في البال. وبعظمتك لاحظ العصاة بنظر مغفرتك، واصقل برحمتك صدأ المعصية عن ضميرنا لنتحرر من قيود جميع الأغلال والألوان، ونفرح بقيد عدم التلون [البلورية] بلون، كي نرى كل حسن وقبيح يواجهنا هو من أنفسنا، ونرضى بكل تعب وراحة تقابلنا، وليس خاطئاً ماقلته من أن كل من شرب جرعة من شراب عدم التلون [البلورية] فإنه ينسى كلياً وجوده وعدمه، إذ أي مجال يبقى هناك للحسن والقبح؟ وللتعب والراحة؟.

يقول «نور علي شاه أصفهاني»:

إذا شربت كأساً في هذه الخمارة فإنك تنسى وجودك وعدمك.

وتصبح مرتاحاً من كل لون وتغدو فارغ البال من الحرب والسلم.

ولايبقى مجال للحسن والقبح ولاتشعر بالملل من التعب والراحة.

الهوى بنظر الإمام علي عليه السلام:

يقول علي عليه السلام في «**نهج البلاغة**»:

«أَيُّهَا النَاسُ إِنَّ أَخْوَفَ ما أَخافُ عَلَيْكُمْ اِثْنانِ: اِتِّباعُ الْهَوى وَطُولُ الأَمَلِ، فَأَمّا اِتِّباعُ الْهَوى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمّا طُولُ

الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ»[١].

ويقول شارح نهج البلاغة العلامة الجعفري في توضيح هذا الكلام[٢]:

الهوى عبارة عن أمواج عاتية تهيج على أثر غليان الغرائز الحيوانية، فتجعل الفضاء الداخلي مسوداً مظلماً، وتؤدي إلى تعطيل أسباب وأدوات إدراك الحقيقة.

إن هذا الهوى ورغم أنه لاحقيقة له ولاأصالة فيه سوى للرغبات غير المسؤولة، فإنه يستطيع أن يحجب عن عيني الإنسان وعقله ووجدانه كل ماله أصالة وجميع الحقائق، وهو نفس عبارة «أرغب وأريد» التي لاتعتمد على دليل ولاسبب سوى نفسها، وإنه لكلام لا أصالة له عندما يُسأل شخص عن عمل قد أقدم عليه طبقاً لهواه فيقول في مقام الجواب « قلبي يريد»، فأي قلب هذا؟!.

يقول «مولوي» في كتابه «مثنوى معنوى»:

أنت أيضاً تقول عندي قلب، إن القلب متعلق بالعرش وليس بالحضيض.

القلب والهوى؟!. إن القلب موضع إدراك أعلى الحقائق، إن القلب هو البعد الملكوتي للإنسان، والذي يدرك بواسطته وجود الله تعالى، والقلب هو المصفاة التي تقوم بتصفية جميع المفاهيم والموضوعات التي تنقلها الحواس الطبيعية إلى العقل النظري، ويقوم العقل النظري بإرسالها إلى القلب بدون أن يدرك عظمتها وبعدها القيمي.

١ـ نهج البلاغة: خطبة ٤٢؛ الكافي: ٥٨/٨، خطبة لأميرالمؤمنين، حديث ٢١.

٢ـ ترجمة و تفسير نهج البلاغة: ٢٧٣/٩.

«قلبي أراد فعملت» هي من الجمل المهلكة لوجود الإنسان، والتي تأتي بلباس الحق ولكنها تضرم النار في جميع الأصول والقوانين المبنية على الحق والحقيقة.

فالهوى هو تلك الأمواج غير المسؤولة التي ترتفع من غليان الغرائز الإنسانية، فتتلاعب بجميع الحقائق وكل ماله أصالة بدون أن تهتم بـ«مايجب» وما «ينبغي» ومالا«يجب» ومالا«ينبغي»، وتهدر ثروات حياة الإنسان الثمينة.

وأحياناً يشتد الانصياع للهوى إلى درجة العبودية، وقد حذر الله تعالى في القرآن من هذا الخطر المهلك:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[1].

وفي تلك الحالة يتم مسخ الوجود الإنساني بشكل كامل، فلايبقى من الإنسانية سوى الأعضاء المادية الشبيهة بالإنسان.

إن السيطرة على الهوى للوصول إلى الحق والحقيقة، هو تماماً كالسيطرة على بركان كمقدمة لاستخراج المعادن الثمينة من ذلك الجبل.

فهناك داخل الإنسان قوى واستعدادات ثمينة جداً، وهي كالمعادن الثمينة الموجودة داخل البركان، وعندما تثور الأهواء كالأمواج فلايقتصر الأمر على قتل تلك الاستعدادات والقوى وخنقها، بل إن الإنسان يغدو حينئذ كالبركان فيتبدل هو نفسه أيضاً إلى موجود خطر.

ونقول بشكل قاطع بأن الآلام الإنسانية التي لاعلاج لها والتي [illegible] ليس منشأها سوى ميكروب الأهواء النفسانية، فأينما رأيت ظالماً وجدت هناك

١ـ الجاثية ٤٥: ٢٣.

مباشرة إلى كشف علته الأصلية، وسوف تجد أن العلة الأصلية لذلك الظلم كان تعدي وطغيان الأهواء النفسانية لشخص أو أكثر.

والدليل الذي جعلنا نقول ماقلناه آنفاً بنحو القطع واليقين، هو أن كل ماهو قبال الهوى فهو أصيل وحقيقة، ولاشك في أنه لايخرج من الحقيقة والواقعيات الأصيلة أي ظلم أو تعدٍ.

إن الخطأ والغلط يمكن أن يحرم الناس أو الإنسان من الوصول للحقائق وماهو أصيل لمدة من الزمن أو على طول الخط، ولكن هذا الحرمان ليس ظلماً وتعدياً. والدليل الواضح على هذا الأمر هو أن الإنسانية على طول تاريخها لم تكن تشعر بالظلم والتعدي بسبب وقوعها في المجهولات التي انتهت بها إلى الوقوع في الضرر، وإنما كانت تشعر بالأسف على تأخر اكتشافها لتلك المجهولات. فمثلاً، لقد ابتلي آلاف وربما الملايين من الناس على مدى القرون والأعصار الماضية بمرض السِّل وماتوا على أثره، ولكن باعتبار أن الجهل بمعالجة السِّل لم يكن أمراً اختيارياً وناشئاً من الهوى فإنه لاأحد من العقلاء يقوم بتوبيخ السابقين ولومهم على تحمل مرضى السِّل للآلام آنذاك وموتهم، ولاأحد يعتبرهم ظالمين نتيجة ذلك، ولكنه إذا قام أحد اليوم باحتكار دواء مرض السِّل بغرض زيادة قيمته لأجل زيادة الربح، والذي هو أوضح مصاديق عبادة الهوى، فلاشك في أنه يكون ظالماً ومتعدياً ومعادياً للحق ومحارباً لله.

ونعود إلى الأمنيات البعيدة والطويلة التي تنسي الآخرة.

ولابد من الالتفات أولاً إلى الفرق بين التمني والأمل، فالأمل عبارة عن إرادة شيء قابل للتحقق في المستقبل، وباعتبار أنه قابل للتحقق فهو بالضرورة يبتني

على الواقعيات أو على ماهو قابل للتبدل إلى الواقعيات، ولذا فالأمل هو تلك الظاهرة النفسية التي كلما كانت مستندة إلى واقعيات وحقائق أكثر كانت أكثر فائدة ودفعاً للحركة. وهذا بخلاف التمني الذي يبرز من خلال جمل من قبيل: «ليته كان كذا» أو «ليته كان قد حدث كذا»، ولذا فالتمني هو نوع من الرغبة غير المتحققة فعلاً والتي لاأثر ولاوجود للعلل والأسباب التي من الممكن أن تحقق تلك الرغبة مستقبلاً.

ولهذا السبب فإن الإنسان مضطر في مجال الأمنيات البعيدة والطويلة إلى أن يقوم باستهلاك طاقاته العقلية في تخيل العلل والأسباب، واستبدال الواقعيات وإهمالها أو الاختيار التبعيضي منها، رغم أن هذه الطاقات والقوى المستهلكة كان من الممكن أن تحقق الكثير من الآمال المفيدة والأكثر ضرورة من تلك الأمنيات البعيدة.

والنتيجة الخاسرة الأخرى التي تؤدي إليها تلك الأمنيات البعيدة والطويلة هي تسبيبها إلى فقدان الآخرة وضياع الأبدية ولقاء الله من أفق روح الإنسان، وهذا هو الخطر الكبير الذي يكمن بوجه امتلاك حياة إنسانية هادفة، ويمنع من الحركة في المسير التكاملي للحياة العقلانية.

فالأمنيات ليست مجرد أمواج ذهنية مؤقتة وآنية، بحيث أنها تثور للحظات ومن ثم تعود لتهدأ، بل إنها دائماً تؤثر وتخدش في الطبقات النفسية الحالية التي تواجه الحقائق والواقعيات وتتأثر منها، وتلصق بها مع الزمن طبقة من المفاهيم الخادعة لتلبسها لباس الحقيقة والمطلوبية، وتمنع الروح من القيام بفعالياتها الطبيعية. وهناك آية قرآنية توبِّخ الذين يعيشون الغد بدون الأمس واليوم، وقد

فقدوا لذلك من أفق روحهم إدراك الأبدية والشوق إليها وحلَّ محل ذلك غد موهوم، فتقول الآية:

﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

أيها القلب إنك لاتدري ألم العشق ولاجرم، فإنك مشغول بحب الذهب والفضة.

تمضي الليل والنهار غافلاً في هذه الدنيا وقد ألقيت الدين أدراج الرياح.

ليس فلاحك بجمع الذهب والفضة وإنما بتحصيل المعرفة وإلا فأنت حمار.

فالكلب لايصبح مَلَكاً بثوب حريري فاسمع هذا الكلام إن كنت إنساناً.

كان أبوك موجوداً وكنت طفلاً والآن ابنك ولدٌ وهو وقت شيخوختك.

بعد أيام قليلة سيكون حال ابنك كذلك أيضاً فالدور يدور.

زر القبور أحياناً حتى لاتكن أسيراً للدنيا. فاللحد ضيق والبيت مظلم، أبوابه الستة تراب والدار وسخة.

هذه الدنيا مثل منزل استراحة في طريق سفر وأنت هناك كمسافر عابر.

كل من أتى إلى هذه الدنيا ماض وأنت أيضاً كذلك حقاً سوف تمضي.

وبعد وضوح معنى التقوى ومفهومها وأصلها، وبالحقيقة وضوح معنى الحق والباطل، فإننا نرجع إلى مفاد رواية «**مصباح الشريعة**»:

---

١ ـ الحجر ١٥: ٢ ـ ٣.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: الزم التقوى، ولاتترك هذه الحقيقة العالية، لأنك إذا لزمت التقوى وتحركت بمقتضاها واجتنبت المحرمات والمحظورات والشبهات، وتحليت بهذه الصفة الطاهرة الملكوتية، فكن بعد ذلك أينما أردت أن تكون ومع أي قوم شئت، فإنك مادمت متصفاً بهذه الصفة فلن يصل إليك ضرر من أي كان، لأن التقوى صفة المقربين من الله تعالى، ولايشك أحد في مطلوبيتها، ولاخلاف بين أحد من عقلاء العالم في حسنها وفائدتها، فهذه الحقيقة الأصيلة محبوبة عند كل الفرق، وهي جامعة لكل الفضائل وطريق للوصول إلى الرحمة الإلهية الواسعة.

والإنسان يرتبط بالله والأنبياء والأئمة عليهم السلام والقرآن والقيامة وجميع الفضائل والمحاسن من خلال هذه الصفة، ولهذا فإن الإمام عليه السلام يقول بأن التقوى تجمع كل الفضائل.

وَهُوَ ميزانُ كُلِّ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ وَأساسُ كُلِّ طاعَةٍ مَقْبُولةٍ.

وَالتَّقْوى ماءٌ يَنْفَجِرُ مِنْ عَيْنِ الْمَعْرِفَةِ بِاللّهِ تَعالى، يَحْتاجُ إِلَيْهِ كُلُّ فَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ وَهُوَ لا يَحْتاجُ إِلاّ إِلى تَصْحيحِ الْمَعْرِفَةِ بِالْخُمُودِ تَحْتَ هَيْبَةِ اللّهِ وَسُلْطانِهِ. وَمَزيدُ التَّقْوى يَكُونُ مِن اطِّلاعِ اللّهِ تَعالى عَلى سِرِّ الْعَبْدِ بِلُطْفِهِ.

فَهذا أَصْلُ كُلِّ حَقٍّ.

وَأَمَّا الْباطِلُ فَهُوَ ما يَقْطَعُكَ عَنِ اللّهِ يَتَّفِقُ عَلَيْهِ أَيْضاً كُلُّ فَريقٍ فَاجْتَنِبْ عَنْهُ وَأَفْرِدْ سِرَّكَ لِلّهِ تَعالى بِلا عَلاقَةٍ. قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَتْها الْعَرَبُ كَلِمَةٌ قالَها لَبيدٌ:

أَلا كُلُّ شَيْءٍ ما سِوَى اللّهِ باطِلٌ وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلٌ[1]

التقوى ميزان العلم والحكمة:

إن التقوى هي ميزان ومعيار جميع العلوم وأنواع الحكمة، أي أن العلم والحكمة يوزنان بالتقوى، فإذا كان صاحب العلم والحكمة متقياً يكون علمه علماً وحكمته حكمة، ويكونان باعثين على نجاته في الآخرة.

١ـ زياد بن لبيد.

وأما إذا لم يكن من أهل التقوى، فلايكون علمه علماً ولاحكمته حكمة، فالعلم والحكمة اللذان لايلازمهما التقوى لانتيجة لهما سوى خسران الآخرة والحرمان من الرحمة الإلهية الواسعة.

التقوى ماء زلال مصدره معرفة الله، فكلما كانت معرفة العبد بأسماء الله وصفاته أكثر كانت درجته في التقوى أكمل وكان اجتنابه لما ينبغي اجتنابه أشد وأقوى.

فجميع العلوم والمعارف وأنواع الحكمة تحتاج إلى هذه الصفة الملكوتية الطاهرة.

فالعلم الحقيقي والرؤية الواقعية لاتحصلان إلا في ظل التقوى، فالتقوى باب كل معرفة ومدخل كل علم.

ولاتتجذر التقوى في أرض وجود الإنسان إلا بمعرفته بقاهرية الله تعالى ونفاذ حكمه في جميع عالم الخلقة، وأنه تعالى قادر على التصرف والتغيير والتبديل بأي نحو يشاء في جميع جوانب الخلقة، وبعبارة أخرى: فإن التقوى لاتترسخ في وجودك إلا إذا أدركت يقيناً وحقيقة أنك تحت حكم الله وسلطانه، وأنك لست مستقلاً في أي عمل، وأن حياتك ومماتك ونموك وكمالك ورزقك وغير ذلك هو جميعه بيده تعالى، فإذا استقرت هذه المعاني في قلبك من خلال التفاتك للمعارف الإلهية ومفاهيم القرآن الرفيعة فسوف يسهل عليك أداء الواجبات واجتناب المحرمات والتحلي بالأخلاق الحسنة، ومثل هذه المعرفة هي التي تكون أصل كل حق وأساس كل واقعية وفضيلة.

يقول «عطار النيشابوري»:

مكانك مقصدي ووجهك مقصودي فقلبي قد احترق من عشقك كالعود المشتعل.

أي خوف في ذهاب العقل والقلب والروح بل حتى لو لم يبق شيء مادمت أنت مقصودي.

وفي عشقك فإن روحي ليس لها وجود ولاعدم وأنت تعلم كيف يكون اللاوجود واللاعدم.

لقد أعطيت وجوداً من جودك لكل إنسان وهو مجرد تراب أسود.

«عطار» إذا ذهب ظل أنانيتك فسوف تشرق شمس البقاء من طالع السعد.

بما أنك وصلت إلى معرفة الله من خلال آيات القرآن ومعارف الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ومن خلال التفكر في عالم الخلقة، وكذلك عرفت الأنبياء والأئمة عليهم السلام ومعارفهم الإلهية، وتعلمت الحلال والحرام والواجب والفريضة والأخلاق والسنَّة من خلال كتاب الله والفقه الإسلامي، فلابد لك من الانتباه الآن إلى أن كل مايبعدك عن هذه الحقائق وخاصة مايبعدك عن الحق تعالى، ويكون حائلاً وحاجباً بينك وبين الله تعالى، ويزيد من غفلتك وجهلك بالحقائق هو باطل، ولااختلاف في بطلانه بين عقلاء العالم وحكماء الأقوام المختلفة. بل إن جميع الفرق والطوائف والأمم قد اتفقوا على بطلانه، وأذعنوا بسوئه وشره، وهم متيقنون من ذلك. فاجتنب عن التلوث به، واستعذ بالله من الوقوع في الباطل أو أن يصدر منك أمر باطل، ولاتلوث قلبك الذي هو خزانة المعارف الإلهية ومركز الأنوار الربانية بالتعلقات النفسانية والمشتهيات الجسمانية، وطهر باطنك وسرك

الذي هو قلبك من العلائق غير الإلهية، فلاوجود لحقيقة في دار التحقق غيره تعالى.

يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد:

أَلا كُلُّ شَيْءٍ ما سِوَى اللّهِ باطِلٌ وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلٌ[1]

فلماذا يتعلق القلب بشيء لاثبات ولابقاء له، ويكون تعلق القلب به سبب للبعد عن الله تعالى.

إن تعلق القلب بزخارف الدنيا وذهبها وزينتها بالدرجة التي تبعد الإنسان عن الله تعالى يؤدي إلى تلوث الباطن وخبث الطينة وقذارة الباطن ويكون سبباً لصدور كل معصية وذنب من الإنسان. وإذا استمر العصيان واستحوذ على جميع وجود الإنسان فإن صورة الحقيقة تذهب عن صفحة القلب ومرآة الروح حينئذ، وبعد الموت فإن وحوش العذاب و تجسم المعاصي تهجم على الإنسان، وتوقعه في أغلالها إلى الأبد، وتفتح أمام الإنسان باب الخلود في العذاب. وأما إذا تعلق القلب بحبه تعالى فإن كل طهارة الظاهر والباطن سوف تظهر، وتقدم عليك في الآخرة بصورة الجنة.

يقول «**محمد أسيري لاهيجي**» في «**أسرار الشهود**»:

سبع من جهنم فماهي أعمالك السيئة وجنان ثمان هي أعمالك الحسنة.
إن حشرك يكون وفقاً لصورة أعمالك وكل مارأيت هو أحوالك الحسنة والسيئة.
فكل الأخلاق والأوصاف أيها الفتى تتمثل دائماً في صور.

١ـ زياد بن لبيد.

فتكون أحياناً نارك وأخرى نوراً وأحياناً جهنم وأخرى جنات وحوراً.

وبناءً على هذا فلاتضيع من يدك الحقيقة التي يتفق على صحتها وحقانيتها جميع أهل العلم وكافة أهل الحال وكل أهل الصفاء والوفاء، وتلك الحقيقة هي الصفة الرفيعة السماوية والملكوتية التي هي التقوى.

«فالْزَمْ ما أجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الصَّفاءِ وَالتُّقى مِنْ أُصُولِ الدّينِ وَحَقايِقِ الْيَقينِ وَالرِّضا وَالتَّسْليمِ وَلا تَدْخُلْ فِي اخْتِلافِ الْخَلْقِ وَمَقالاتِهِمْ فَتَصْعَبَ عَلَيْكَ. وَقَدْ أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ الْمُخْتارَةُ بِأَنَّ اللّهَ تَعالى واحِدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَأَنَّهُ عَدْلٌ في حُكْمِهِ يَفْعَلُ ما يَشاءُ وَيَحْكُمُ ما يُريدُ وَلا يُقالُ لَهُ في شَيْءٍ مِنْ صُنْعِهِ لِمَ؟

وَلا كانَ وَلا يَكُونُ شَيْءٌ إلاّ بِمَشِيَّتِهِ وَأَنَّهُ قادِرٌ عَلى ما يَشاءُ وَصادِقٌ في وَعْدِهِ وَوَعيدِهِ»

التقوى سبب للوصول إلى الحقائق:

إن التقوى أصل الدين، ووسيلة لنيل الحقائق وسبب للوصول إلى منزل الرضا والتسليم.

ولاتلتفت إلى اختلاف الناس الجاهلين والعوام منهم ونزاعهم ونقاشاتهم حول الحقائق، فإن هذا يبعث على الميل إلى الباطل، فهؤلاء لايمكنهم بعقولهم الناقصة وعلمهم اليسير الورود إلى المعقولات القدسية والمسائل الملكوتية.

والتفت إلى المسائل المؤثرة في فلاحك وتربيتك وكمالك وسعادتك، والتي يجمع عليها نخبة الأمة وعقلاؤها الحقيقيون، والأتقياء الأصفياء، والعشاق والعرفاء المتولهون.

فقد اتفق هؤلاء على أنه يجب على كل مكلف عاقل وعلى كل تابع حقيقي للقرآن والرسول والإمام المعصوم المعرفة وتحصيل اليقين والإقرار بأن رب العالم واحد فرد أحد لاشريك له ولاند ولاشبيه له ولامثيل، كما ينطق بذلك القرآن الكريم:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1].

ومن الواجب عليك أن تعلم بأنه تعالى عدل، ولايليق بجنابه نسبة الظلم إليه تجاه أي موجود كان، وأن كل مايفعله تعالى فهو عين الحكمة ومحض المصلحة ومساوٍ للعدالة.

وأن حضرته تعالى قادر وقوي، وأن حكمه وحكومته نافذة كيفما أراد، فلاطريق للعجز أوالقصور إليه تعالى.

واعلم أن كل ماظهر في عالم الإمكان من مكمن الغيب إلى حيز الوجود والظهور فإنما ذلك بمشيئته البالغة وإرادته الحكيمة:

«ما شاءَ اللّهُ كانَ وَمالَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ»[2].

١ـ الشورى ٤٢: ١١.

٢ـ الكافي: ٥٧١/٢، باب الحرز والعوذة، حديث ١٠؛ بحار الأنوار: ٣٩٤/٧٠، باب ١٤، حديث ١٠.

ومن الواجب الاعتقاد بأنه تعالى صادق، لايليق بجنابه تعالى الكذب، وأن كل ما وعد به الصالحين من درجات الجنة وأنواع الثواب، وكذلك كل ماتوعد به العصاة والمذنبين، فهو واقع حتماً لامفر منه.

«وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُهُ وَأَنَّهُ مَخْلُوقٌ وَأَنَّهُ كانَ قَبْلَ الْكَوْنِ وَالْمَكانِ وَالزَّمانِ وَأَنَّ إِحْداثَ الْكَوْنِ وَفَناءَهُ عِنْدَهُ سَواءٌ مَا ازْدادَ بِإِحْداثِهِ عِلماً وَلا يَنْقُصُ بِفَنائِهِ مُلْكُهُ، عَزَّ سُلْطانُهُ وَجَلَّ سُبْحانُهُ فَمَنْ أَوْرَدَ عَلَيْكَ ما يَنْقُضُ هذا الأَصْلَ فَلا تَقْبَلْهُ وَجَرِّدْ باطِنَكَ لِذلِكَ تَرى بَرَكاتِهِ عَنْ قَريبٍ وَتَفُوزُ مَعَ الْفائِزينَ»

إحاطة القدرة الإلهية:

والتفت إلى أن القرآن هو كلام إلهي ومخلوق وحادث، وقد جاء في هذا الكتاب الجليل ومنبع النور أن علم الله تعالى محيط بجميع العالم، سواء قبل ظهوره بالوجود فهو كان يعلم بما سيكون، أم بعد ظهوره بالوجود فهو عالم بما هو موجود.

واعلم أن وجوده تعالى منفصل عن الموجودات والمجردات والماديات والبسائط والمركبات والمكان والمكانيات والزمان والزمانيات، وفي نفس الوقت فإن كل هذا تحت إحاطة قدرته وإرادته، وهو كان قبل الجميع وهو مع الجميع وسوف يكون بعد الجميع.

«كانَ اللّه وَلا شَيءٌ مَعَهُ وكانَ اللّه وَلا شيءٌ قَبْلَهُ»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما رَأَيْتُ شَيْئاً اِلاّ وَرَأَيْتُ اللّهَ فيه أَوْ قَبْلَهُ أَوْ مَعَهُ»[٢].

واعلم أن وجودات الموجودات وعدمها بالنسبة إليه تعالى سواء، فلانفع له من وجودها، ولايصله ضرر من عدم جميع الكائنات.

عزَّ سلطانه، وجلَّ سبحانه.

فأذعن لهذه الحقائق والواقعيات التي أجمع عليها خُلَّص الأمة وهم أئمة الهدى عليهم السلام والفقهاء والعلماء، واعتقد بها، و حصِّل معرفة الله والأنبياء والقرآن من طريقهم، ولاتلتفت إلى خلاف ذلك من أي شخص كان وفي أي لباس كان.

فإذا اعتقدت بباطنك وقلبك بما وصل من الحق والأنبياء والأئمة عليهم السلام، فسرعان ماتجد خير ذلك، وتحشر مع العبَّاد والزهَّاد الواقعيين في الدنيا والآخرة بسبب هذا الاعتقاد.

نعم، التقوى هي الموت عن الهوى والهوس، وعن الشهوات والمشتهيات، وعن التعلقات والارتباطات الخاطئة، والخلاصة هي الإعراض عما سوى الله والتوجه إليه تعالى، فالحياة الحقيقية هي في هذا الموت، والتخفف من الأثقال هو في هذا الموت، وهذا الموت في الحقيقة هو موت اختياري يحصل بالتقوى واجتناب المحرمات وأداء الواجبات والتحلي بالأخلاق الحسنة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

١ـ بحار الأنوار: ٢٣٣/٥٤، تفهيم و تتميم.

٢ـ موسوعة العقائد الإسلامية: ٧٥/٣، حديث ٣٤٥٤. باختلاف يسير؛ «شرح الأسماء الحسنى»: ١٨٩.

«مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا»[١].

١ـ بحار الأنوار: ٥٧/٦٩، باب ٩٥، حديث ١.

الباب

(٦٨)

في معرفة الأنبياء

قَالَ الصّادِقُ عليه السلام:

إنّ اللّه تَعالى مَكَّنَ أنبياءَهُ مِنْ خَزائِنِ لُطْفِهِ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَلَّمَهُمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَأَفْرَدَهُمْ مِنْ جَميعِ الْخَلائِقِ لِنَفْسِهِ.

فَلا يُشْبِهُ أَخْلاقَهُمْ وَأَحْوالَهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْخَلائِقِ أَجْمَعينَ إِذْ جَعَلَهُمْ وَسائِلَ سائِرِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ وَجَعَلَ حُبَّهُمْ وَطاعَتَهُمْ سَبَبَ رِضاهُ وَخِلافَهُمْ وَإِنْكارَهُمْ سَبَبَ سَخَطِهِ.

وَأَمَرَ كُلَّ قَومٍ وَفِئَةٍ بِاتِّباعِ مِلَّةِ رَسُولِهِمْ وَأبى أنْ يَقْبَلَ طاعَةً إلاّ بِطاعَتِهِمْ وَتَبْجيلِهِمْ وَمَعْرِفَةِ حُرْمَتِهِمْ وَحُبِّهِمْ وَوَقارِهِمْ وَتَعظيمِهِمْ وَجاهِهِمْ عِنْدَ اللّهِ تَعالى.

فَعَظِّمْ جَميعَ أنبياءِ اللّهِ تَعالى وَلا تُنْزِلْهُمْ مَنْزِلَةَ أَحَدٍ مِمَّنْ دُونَهُمْ، وَلا تَتَصَرَّفْ بِعَقْلِكَ في مَقاماتِهِمْ وَأَحْوالِهِمْ وَأَخْلاقِهِمْ إلاّ بِبَيانٍ مُحْكَمٍ مِنْ عِنْدِاللّهِ تَعالى وَإِجْماعِ أَهْلِ الْبَصائِرِ بِدَلائِلَ يَتَحَقَّقُ بِها فَضائِلُهُمْ وَمَراتِبُهُمْ، وَأَنَّى بِالْوُصُولِ إلى حَقيقَةِ مالَهُمْ عِنْدَاللّهِ تَعالى.

وَإِنْ قابَلْتَ أَفعالَهُمْ وَأَقْوالَهُمْ بِمَنْ دُونَهُمْ مِنَ النّاسِ فَقَدْ أَسَأْتَ صُحْبَتَهُمْ وَأَنْكَرْتَ مَعْرِفَتَهُمْ وَجَهِلْتَ خُصُوصِيَّتَهُمْ بِاللّهِ وَسَقَطْتَ عَن دَرَجَةِ حَقائِقِ الإيمانِ وَالمعْرِفَةِ، فَإِيّاكَ ثُمَّ إِيّاكَ.

«إنّ اللّه تَعالى مَكَّنَ أنبياءَهُ مِنْ خَزائِنِ لُطْفِهِ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَلَّمَهُمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَأَفْرَدَهُمْ مِنْ جَميعِ الْخَلائِقِ لِنَفْسِهِ»

نبوة الأنبياء:

يشير الإمام الصادق عليه السلام في هذا الفصل إلى أهم موضوع وأنفع حادثة وقعت في تاريخ الإنسانية، ألا وهي مسألة النبوة والأنبياء.

فنبوة الأنبياء والوجود المبارك للأنبياء، يعني الحقيقة التي في ظلها عُرف التوحيد والمعاد وجميع الحقائق الملكوتية والواقعيات السماوية، ومن بركاتها فتحت أبواب السعادة الدنيوية والأخروية أمام الإنسان.

فلولا الأنبياء الإلهيون لما عُرفت الحقائق السماوية والمسائل القدسية والواقعيات المعنوية، ولما وصلت يد أحد من العالمين إلى المعنويات والثمار المترتبة عليها.

أنتم بأنفسكم أنصفوا وانظروا إلى الذين بذلوا جهداً كبيراً في الفلسفة والحكمة بمعزل عن الأنبياء، وانشغلوا بتدوين المسائل على مدى آلاف السنين، وتركوا آلاف الكتب إرثاً منهم في ذلك، فإلى أين استطاعوا أن يصلوا في هذا الطريق، وارجعوا إلى المكتبات وإلى كتبهم فسوف ترون أنهم إلى الآن مازالوا

مختلفين فيما بينهم أنفسهم في المسائل الأولية للحكمة، وأنهم قد عجزوا ومازالوا عاجزين عن تقديم الحلول لمشاكل الإنسان، وما هو مفيد في مجال سلامة القلب والأخلاق والعمل للإنسان.

فأي فيلسوف وأي حكيم قد دُوِّنت فلسفته وحكمته بمعزل عن النبوة، ورغم ذلك فهي بمقدورها أن تكون أسوة للحياة الواقعية في عالم الحياة، أو يمكن لكتابه أن يحمل حلول المشكلات المادية والمعنوية؟!.

لقد كان الإنسان ومازال عاجزاً عن الوصول إلى الحقائق المعنوية والمسائل الغيبية الجليلة، وكذلك عن معرفة التوحيد بمعزل عن نبوة الأنبياء وطريقهم النوراني.

ويمكنكم التأمل لساعة فقط أو أقل في حياة الفرد والأسرة والمجتمع بمعزل عن النبوة وعن الأفراد والأسرة والمجتمع المرتبطين بالنبوة ليتضح لكم صحة ماذكرناه، ويتبين لكم عظمة مكانة الأنبياء.

فذاك الذي له ارتباط حقيقي بالأنبياء، يمتلك قلباً سليماً، وفكراً طاهراً، وأخلاقاً حسنة، وأعمالاً صالحة، ويكون وجوده باعثاً على الخير والبركة سواء للبيت أم المجتمع، وسواء للفرد ذاته أم للناس، فإذا وصل إلى علم كان عالماً بصيراً، وخبيراً ورعاً، ومعلماً متفقاً، ومرشداً محيياً، ومصدراً للنور، وإذا وصل إلى المال كان منفقاً عاشقاً، ومتصدقاً صادقاً، ومنجياً منقذاً، ومضحياً رحيماً، وحلال مشكلات الفقراء والمساكين والضعفاء، ويكون مصباحاً منيراً وشمعة مضيئة في ليل المحتاجين المظلم، وإذا وصل إلى منصب أو حكومة كان إنساناً

مشفقاً على الرعية، وحاكماً عادلاً، وعاملاً ساهراً، وراعياً يقظاً، وقاضياً وفياً آخذاً لحق المظلوم من الظالم.

وأما من لم يكن له ارتباط حقيقي بالأنبياء، فإنه إذا وصل إلى علم فإنه يكون كاللص الذي يجلب معه مصباحاً ليسرق أغلى البضائع، وكالذئب الذي يهجم على القطيع، فلايأبى من إضلال عباد الله، وترويج ثقافته الشيطانية والمادية على المجتمع الإنساني !.

وإذا وصل إلى المال فإنه يصاب بالحرص والطمع، ويغير على المظلومين والمحرومين ملتذاً بامتصاص دمائهم، ولايرتدع عن أي جناية في سبيل الاستيلاء على الأموال العامة وعلى حقوق المحرومين.

وإذا وصل إلى منصب فإنه يستبيح دماء الناس وأرواحهم وأموالهم وشخصيتهم وحيثيتهم، ويثير الفوضى في الحياة الهادئة للناس، ويلتذ بإشعال النار في حياة الآخرين، ولايردعه عما يفعله هلاك آلاف الناس الأبرياء من النساء والأطفال طعمة في سبيل الحفاظ على منصبه !.

لقد انقسمت البشرية على مدى تاريخها إلى هذين القسمين سواء على مستوى الفرد أم المجتمع: فهناك الذين أناروا فضاء حياتهم وأرواحهم وقلوبهم بنور النبوة، وحتى الإمكان استطاعوا خدمة عباد الله في المجالات المختلفة، وهناك الذين ملأت الظلمة قلوبهم وأرواحهم وفضاء حياتهم، واعتدوا بقدر استطاعتهم على عباد الله، ولم يرتدعوا عن أي جناية وحشية !!.

ولاشك في أنه لولا النبوة، لما كان للنسل الإنساني من وجود وأثر اليوم، أو لما كانت كيفية حياتهم قابلة للمقارنة مع حياة أيٍ من الغابات.

ونشير في بداية هذا الفصل باختصار إلى ماطرحته هذه الرواية، ثم نتعرض للشرح المفصل للموضوع من خلال القرآن والروايات والمسائل العقلية، لعل الله تعالى وهو الرب الرحيم ينوِّر قلوبنا بنور النبوة، ويزيِّن أرواحنا وأفئدتنا بالحقائق التي وصلتنا من أولياء طريق الحق أولئك.

وقد قلت وأنا العاجز المسكين أمام حضرة الله تعالى ومن باب العجز والتضرع:

قلبنا محل نارك المحرقة وروحنا مرآة وجهك الجميل.

ليس لدينا مانعرضه في سوق الوجود سوى الحزن عليك وحقاً نحن الفقراء كلنا عبيد لك.

كل من في العالم غارق في الظلام ونورنا وضياؤنا هو من نور وجهك المتلألئ.

ليس لنا قيمة لإظهارها في العالم فقيمتنا كلها ناشئة منك أنت.

كلنا مجتمعون في خيمة عشقك ومسرورون وهذا الجمع سببه ضفائر شَعْرِك المتطايرة.

سيرتنا المعصية وكل خطواتنا خاطئة وجميع الرؤوس مطأطئة والجميع خجلٌ منك.

احرق روحنا الرخيصة بنار عشقك فألم الأرواح كلها سببه لهيب حبك.

وترحم على هذا المسكين من لطفك وكرمك فأقسم إن الكرامة تليق بك أنت.

مفاد رواية هذا الباب:

إن الله تعالى شفقة منه على عباده، وحباً لهم ورحمة بهم، قد بعث من خزائن لطفه وكرمه ورحمته الأنبياء برسالته لهداية الخلق، وجعلهم هداة الخلق إلى طريق الحق.

ومن عنايته بهم أن منَّ عليهم من غيب علمه وخزائنه بالعلم والمعرفة والبصيرة بجميع الأمور، حتى أضحى أولئك العظماء أفضل الناس معرفة في جميع مجالات الحياة.

وقد استخلصهم الله تعالى من بين جميع الناس عباداً مخلصين وأولياء خاصين له تعالى، وذلك لأنهم كانوا نفوساً وأرواحاً في غاية الطهارة والصفاء والنورانية، وكانت قلوبهم مليئة بالمعرفة والعشق لربهم.

وليس هناك من مخلوق يشبه أنبياء الله في أحوالهم وأخلاقهم، فهم أفضل الناس من جهة الأحوال والخلق والأخلاق والاستقامة والصدق والفضيلة والعلم والمعرفة والبصيرة.

لقد جعل الله الأنبياءَ واسطة بينه وبين خلقه، ليستفيد الناس من خلال اتصالهم العلمي والعملي بهم من الفيوضات الإلهية والحقائق الرحمانية، وجعل طاعة أولئك السابقين الأعلام في طريق الشريعة والطريقة والحقيقة سبباً لرضاه، ومخالفتهم سبباً لسخطه وغضبه وعذابه.

وأوجب طاعة كل نبي على أمته مادام لم يُبعث نبي جديد برسالة أخرى، وأفهمهم أن طاعة نبيهم طاعة لله تعالى، وأن تعظيم رسوله تعظيم له تعالى، ومعرفة حرمة النبي معرفة حرمته تعالى، وحب النبي حبه تعالى، واحترام النبي احترام له تعالى، ومعرفة مكانة النبي معرفة مكانته تعالى.

وقد عظم الله تعالى جميع الأنبياء، فعظم أنت أيضاً اتباعاً له تعالى حق جميع الأنبياء، وكن مراعياً لواجب احترامهم، ولاتقس بهم أحداً في أي أمر كان، فهم لاشبيه ولانظير لهم في أي أمر كان.

ولاتتكلم بشيء حول أحوالهم ومقاماتهم وأخلاقهم دون الاستناد إلى حجة قوية ودليل عقلي أو نقلي من قرآن أو رواية، فالكلام فيهم دون الاستناد إلى برهان قوي لاقيمة له.

والعقل وحده لاطريق له لمعرفة مقامات وأحوال وعظمة أولئك العظماء، ولهذا السبب فإن الاعتماد على العقل وحده في ذلك لايوصل إلى نتيجة.

فأوقعهم الله في سوء أعمالهم أولئك الذين تكلموا في الأنبياء بدون الاعتماد على برهان إلهي، وأعمى أبصار قلوب أولئك الذين أرادوا إبداء الرأي فيما يرتبط بالأنبياء من دون الاستعانة بنور إلهي.

وكيف يمكن الوصول إلى حقيقة أولئك العظماء، والأيادي عاجزة عن الوصول إلى مقامهم والأرجل عرجة في ذلك. وكيف يمكن معرفة قدرهم وقيمتهم وقد نالوا المنزلة الخاصة من القرب عند الله تعالى؟!.

إنك إذا اعتبرتهم مساوين في الأفعال والأقوال مع أحد من الناس، فاعلم أنك قد وقعت في ذنب عظيم وارتكبت عملاً شنيعاً جداً، فضلاً عن إنكارك لمقامهم وإخفائك لامتيازاتهم الإلهية، وفي هذه الحالة فأنت قد خرجت من درجة الإيمان وحقائقه ومن درجة المعرفة، وأصبحت عبداً سيئاً غير شاكر للنعمة. فالحذر الحذر! من أن تبدي رأياً في حق أولئك العباد الطاهرين والأولياء المخلصين بدون حجة قوية وبرهان جلي.

وقد خاطبت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأنا المسكين الخجول المستكين قائلاً:

عزيزة هي الروح التي تكون أنت محبوبها، وقوي هو القلب الذي تكون أنت سلطانه.

ورأسه عال مرفوع أيها الحبيب من تكون أنت مربيه.

سوف تكون شجرة مثمرة أبدية تلك التي تكون أنت زارعها.

سوف يكون غنياً في كلا العالمين ذاك الذي تحسن إليه لحظة.

سوف يسعد ويطمئن في كلا العالمين ذاك القلب الذي كنت أنت سروره.

سوف تكون زينة الأرض كل وردة تفتحت في حديقة ورود عشقك في هذا العالم.

سوف تصبح أشد نوراً من شمس العالم كل روح تكون أنت عرفانها.

سوف يقدم روحه بلاتكلف كل عاشق تكون أنت ضيفه.

الأنبياء أهم احتياجات الإنسان:

إن الدنيا منزل من المنازل، ولامفر للإنسان في هذا المنزل من العيش بصورة اجتماعية.

ولابد في هذا المنزل من سلامة البدن وبقاء النسل، ولتأمين ذلك لابد من تأمين أسباب حفظ سلامة البدن وبقاء النسل، ودفع مهلكات البدن والنسل ومفسداتهما.

أما علل حفظ البدن وبقاء النسل فهي المواد الغذائية والألبسة، وتأمين المسكن والزواج. وكل واحد من هذه الأمور تعترضه موانع وله مفسدات ومهلكات لابد للإنسان مادام حياً من مواجهة علل الخراب والفساد.

كما أن تأمين المواد الغذائية والألبسة والمسكن يحتاج إلى الإنتاج والبيع والشراء، ومن هنا يحتاج الأمر أيضاً إلى تربية المواشي والزراعة والصناعة والتجارة، وكل هذا يحتاج إلى التعاون والمشاركة والعمل الجماعي، وهذا الاحتياج للتعاون والتعاضد يقتضي أصل التمدن والسياسة وتأسيس الدولة والحكومة.

ومن جهة أخرى فإن النفس البشرية هي نفس تطلب اللانهاية، وهذه الحالة من طلب اللانهاية هي مما أودعته العناية الإلهية في النفس الإنسانية، والتي لابد أن تتوجه إلى عالم المعنى والملكوت ليصل الإنسان في نهاية سفره في منزل الدنيا إلى المقصد الأعلى والهدف الأسنى وهو لقاء القرب الإلهي.

ولكنه باعتبار أن الأكثرية الساحقة من الناس وعلى مدار التاريخ كانوا ولعين بحالة طلب اللانهاية، فإنهم لم يكونوا يتمكنون من القناعة بمقدار حقهم من الطعام واللباس والمسكن والشهوة، ولم يكونوا يريدون التسليم بأن لكل إنسان حق في هذه المائدة، ولو ترك الناس ليعيشوا بهذا الشكل لأصاب الحياة الاضطراب بشكل دائم، ولساد الهرج والمرج والتعدي والقتل. ولهذا شعرت الإنسانية منذ اليوم الأول بالحاجة الشديدة للقانون، أي القواعد التي تضبط الرغبات الخاطئة في الحرية، وعلمت أن تطبيق القانون لايكون إلا في ظل سلطة عادلة حاكمة على المجتمع.

ولم يكن الاحتياج للقانون ولزوم وجود حكومة عادلة موضع شك أو ترديد عند أحد من عقلاء العالم وأهل الوجدان والإنصاف منذ العهود القديمة، وإنما الاختلاف حول من له الحق بوضع القانون، ومن هي السلطة التي لها القيام بالحكومة والإمارة؟.

إن الله تعالى لايرى الإنسان قادراً على التقنين بالشكل الذي يشمل جميع جوانب حياة الإنسان من القلب والنفس والروح والبدن والأسرة والمجتمع بالنحو الذي يساعده على النمو والتكامل في جميع هذه الجهات، وكذلك الأمر بالنسبة لتأسيس حكومة عادلة وحكيمة مئة بالمئة. ولكن الغافلين عن الله تعالى والمتكبرين على الحق يرون أن من حقهم وضع القانون وتأسيس الحكومة.

ويعرِّف اللهُ تعالى نفسَه والأنبياءَ والأئمةَ الطاهرين عليهم السلام كمصدر للقانون، ويعتبر إقامة الحكومة والدولة وقفاً عليه وعلى الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وكل هذا لأجل محبته للإنسان ومن أجل جلب المنفعة ودفع الضرر عن حياته، وذلك لأنه تعالى لايهدف من جعل القانون وإيجاد الحكومة إلا صلاح الإنسان وتكامله فقط وليس من شيء آخر، ووصوله إلى جنة الخلد وجنة اللقاء والوصال، فلانفع يعود عليه تعالى لو أن الناس أطاعوه في قضية التقنين وجعل الحكومة فهو الغني الحميد، كما أنه لاضرر يرجع عليه لو أن الناس عصوه فهو العزيز القادر.

ولكن الغافلين يرون مصدر القانون علمهم ومعرفتهم وعقلهم العليل، كما يرون أن إقامة الحكومة حق لهم وهو شأنهم.

إن قانون الله يتم إبلاغه لجميع أبناء العالم بواسطة الكتب السماوية وخصوصاً القرآن الكريم، وكذلك عن طريق كلام الأنبياء والأئمة عليهم السلام والذي هو انعكاس

للوحي، وكذلك عن طريق اجتهاد الفقهاء الواجدين للشرائط في زمان الغيبة. وأما بالنسبة لتطبيق القانون وبسط القسط والعدل فإن الأنبياء والأئمةعليهم السلام مأمورون من قبل الله تعالى بإقامة الحكومة وإدارة شؤونها، وأما في زمان الغيبة فإن الفقهاء العظام يتحملون مسؤولية إقامة الحكومة، هذه الحكومة التي يعتبر التساهل في إقامتها مساوياً لهدم الدين وتعطيل القانون وهلاك الإنسان.

وأما القانون البشري فإنه يتم الإعلان عنه من خلال المجالس المقننة والتي هي عبارة عن مركز اجتماع مجموعة من الناس ذوي العلم القليل وعديمي الرحمة بالإنسان والمقيدين بالشهوات والغرائز الشيطانية والإبليسية، وكذلك هم الذين يقيمون الحكومة عن طريق رأي الناس والذي يجري فيه من الحيل والخداع مايجري، وهذا طبعاً فيما إذا لم يسبقهم إلى تأسيس الحكومة شخص جبَّار ظالم !!.

بينما في حكومة الأنبياء والأئمةعليهم السلام فإن القانون الإلهي يتم إبلاغه مباشرة من قبلهم، ويتم تأسيس الحكومة بواسطة أنصارهم، ويكون الشخص الحاكم هو نفس النبي أو الإمام المعصوم في حال حضوره والذي هو منصوب مباشرة من قبل الله تعالى ولاحاجة إلى مجلس التقنين.

ولاية الفقيه:

وطبقاً للأدلة الشرعية وماستنبطه الفقهاء من الأدلة فإنه لاخلاف أصلاً بين الفقهاء في أصل ثبوت الولاية للفقيه، ولكنه توجد رؤى متعددة بين الفقهاء العظام طبقاً لأدلتهم العلمية حول حدود صلاحيات الفقيه.

إن الولاية على المجتمع في زمن غيبة الأنبياء والأئمة عليهم السلام تكون بعهدة الفقيه العادل المدير المدبر البصير بأوضاع الزمان، والذي قد ذكرت شرائطه من قبل الله تعالى والنبي والأئمة عليهم السلام، وطبقاً لتلك الشرائط فإنه يجلس في ذلك المنصب.

وطبقاً لرأي الفقهاء القائلين ببسط صلاحيات الفقيه، فإنه في زمن الولي الفقيه الجامع للشرائط يتم تشكيل الحكومة، وتكون حكومة عادلة إلهية ومنصفة وفي خدمة الناس، وإذا ماوقع انحراف في ذلك وتم تشكيل حكومة فاقدة للشرائط اللازمة فإن الفقيه يقوم حينئذ بمواجهة تلك الانحرافات.

إن ولاية الفقيه على الناس في كل عصر من أعصار الغيبة والمطابقة لحدود الصلاحيات المستفادة من الأدلة الشرعية هي شعاع من ولاية الإمام المعصوم، وولاية الإمام المعصوم شعاع من ولاية النبي، وولاية النبي شعاع من ولاية الله تعالى على المجتمع.

كما أن القانون الموجود في الكتاب الإلهي هو بنفع الإنسان مئة بالمئة، وذلك بسبب علم المقنن وحكمته وعدله، وهو المحيط بغيب وشهود العالم، وبباطن وظاهر الوجود، وكذلك هو محيط بجميع حاجات الإنسان الداخلية والخارجية. كما أن الحكومة التي يتم تعيينها من قبل المقنن والذي هو الله تعالى حكومة عدل، ولاشك أن الإنسان إذا كان في ظل القانون الإلهي فإنه سوف يصل لخير الدنيا والآخرة، وينال سعادة الدارين والحياة الطيبة واللقاء والقرب الإلهي.

ولاحظوا في هذا المجال الآيات التالية:

آيات الهداية في القرآن الكريم:

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١].

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[٢].

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى،الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى،وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٣].

﴿وَاللّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[٤].

﴿قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٥].

وكثيرة هي الآيات المرتبطة بالهداية في القرآن الكريم، ويمكنكم الرجوع إلى منبع الفيض هذا لملاحظة المسائل المهمة المرتبطة بالهداية.

والمهم في هذه الآيات هي أن الله تعالى يقول:

إن الهداية وقف على الله تعالى، وأن هدايته تعالى هي عبارة عن مجموعة قوانينه ومقرراته الموجودة فعلاً في القرآن الكريم، وأن النبي والأئمة عليهم السلام هم

١ـ البقرة ٢: ٣٨.

٢ـ طه ٢٠: ٥٠.

٣ـ الأعلى ٨٧: ١ ـ ٣.

٤ـ الأحزاب ٣٣: ٤.

٥ـ المائدة ٥: ١٥ ـ ١٦.

المفسرون لها، وأن من يتبع الهداية لاخوف ولاحزن عليه في الدنيا والآخرة. نعم، لو أن جميع أفراد العالم أطاعوا الله تعالى وعملوا بتعاليمه لتجلت العدالة والقسط في جميع جوانب الحياة، ولامعنى للخوف والحزن والغصة والاضطراب والقلق ضمن فضاء العدالة.

الحكومة في القرآن:

إن تنفيذ مجموعة المقررات يقع على عهدة حكومة قوية تكون حكيمة وعادلة مئة بالمئة، ومثل هذه الحكومة لاتتيسر إلا في ظل إرادة الحق تعالى وتعيينه. ولاحظوا هنا آيات القرآن في مجال الحكومة:

حكومة داوود:

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[1].

لاحظوا في هذه الآية كيف أن حكومة النبي على الناس لم تكن حكومة مستقلة وعلى أساس الهوى، وإنما كانت خلافة عن الله تعالى، وكان قانون تلك الحكومة قانون الله تعالى، وفي الحقيقة حيث إن الناس لايمكن أن يكون لهم ارتباط مباشر مع الله تعالى فإن أطهر الناس في ذلك الزمن يُعَين من قبل الله تعالى

١ـ ص ٣٨: ٢٦.

للحكومة على الناس، وفي الحقيقة ينتخب كواسطة بين الله تعالى وبين الناس ليقوم بتطبيق قانون الله في ظل حكومة قوية عادلة حكيمة، ويستمتع جميع الناس من خلال هذا الطريق بالحق والعدل.

وفي هذا المجال تأملوا وفكروا بحق وإنصاف بين القوانين الإلهية والحكومة الإلهية من جهة والقوانين البشرية والحكومة الديمقراطية والشيوعية والدستورية والجمهورية الشعبية و... من جهة أخرى، كم هو الفرق بينهما! والذي ثبت بالتجربة والحقيقة وأصبح أمراً مسلماً به. فالقوانين الإلهية والحكومة الربانية باعثة على النمو وتكامل الناس، وسبب لسعادة الدنيا والآخرة، وطريق لوصول الناس إلى لقاء الله تعالى، بينما الحكومات البشرية والقوانين المادية تؤدي إلى انحطاط الناس، وسبب لشقاء الدنيا والآخرة، ووسيلة لإبعاد الناس عن جميع الواقعيات والحقائق الإلهية والإنسانية.

إن الخلافة عن الله تعالى بين الناس، والحكومة على أساس القانون الإلهي، ليست مختصة بداوود، بل هي بدلالة الآيات القرآنية من آدم إلى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، ومن خاتم النبوة إلى خاتم الولاية، ومن خاتم الولاية إلى اليوم، ومن اليوم حتى قيام الساعة، كانت تقع على عهدة جميع الأنبياء والأئمة عليهم السلام والفقهاء الجامعين للشرائط، ومازالت وستبقى كذلك.

حكومة إبراهيم وذريته:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي

﴿الظَّالِمِينَ﴾[١].

نعم، لقد عمل إبراهيم وأبناؤه الصالحون وهم أنبياء الله عليهم السلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وآله وأئمة الشيعة عليهم السلام بالقوانين الإلهية بكل مايستطيعون، ووصلوا من خلال العمل إلى السمو والكمال الإلهي، وقد حصلوا نتيجة ذلك السمو والكمال على صلاحية الإمامة على المجتمع وتأسيس الحكومة، ولم يُسمح لأحد من الصالحين بإهمال تأسيس الحكومة، فتأسيس حكومة الحق طبقاً لآيات القرآن الكريم يعتبر من أوجب الواجبات على الصالحين وعلى رأس جميع الفرائض، وإن لم يكن المشركون والكافرون وطلاب الراحة يحبون ذلك.

حكومة الفقهاء:

إن الذرية الصالحة لإبراهيم عليه السلام هم طبقاً لآيات القرآن الكريم جميع الأنبياء الذين جاؤوا من بعده وكذلك الأئمة الإثناعشر للشيعة، وهم الذين كان بيدهم حق الحكومة وتهيئة الأرضية لتطبيق الأحكام الإلهية، وقد عملوا بكل جهدهم لإقامة الحكومة الإلهية وتطبيق الأحكام الإلهية حتى آخر لحظة من حياتهم. وبعد الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام فإن تأسيس الحكومة وتهيئة الأرضية لتطبيق الدين الإلهي في جميع جوانب الحياة يقع طبقاً لنظرية ولاية الفقيه الموسعة على عاتق الفقهاء الجامعين للشرائط.

ومن جملة الأدلة التي يمكن ذكرها كمؤيد على إقامة الحكومة الإلهية وتهيئة الأرضية لتطبيق جميع أحكام الله تعالى الآية التالية:

١ـ البقرة ٢: ١٢٤.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[١].

ولو تأملتم هذه الآية لوصلتم إلى هذه النتيجة وهي أن أي حكومة غير حكومة النبي والإمام المعصوم وخلفائهم هي حكومة باطلة وغاصبة وظالمة، وأن أي قانون غير القانون الإلهي هو قانون باطل وضال ومضل.

الحكومات غير الإلهية:

لاحظوا في هذا المجال الآيات التالية:

﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٢].

إن أكثر الحكومات الشرقية والغربية الموجودة حالياً قد قام بتشكيلها حكام وسياسيون كافرون ومشركون بالواقعيات الإلهية، والوكلاء الذين يتم إرسالهم من قبلهم إلى المجالس التشريعية بغرض التقنين هم أشباه وشركاء أولئك الحكام الكافرين المشركين، بل هم أضل منهم، فهل ترون والحال هكذا أنه يمكن أن تكون حكومتهم حكومة صالحة، وتكون القوانين الموضوعة من قبلهم هادية للإنسان؟.

إن أمثال هذه الحكومات تكون حكومات معادية لله تعالى وغير واقعية وغاصبة، وأمثال هذه القوانين تكون أكثر موادها وملحقاتها منحرفة عن الحق ومضلة للخلق.

١ـ الأنبياء ٢١: ٧٣.

٢ـ البقرة ٢: ١٠٨.

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ [١].

أليس حكام الحكومات الأمريكية والأوروبية والدول الشيوعية من المشركين، وأن شركهم قد وصل الحد النهائي !.

فهل يمكن توقع العدالة والقسط والرحمة وسعادة البشرية من هؤلاء الحكام المشركين ومجالسهم التشريعية؟!!.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ [٢].

لاحظوا أن جميع حكومات الشرق والغرب ومجالسهم التشريعية هم مصداق لهذه الآية الشريفة، فهم لاإيمان لهم بالله وملائكته ورسله وكتبه والقيامة، ومن يكون فاقداً للإيمان ولااعتقاد عنده بالقيامة والحساب والكتاب فأي خير يرجى منه للمجتمع، وأي قلب متوجع سيكون لديه تجاه المستضعفين، وأي فضاء سوف يهيئ للتكامل الواقعي للناس؟. وهل التنمية والإحياء الظاهري للمدن، وزيادة الدخل، وترويج صناعة السيارات والقطارات والطائرات، وزيادة الاهتمام بالصحة والسلامة، وزخرفة وتزيين ظاهر الحياة هو سعادة؟. كي تدعي الحكومات بأننا قد خدمنا الناس، وهل يمكن للكافر والمشرك أن يقوما بالخدمة؟.

١ـ النساء ٤: ١١٦.

٢ـ النساء ٤: ١٣٦.

أقسم بالحق أن يد المشرك والكافر هي يد ظلم، وإسفاك دم، وفساد، وجور، وعدوان، وجناية، وقتل الاستعدادات، وسدّ طريق السعادة، وإطفاء مصباح الهداية ونور الأصالة.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَ، وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾[1].

ويجب على المؤمنين والمسلمين مواجهة أمثال هذه الحكومات وقوانين أولئك الذين يقفون عثرة أمام الحكومات الإلهية، كي يرتفع شر الأشرار وفساد المفسدين وكفر الكافرين من العالم.

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ﴾[2].

وظيفة الناس تجاه حكومة الكفر:

يقول القرآن الكريم حول تكليف الناس تجاه الحكومات الكافرة والمشركة وقوانينها فيما إذا كانت تقف معارضة:

﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَأَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[3].

دليل آخر على حاجة الإنسان الضرورية للأنبياء:

١ـ القصص ٢٨: ٤١ ـ ٤٢.

٢ـ الأنفال ٨: ٣٩.

٣ـ التوبة ٩: ١٢.

إن الإنسان في بداية تولده يكون مجرد استعداد محض، فيكون خالياً من جميع الكمالات.

﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾[١].

وقد وضع الله تعالى فيه أسباب تحصيل العلم والكمال بالمقدار الذي يلزمه، رحمة منه به.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢].

وقد سعى الناس لتحصيل العلم والمعرفة حتى اليوم من خلال الوسائل الإلهية، ولكنهم وبإقرار كبار علماء الشرق والغرب فإنهم لم يصلوا سوى إلى ظاهرٍ من العلم، وهو أيضاً علم بالماديات، وما وصلوا إليه يُعدُّ أيضاً قليلاً جداً بالقياس إلى مجهولاتهم، لدرجة قالوا فيها:

لقد انكشف من أَلِف العلم قليلاً، ومازال من الباء إلى الياء مجهولاً للإنسان.

وقد أخبر الله تعالى عن ذلك في آية من كتابه:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٣].

وليس جهل الإنسان مقتصراً على الجهل بحقيقة الروح، بل هو جاهل حتى بالكثير من كليات وجزئيات عالم المادة وظاهر العالم، فضلاً عن المسائل الإلهية

١ـ النحل ١٦: ٧٨.

٢ـ النحل ١٦: ٧٨.

٣ـ الإسراء ١٧: ٨٥.

العالية والحقائق المعنوية الرفيعة والمسائل الملكوتية المهمة، حيث يقول القرآن في هذا المجال:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[١].

ويعرِّف الله تعالى الطبيعة الأولية لجميع الناس من أول التاريخ وحتى القيامة بهذا الشكل:

﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[٢].

﴿قُل لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً﴾[٣].

﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾[٤].

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[٥].

لاحظوا كيف أن علماً قليلاً عن ظواهر الأمور قد حصل عليه الإنسان، وأن هذا المقدار القليل كان في ظرف من البخل والعجلة والحرص والظلم والجهالة،

١ـ الروم ٣٠: ٧.

٢ـ الأنبياء ٢١: ٣٧.

٣ـ الإسراء ١٧: ١٠٠.

٤ـ المعارج ٧٠: ١٩ ـ ٢١.

٥ـ الأحزاب ٣٣: ٧٢.

فكيف يمكن للإنسان اعتماداً على هذا العلم القليل وهذه المحدودية في الظرفية من إدراك السعادة الحقيقية ونيل خير الدنيا والآخرة؟!.

ومن هنا يكون الإحساس بحاجة الإنسان لوجود أناس قد تمت تربيتهم تربية كاملة وجامعة مباشرة من قبل الله تعالى، بحيث تكون رؤيتهم وبصيرتهم تفوق جميع مالدى الناس إلى يوم القيامة، ويملكون علوم الأولين والآخرين وعلم الباطن والظاهر والماديات والمعنويات.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

نعم، هكذا يبين الله الرؤوف آياته لكم بواسطة الأنبياء، ويكشف لكم الحقائق، لعلكم تهتدون إلى السعادة والكمال والتزكية.

أيها الأعزة! إن الله الذي لم يترك نظام الخلقة ونظام النفس والأنفس بدون هداية، فإنه لايمكن أن يترك الإنسان بدون هداية في الجانب المعنوي والتربوي، فالإنسان عنده تعالى أفضل الموجودات وحامل الأمانة الإلهية وخليفته، فكيف يمكن أن يتركه بدون هداية أو مرشد.

خصائص الأنبياء الإلهيين وصفاتهم:

النبي هو تلك الشخصية العظيمة السامية التي اصطفاها الله العليم من بين جميع أهل زمانه، أو من بين جميع الناس من الأول وحتى يوم القيامة، من أجل إدراك الوحي والأسرار الغيبية وواقعيات الملك والملكوت، وأخذ الأحكام

١ـ آل عمران ٣: ١٠٣.

الشرعية بما فيه مصلحة الناس الدنيوية والأخروية، وجعله الله موضع علمه ومخزن الحقائق العالية في الوجود.

وقد كان ارتباط الله تعالى مع أنبيائه الكرام يتم أحياناً بصورة مباشرة كالارتباط مع موسى بن عمران عليه السلام، وأحياناً أخرى يكون بواسطة الروح الأعظم وأمين الوحي، وأخرى من خلال إلقاء الواقعيات في قلوبهم، والصورتان الأخيرتان عامتان لجميع الأنبياء.

وقد كانت القدرة الروحية والنفسية والقلبية الممنوحة للأنبياء من قبل الله تعالى كبيرة بحيث أنهم كانوا يتصلون بغيب العالم وباللوح والقلم وغيب غيوب الوجود كلما أرادوا ذلك بيسر وسهولة، وفي ظل هذه القدرة الروحية والقوة القلبية والصفاء النفسي كانوا يدركون كل مايريدونه لأنفسهم و لحاجة حياة الناس.

أفضلية الأنبياء:

إن معلمهم الأول والأخير هو ربُّ العزة، فلادخالة لأحد من البشر في إفاضة العلم والمعرفة عليهم، وهذا الأمر ثابت ومسلم به بحسب قول الإمام الصادق عليه السلام في «**أصول الكافي**» على أساس قبح الترجيح بلا مرجح.

وبعبارة واضحة فإن طاعة جميع الأنبياء واجبة على جميع الناس إلى يوم القيامة، فلو فرض أن أحد الناس كان أعلم من الأنبياء في علم من العلوم وخاصة في العلوم التربوية والروحية، وكان يجب عليه طاعة الأنبياء، لكان هذا الوجوب للطاعة ترجيحاً بلامرجح، أي لكان المقدم مؤخراً، والمؤخر مقدماً، وهذا التقديم والتأخير قبيح في نظر العقل والوجدان، وبناءً على هذا تكون علوم

الأنبياء فوق علوم الإنسان إلى يوم القيامة، ولايوجد في المجتمع الإنساني معلم يملك زيادة على معلومات الأنبياء كي يضيف شيئاً على علم الأنبياء، فهذه الطائفة عظيمة القدر وهذه النفوس العالية والأرواح الطيبة ليس لهم معلم منذ بداية حياتهم وإلى لحظة من رحيلهم عن الدنيا سواه تعالى.

فمعلومات الزمن الأول ومعقولات آخر الزمان في كلا المجالين الغيب والشهود وبالمقدار اللازم لهم مكشوفة لأولئك العظماء كالشمس الواضحة، وهذا الأمر ناشئ من جهة أن الله تعالى قد أكرم هؤلاء الهداة لطريق الحق بنفس تُسَمى بالنفس القدسية، وذلك بغرض تزكيتهم وتربيتهم، وكذلك بغرض تزكية وتربية أممهم وجميع الأمم في كافة أدوار التاريخ.

وبسبب هذه النفس القدسية استطاع جميع الأنبياء أن يكونوا متحررين في جميع لحظات حياتهم الثمينة من قيود الهوى والهوس، ومن قيود الطواغيت، ولم يخضعوا بتواضع إلا أمام حضرة رب العالمين، وفي الدين الحق فإن أصل الحرية عبارة عن العبودية للحق والتحرر من قيود الخلق.

فإذا قدَّمت عبوديتك أمام تراب حضرة المحبوب، ولم تكن تريد بعبوديتك شيئاً سوى رضا المحبوب، فإنك تكون قد تحررت من الدنيا والعقبى ومافيهما، ووصلت إلى عين الحرية، فالدنيا ومافيها والعقبى ومافيها حرام على العاشق، والواجب على العاشق إطاعة المعشوق، وماهو حلال له إنما هو طلب رضا ومراد المحبوب.

معجزات الأنبياء:

إن الأنبياء يشاهدون في عالم اليقظة عالم الغيب والمثل الغيبية، ويسمعون أصوات الملائكة، ويدركون المسائل الغيبية بمعونة الملائكة أو بواسطة قوة قلوبهم، وتكون الأخبار العامة والتفصيلية للملك والملكوت والحوادث الماضية واللاحقة واضحة عندهم وذلك بالمقدار الذي يريده الله تعالى.

ولديهم القدرة على التصرف في نظام التكوين بإذن الله تعالى بغرض إثبات نبوتهم وتصديق أممهم بذلك، ويستطيعون في هذا المجال إحياء الموتى بيسر وسهولة، وشفاء الأعمى، وعلاج الأجذم والأبرص، وإنزال المطر من الغيم، وإخراج الناقة من الجبل، وإخبار الناس بأسرارهم، وجعل الحصى تتكلم، وتفجير إثنتي عشرة عيناً ماءً من الحجر الصلد، وتبديل العصى أفعى، وإخراج اليد بعد الضم إلى الصدر بيضاء ناصعة، وجعل الشجرة تتحرك من مكانها فتتصدع الأرض وتأتي الشجرة إليهم، ويهبون الحيوانات القدرة على النطق لتشهد بنوتهم، ويتفلوا في البئر الجافة فإذا بها تمتلئ ماءً، ويقسموا القمر ليلة البدر نصفين، والأهم من كل ذلك إحياء النفوس الميتة والأرواح التي لاحياة فيها ونفخ الحياة الطيبة فيها.

إن أغلب مامر ذكره وكان من المعجزات قد ورد في القرآن الكريم ولايمكن إنكاره أبداً، ولاشك في أن منكره كافر أو مشرك.

نعم، إن وجه امتياز الأنبياء عن سائر الناس يكمن في قدرة نفوسهم وأرواح قلوبهم ومعجزاتهم.

وآخر معجزة في سلسلة معجزات الأنبياء العظام هي القرآن الكريم، والذي أعطي للنبي صلى الله عليه وآله من خلال كرامة الوحي، وهو معجزة خالدة أبدية.

إذ ليس باستطاعة أحد الاتيان ولو بآية مثله، وهذا الأمر، وهو عجز الأولين والآخرين عن الاتيان بآية من مثله، أفضل وأقوى دليل على حقانية هذا الكتاب ونزوله السماوي، ونفس القرآن هو أيضاً أقوى دليل وشاهد على حقانية الأنبياء السابقين والكتب السماوية السابقة، وأفضل دليل وحجة على إمامة أئمة الشيعة المعصومين عليهم السلام وولايتهم التكوينية والتشريعية[1].

إن معجزات الأنبياء وخصوصاً القرآن الكريم قد أغلقت إلى الأبد سوق ادعاء النبوة الكاذب من قبل أتباع الأهواء والمستعمرين والمستغلين الوقحين، وعلى مدى التاريخ فإنه لم تفلح دعوى كاذبة لأحد بالنبوة، ولم يمكن ترويجها.

علم الأنبياء وحكمتهم:

يعتقد بعض المحققين أن أفضل معجزات الأنبياء وأقوى ماخرقوا به العادة هو العلم والحكمة. العلم والحكمة اللذان ينبعان مباشرة من علم وحكمة الله تعالى، والعلم والحكمة الإلهيان هذان هما اللذان ميَّزا الأنبياء عن جميع مخلوقات العالم من جميع الجهات.

فبالنسبة للعلماء والخواص من العقلاء وأهل الإنصاف كان علم الأنبياء وحكمتهم، والذي تجلى في أنفسهم أو في كتبهم هو السبب في تصديق

١- لقد كتبت مئات الكتب الاستدلالية حول إعجاز القرآن ودلالته على نبوة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله والأنبياء السابقين وإمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام وهي تزين المكتبات الداخلية والخارجية، ولو جمعت أسماؤها فقط لبلغت عدة مجلدات كبيرة.

نبوتهم، فأهل البصيرة والعلم من أمثال سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار، والذين يوجد أمثالهم في جميع الأمم، لم يطلبوا من أنبياء الله معجزة خارقة للعادة بعد تلك العيون المتدفقة من العلم والحكمة، وقد كانت الموعظة الحسنة وخوارق العادات والمعجزات، أي تصرفهم في الأمور التكوينية بإذن الله، هو وسيلة من أجل تصديق عوام الناس وعامة الخلق، وقد آمن عوام الناس بهم بذلك، وقد بقي قسم منهم تابعاً مخلصاً للأنبياء حتى آخر لحظة من حياته، فهؤلاء قد اهتدوا بهذه الخوارق للعادة وبظاهر آيات الكتاب، وتركوا العناد واللجاج وتمسكوا بالأنبياء واهتدوا بذلك، ومضوا في طريق الخير والصلاح والسعادة والسداد، وأما السلاح والسيف الذي كان بيد الأنبياء فقد كان لأهل العناد واللجاج، الذين لم يكونوا ليسلموا بأي وجه للعلم والحكمة والموعظة والمعجزة، وإنما كانوا يريدون للهوى والهوس والشهوات أن تكون هي الحاكمة على حياتهم، ولهذا فقد كانوا يستمرون في استغلالهم واستثمارهم لعباد الله واستضعافهم، وكانوا يقفون عثرة أمام هداية عباد الله وفلاحهم وكمالهم.

إن هؤلاء لم يكونوا يريدون السعادة والسلامة والفلاح لعباد الله، وإنما كانوا يسعون دائماً ليجعلوا عباد الله مرتعاً لبطونهم وشهواتهم، ويستولوا على نتيجة تعبهم وجهدهم ليكون تحت تصرف هؤلاء العبَّاد للشهوة !!.

وجهاد الأنبياء واستخدامهم السلاح والقوة كان فقط من أجل تطهير فضاء الحياة من شر الفاسدين والظالمين والجائرين والكافرين والمشركين، وقد كان هذا الاستخدام للسلاح في عصر من العصور يعدُّ من أهم تكاليف المؤمنين تجاه

الناس المعارضين، وكل من فرَّ من الدخول في ساحة الجهاد، فقد فرَّ من التوحيد والنبوة، وأضرَّ بسعادته وسعادة الآخرين، وارتكب خيانة لايمكن جبرها !!.

يقول الله تعالى في هذا المجال:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَديدَ فيهِ بَأْسٌ شَديدٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ عَزيزٌ﴾[1].

وإذا تأملتم الآية الشريفة فسوف تجدونها تشير إلى المسائل الثلاث: المعجزات، والعلم والحكمة، والسلاح. فالمعجزات للعوام، والعلم والحكمة للخواص، والسلاح للأعداء.

إن الإنسان عندما يقف أمام عظمة مقام الأنبياء الكرام وشخصيتهم لايجد من نفسه سوى التسليم أمام أولئك الهداة لطريق الحق، ويدرك أن الإعراض عنهم وعن معارفهم الثمينة والسعادة التي يجلبونها هو عين الضلالة والشقاء، ومحض التعاسة والذلة، وسبب للانجراف إلى هاوية الهوى والهوس، والوقوع بيد قطاع الطريق والأعداء الخطرين.

عالم المعقول والمحسوس:

الأنبياء الإلهيون هم الواقعون بين عالم المعقول والمحسوس، فهم من جهة مرتبطون بتمام وجودهم وبكامل المحبة والعشق والصفاء بالحق تعالى، ومن هذه

١ـ الحديد ٥٧: ٢٥.

الجهة فإن عقولهم وقلوبهم ونفوسهم وأرواحهم ترتوي من عنايات الله بهم، ومن جهة أخرى فهم بإذن الله تعالى يعيشون مع الناس بتمام الرحمة والشفقة، لينقذوهم من الجهالة والضلالة والذلة والشقاء، ويرشدوهم إلى طريق الكمال والرشد والسعادة.

فإذا توجهوا إلى الملكوت تتخيل أنهم غافلون عن الخلق والمخلوقات بالكلية، وإذا توجهوا إلى الخلق تراهم وكأنهم من جملتهم لايختلفون عنهم.

إن الأنبياء واسطة بين الحق والخلق، وقد فتح الله الرؤوف بواسطتهم باب سعادة الدنيا والآخرة أمام الخلق، ويوصل بواسطتهم إلى عباده الفيض اللامتناهي والرحمة الواسعة. فلو أنهم لم يُبعثوا بالرسالة لما وصل من الحق تعالى فيض لأحد من الناس، ولما نال أحد من الناس رحمة خاصة إلهية.

عالم الملك والملكوت:

لقد فتح الله تعالى بابين على قلوب الأنبياء الطاهرة، فمن أحد البابين يطلعون على مافي اللوح والذكر الحكيم، ومن خلال ذلك يشرفون على ماكان وماسيكون، وعلى الحوادث الماضية والآتية، وعلى القيامة والحشر والكتاب والميزان والحساب وعاقبة أمر الناس، وجميع خصوصيات الجنة والنار، ومن الباب الآخر يرون ظاهر العالم، وخير وشر الناس، وعلل سعادة وشقاء المجتمعات، ليهدوهم إلى سعادتهم بماأخذوه من الغيب وماطلعوا عليه من الظاهر، ويحفظوهم من الوقوع في الشقاء والملذات المهلكة.

فأولئك العظماء في أوج الكمال في كلا جهتي الملك والملكوت، وفي منتهى العظمة في كلا بعدي الغيب والشهادة، وهذه أعلى مراتب الإنسانية ومنتهى القدرة البشرية في عالم الأمر والخلق.

إن الأنبياء نجوم الله المضيئة في أفق حياة الناس، ومن المحال الوصول إلى طريق السعادة والسلامة إلا في ظل نورهم.

وإذا تمت رعاية شجرة وجود الإنسان بيدهم فإنها تصل إلى ثمرتها من الكمال والرشد، ويحط شاهد قبول الحق تعالى ورضاه عنها، كما يحط البلبل العاشق للوردة، على غصن هذه الشجرة الطيبة.

وأما إذا وقعت شجرة وجود الإنسان بيد غير الأنبياء، فإنها سوف تجف بعد مدة وجيزة، وتتساقط أغصانها وأوراقها، ولايبقى منها سوى قطعة حطب لنار جهنم !.

فاتركوا نور نبوة الأنبياء يتجلى في فضاء حياتكم، ففي ظل هذا النور تضيء قلوبكم وأرواحكم وأنفسكم بنور المعرفة، وتفتخروا بنيل عنايات الله وفيوضاته الخاصة، فلاطريق للنجاة غير طريق الأنبياء، ولاطريق للوصول إلى مقام القرب واللقاء إلا طريق أولئك العظماء.

نعم، أولئك هم النجوم المتلألئة في سماء الحياة، وبقول عارف شيراز:

تلألأت نجمة وأصبحت قمراً منيراً في المجلس فجعلت القلب الوحشي يصبح أنيساً أليفاً.

حبيبي لم يتعلم ولم يدرس ولكنه بغمزة أصبح مُعَلِّماً للمُعَلِّمين.

برائحته رجع النشاط لقلوب العاشقين، فِداء وجهه الجميل كالورد وعيونه النرجسية.

امسح الخمر من على شفتيك لأجل الله فإن خاطري يوسوس لي ألف ذنب.
واسق عشاقك من دلالك فالعلم أصبح جهلاً والعقل غدا بلا إدراك.

علم الإنسان وعمله:

إن جميع الناس بحاجة شديدة للعلم والمعرفة من أجل إقامة حياة فاضلة وتطهير فضاء الحياة من الكدورات والظلمات، ولايشك في هذا أحد من الناس.

فالعلم والمعرفة هما اللذان يستطيعان هدايتنا إلى كيفية العيش السليم وإلى شؤون الحياة الحقيقية.

فلاأحد يستطيع التقدم بأقل خطوة في طريق الحياة الهادفة بدون امتلاك المعرفة.

والجميع يدرك هذا الاحتياج للعلم الشامل من أصغر أجزاء عالم الوجود إلى المجموع العام له.

فالإنسان بدون العلم والمعرفة بعالم الوجود وخصوصياته، وظاهر وباطن الإنسان والإنسانية، وبدون معرفة المبدأ والمعاد، هو مجرد حيوان مفترس، ولاشك في مزاحمته لبقية الحيوانات.

فمسألة المعرفة ركن أساسي في موجودية الإنسان.

والركن الأساسي الآخر عبارة عن العمل على أساس ذلك العلم والمعرفة.

فالاكتفاء بالعلم وحده، وجعل الذهن بمثابة آلة تسجيل، وطي طريق الحياة بدون معرفة، ليس فقط غير مفيد، بل العلم بدون العمل بالنسبة للحياة المادية والمعنوية يؤدي إلى استهلاك الطاقة العظيمة بدون الاستفادة منها.

إن الأنبياء الإلهيين مصادر للمعرفة والعلم، وهذا الأمر قد أثبتته التجربة، ولاشك عند أهل الإنصاف والعقل في أن أولئك العظماء هم أعلام أصحاب المعرفة، ويجب على جميع الناس ربط عقولهم الجزئية بالعقل الكلي النوراني للأنبياء، وإرواء عطش أرواحهم من عين معرفتهم، ليقوموا حينئذ بمطابقة حياتهم وحركتهم مع المعرفة التي اكتسبوها منهم، ليحصلوا على سعادة الدنيا والآخرة، وينجوا من عذاب جهنم يوم القيامة، ويفوزوا بضيافة الله في الجنة.

إن العيش بدون الاستعانة بمساعدة الأنبياء عيش في الجهالة، وعاقبة مثل هذه المعيشة إما الجنون أو الانتحار أو القلق والاضطراب أو السقوط الروحي أو الابتلاء بانفصام الارتباط السليم للأعصاب بعضها مع بعض.

وأولئك الذين يعيشون بمعزل عن مدرسة النبوة وطريق الأنبياء هم تائهون ككومة من الخيوط المتداخلة، ولايصلون لشيء في الحوادث والمصائب والمتاعب والآلام، ولايجدون سنداً محكماً لأنفسهم يعتمدون عليه، فهم حتى لو استمروا في الحياة لايشعرون بالراحة، بل يبتلون بالموت التدريجي لحظة بلحظة.

صفات الأنبياء في كلام الملا صدرا:

يقول صدر المتألهين في الإشراق التاسع من كتابه القيِّم «الشواهد الربوبية» في صفات وخصائص الأنبياء طبقاً للآيات والروايات ودراية العرفاء:

إن النبي جيد الفهم لكل مايسمعه ويقال له على مايقصده القائل وعلى ماهو الأمر عليه، وكيف لا، وهو في غاية إشراق العقل ونورية النفس.

وهو جيد الحفظ لما يفهمه ويحسه، لايكاد ينساه، وكيف لا، ونفسه متصلة باللوح المحفوظ.

فلامعنى لنسيان الهادي إلى الطريق للحقائق التي يأخذها من عالم الغيب، فما أخذه سبب للهداية وحجة للحق على الخلق، فماجاء في بعض الكتب من صحة نسيان النبي غلط محض.

وهو صحيح الفطرة والطبيعة معتدل المزاج تام الخلقة، قوي الآلات على الأعمال التي من شأنه أن يفعلها، وكيف لا، والكمال الأوفى يفيض على المزاج الأتم.

فلو لم يكن الأنبياء معتدلي المزاج وصحيحي الفطرة وسالمي الطبيعة لما نجحوا في جدالهم مع أهل الجدل، والمناظرة مع الماديين وأهل العلم، والحرب مع شجعان الكفار والمشركين لإعلاء كلمة الحق واستئصال شجرة الباطل، وطرد الطواغيت، مع أننا نقرأ في القرآن الكريم وفي كتب الحديث والتاريخ أن أولئك العظماء كانوا ناجحين في جميع مجالات الحياة، وكانوا منتصرين وغالبين وحاكمين.

نعم، إن الكمال وبحده الأعلى لايكون إلا في الفطرة السليمة والطبيعة الصحيحة والبدن السليم.

وهو حسن العبارة يوافيه لسانه على إبانة كل مايضمره إبانة تامة، وكيف لا، وشأنه التعليم والإرشاد والهداية إلى طريق الخير للعباد.

ولهذا كان الأنبياء يستطيعون تفهيم أعمق المسائل الإلهية والحقائق الربانية لعوام الناس بمقدار عقولهم واستعداداتهم الفكرية، ويأخذون بهم من حضيض الجهل إلى أوج المعرفة !.

نعم، فعلم الأنبياء ورغم رفعته وعلوه وعظمة واقعيته كان قابلاً للفهم من قبل الجميع، وطبعاً فكل شخص كان يستطيع الاستفادة من هذه المائدة بمقدار عقله وفكره.

يقول «سينائي غزنوي» في «حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة»:

العلم يهدي إلى طريق الله لاإلى المال والنفس والجاه.

من لاعلم له يموت قلبه والغصن الذي لاثمر فيه يفسد.

كل من لاعلم له فهو ضال ويده قاصرة عن الوصول إلى ذلك العالم.

العلم يوصل الإنسان إلى النعيم والجهل يأخذ بالإنسان إلى الجحيم.

العلم دليل النعمة واللطف فطوبى لمن كان العلم رفيقه.

العمل بغير علم لايوصل إلى نتيجة والبذر بلا نواة لايعطي ثمراً .

محبة الأنبياء وكرامة الإنسان:

للأنبياء مكانة رفيعة في العلم والحكمة، ولهذا السبب فإن قلوبهم تموج بالعشق للحكمة والعلم وإبلاغ ذلك لجميع الناس كما يموج البحر بأمواجه، ولم يوفروا جهداً في هذا السبيل، لدرجة أن المنصفين من الشرق والغرب وعقلاءهم وخبراءهم وعلماءهم من أصحاب البصائر مقرون ومذعنون بهذه الحقيقة وهي

أن العلم والحكمة المتوافرين اليوم بيد الناس يرجعان إلى علم وحكمة الأنبياء الإلهيين.

وليس للأنبياء الإلهيين ميول نحو الشهوات الخاطئة، إذ أنهم يملكون عصمة فكرية وروحية في هذا المجال، فهم لم يمضوا لحظة من أعمارهم في اللهو واللعب، ولم يغتروا بعالم الغرور، ويشعرون بالنفور من اللذات الخاطئة وغير الإلهية، فهم يرون جميع هذه الأمور تمثل حجاباً بينهم وبين المحبوب وأنها مبغوضة عند أهل الله ومجاوري عالم القدس والملكوت، ولهذا السبب فقد عاشوا طاهرين وغادروا هذا العالم الفاني إلى العالم الباقي طاهرين.

كما أن الأنبياء الإلهيين يشعرون بكرامة النفس بحدها الأعلى، ولهذا كانوا يحبون كرامة الإنسان، وقد سعوا بكل جهدهم لإيصال الجميع إلى الكرامة بالفعل، لقد كانوا يفرون من الأمور الدنيئة والحقيرة، ويهتمون بمعالي الأمور، وكانوا يختارون من كل شيء أحسنه وأعلاه، ويبعدون من فضاء حياتهم الملكوتية والقدسية كل أمر دنيء لاقيمة له، فهم كانوا يعلمون أن الأمور السامية وسيلة الكمال والقرب من الله تعالى.

إقامة الحدود الإلهية:

لقد كان الأنبياء يتمتعون بأعلى درجات المحبة والعطف والرحمة تجاه الناس وذلك لأجل هدايتهم، ولم يكونوا يشعرون بالغضب والغيظ أبداً في طريق هداية الإنسان، ولم يكونوا مستعدين لتعطيل أي حد من حدود الله ترتبط به حياة

المجتمع، فإقامتهم للحدود والقصاص الإلهي كان يمثل عين المحبة والرأفة بالمجتمع الإنساني.

ولم يكن أولئك العظماء أهل خوف وجبن من ساحات الحرب والجهاد والموت أبداً، وذلك لأنهم كانوا يعلمون أن الدنيا مقدمة الآخرة، وأن الآخرة أفضل من جميع الدنيا ومافيها. وكانوا يتمتعون بالجسارة على القيام بالأمور الإلهية، وآمنون من ضعف النفس. ولم يكن هناك من عمل خيرٍ إلا كانوا أسرع الناس جميعاً وأجرأهم على القيام به، فلم يفتهم أمر خيرٍ في تمام حياتهم، ولم يصدر منهم أي شرٍ ولو قليلاً في أي مجال كان !.

وكانوا أجود الناس وأسخاهم، لأنهم كانوا مرتبطين بخزائن رحمة الحق، وكانوا متيقنين أن خزائن العناية الإلهية لاتنفد ولاتنقص، ولهذا كانوا لايترددون في الإيثار بالمال والعلم والروح، ويعلمون أن الفائدة العظيمة وغير المتناهية لهذا الإيثار ترجع إليهم.

وعندما كانوا يختلون للأنس والعبادة كان وجودهم كالبحر مليء بالنشاط والحيوية، فلم يكن تعب النهار ليؤثر أبداً على عشقهم ونشاطهم في عبادة المحبوب والأنس به، لأنهم كانوا أعرف الموجودات بالله تعالى، ولذا فقد جعلوا كل عشقهم ومحبتهم له تعالى، ولم يهابوا الضعف والتعب في هذا السبيل.

وكانوا منزهين عن اللجاج والعناد أمام الحق والعدل والبرهان والحكمة، فكانوا يسلمون للحق والعدل بمجرد ظهوره، ويعلنون قبولهم له بكل وجودهم.

ففي سورة الكهف نجد أنه بمجرد سماع موسى بن عمران عليه السلام من الله تعالى أن هناك شخصاً في مجمع البحرين أعرف منه بالحقائق والأسرار، ورغم مقامه

الرفيع فهو من أولوا العزم من الرسل، فإنه طلب من الله تعالى أن يرشده إلى ذلك الشخص، ليستفيد من العلم الواسع لذلك الشخص في كماله وتقوية روحه وقلبه[١]!!.

نعم، إنه يتحتم عليكم التسليم أمام نبوة الأنبياء، وأن تخاطبوا ذلك المقام العظيم والنور اللامتناهي بخضوع:

بدونك أيتها الوردة المتفتحة لايوجد في بستاني سوى قلبي المجروح وعيني الباكية.

لاتعجب بنفسك أيها القمر لهجراني فلاطاقة لي على الهجران في هذه الليالي المظلمة.

في ليالي الهجر تعال وانظر كضوء القمر على سطح المنزل فلايوجد في الدار سوى صورة خيالك.

لافجر ليوم أمل لقائك أيها المسافر فليس من يخفف عني ليل فقدانك.

عشقك الغالي حلَّ في قلبي فجأة وأنا خجل إذ ليس لي إلا كوخي الخرب هذا.

قدمت جسدي للبلاء في سبيل إمكان اللقاء وإذا كان من غم فهو من أجل محبوبي وليس من أجل نفسي.

خصائص الأنبياء:

يمكن اختصار خصائص الأنبياء بالعناوين التالية:

١- الكهف ١٨: ٦٥-٦٦.

١- المصطفون المختارون من قبل الله تعالى.

٢- أفضل الناس في العبادات.

٣- أطهر عباد الله وأخلصهم من جهة القلب والنفس والروح.

٤- يملكون العلم والحكمة.

٥- أتقى الناس.

٦- أصبر الناس في الحوادث.

٧- أكثر الناس شكراً للنعم.

٨- أحسن الناس عملاً على مر التاريخ.

٩- مخلِصين من عباد الله.

١٠- مخلَصين من عباد الله.

١١- أصلح أبناء البشر.

١٢- أفضل الصدِّيقين من الناس.

١٣- أخضع الناس للحق والخلق.

١٤- أخشع الناس من جهة الحالة القلبية.

١٥- أشجع الناس في جميع الجوانب الإنسانية.

١٦- أسخى الناس.

١٧- أعرف الناس بالحقائق.

١٨- أحب الناس عند الله.

١٩- أشد الناس حباً لله.

٢٠- أكثر الناس أمانة تجاه جميع أمور الحياة.

ولكي تشاهدوا نماذج من الواقعيات التي ذكرناها لأنبياء الله في مرحلة النفس والقلب والعمل فلابد لكم من مراجعة آيات كتاب الله المرتبطة بشرح أحوال الأنبياء.

فالقرآن يحكي هذه الخصوصيات عن حياة الأنبياء بشكل يجعل الإنسان يغرق في الحيرة والتعجب.

يوسف عليه السلام في مرآة الواقعية:

ينقل الحسن بن محبوب عن حسن بن عمارة عن مسمع بن سيار عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عندما أصبح يوسف داخل الجب فإنه توجه في تلك الظلمة والوحشة والوحدة إلى الله تعالى بكمال الإيمان والاطمئنان قائلاً:

«اَللّهُمَ إنّي أَسْئَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لا إلهَ إلاّ أَنْتَ الحَنّانُ المَنّانُ، بَديعُ السَّماواتِ وَ الأَرْضِ ذُوالْجَلالِ وَالإكْرامِ أَنْ تُصَلّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَجْعَلَ لي مِنْ أَمْري فَرَجاً مَخْرَجاً وَ تَرْزُقَني مِنْ حَيْثُ أَحْتَسِبُ وَ مِنْ حَيْثُ لا أَحْتَسِبُ»[1].

وبعد أن أخرجته القافلة التي مرت من هناك فإنه لم يكشف عن نفسه ولم يخبرهم بأنه يوسف بن يعقوب وأن منزله وموطنه قريب من هناك، وإنما سكت واستسلم للقافلة، فقد أدرك بفراسته الإيمانية ونور قلبه أن هذا البلاء والمصيبة

١- مهج الدعوات: ٣٠٢؛ بحار الأنوار: ٩٢/١٧٠، باب ١٠٥.

وهذا الابتلاء والامتحان وإن كان ظاهره صعباً، ولكن عاقبته حسنة وإلهية، وأن هذا الامتحان مقدمة ملكوتية للوصول إلى مقام إلهي يكون في ذلك المقام خيره وخير الأمم الأخرى !.

لقد كانت تأبى روحه العظيمة، وبشدة، رغم أنه كان صبياً صغيراً قبول الخداع والتلبيس والتمويه والكذب والحيلة والمكر والكيد والتوهمات والتسويلات النفسانية.

فعندما وقع في مواجهة الوساوس الخطيرة لتلك المرأة المصرية في قصر العزيز وفي تلك الخلوة، وطال هجومها ووساوسها تجاهه لمدة سبع سنين، وكان يوسف قد أصبح بالغاً حينها، فإنه قال في مواجهتها له حسب القرآن الكريم: معاذ الله، فقط.

وعجيبة هذه الكلمة، فمعناها أنه لاتتصوري أنني لاأقترب منك خوف ذهاب وجاهتي في الدنيا، أو العقاب على الجريمة، أو دخول السجن، أو العذاب في الآخرة، وإنما أمتنع عن مبتغاك فقط وفقط لأجل محبوبي ومعشوقي وهو الله تعالى، ومن المحال في هذا الأمر حتى خطور خاطر فكري دنيء في قلبي الطاهر.

الحوار بين يوسف عليه السلام وزليخا:

يقول ابن عباس تلميذ أمير المؤمنين عليه السلام:

حكى لنا أسلافنا أن زليخا قد ضيقت على يوسف سبع سنين لإجابة حاجتها، ولكن يوسف لم ينظر إلى وجهها حتى ولو مرة واحدة، فقالت له في أحد الأيام وهي متوسلة: انظر إلي ولو مرة، فأجاب: إذا نظرت إليك أحرم من رؤية الحق وأصبح أعمى !. قالت: إنك تملك يايوسف عيوناً جميلة، فأجاب: أول عضو مني

يفسد في ظلمة القبر !. قالت: إن لك رائحة جميلة، فأجاب: إذا فتحت قبري بعد ثلاثة أيام من دفني فسوف تفرين من رائحة تعفن جسمي. قالت: لم لاتقترب مني، فأجاب: إن الاقتراب منك سبب للبعد عن الله !. قالت: إن فراشي من الحرير الخالص، فتعال واقض حاجتي، فأجاب: إذا أجبت رغبتك فإني أخسر نصيبي من الجنة. قالت: سوف أسلمك لجلادي السجن، فأجاب: فحينئذ يشتريني الله الرحمن ومولاي العزيز[١].

وعندما دخل السجن قال:

«رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ»[٢].

وبعد خروجه من السجن بعد بقائه فيه لتسع سنوات لأسباب ذكرها القرآن، وتكريم ملك مصر له وقوله له: إن مقامك اليوم معلوم لنا، وأنت أمين وصاحب منزلة في هذا القصر، فإنه كان يستطيع أن يخبرهم بأنه ابن يعقوب ، وأن موطنه مدينة كنعان، ويطلب منهم فرساً سريعة ليرجع إلى موطنه ويزور أبويه، ولكنه لم يقل ذلك، لأنه رأى أن مصر كانت ترزح تحت أسر الأغنياء، وأن عباد الله مبتلون بأناس ظالمين وجائرين، فأراد أن يدخل وينفذ في هذا النظام، عسى أن يستطيع يوماً إذا استطاع الحصول على مكانة شعبية ونفوذ أن يقوم بإنقاذ هذا المجتمع الذي استولى عليه الشيطان ووقع تحت أسر الطواغيت !!.

فقال لعزيز مصر:

١ـ أقوال الأئمة: ٥ / ٢٥.

٢ـ يوسف ١٢: ٣٣.

﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[١].

وبعد أن أمضى فترة في ذلك المنصب وأثبت أمانته وجدارته وصل إلى منصب قيادة مملكة مصر، وامتد نفوذه إلى جميع أوضاع وأحوال تلك المملكة، ويقول القرآن في هذا المجال:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢]

وعندما التقى بإخوته في سفرهم الثالث، ومن أجل أن يخفف من شعورهم بالخجل والحياء، ويخفف من ثقل نفوسهم من العمل الذي أقدموا عليه سابقاً فقد قال لهم:

﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾[٣].

واستفاقوا حينها لأنفسهم وقالوا بعد مكث قليل:

ألست يوسف الذي أخطأنا معه قبل أربعين سنة؟.

فأجابهم: نعم، أنا يوسف وهذا أخي، إن الله قد منَّ علينا بسبب التقوى والصبر، وأوصلنا إلى هذا المقام والمكانة، والله لا يضيع أجر المحسنين.

فقال له إخوته: قسماً بالله لقد فضلك الله علينا بالملك والعزة والعقل والحسن والكمال، وقد كنا مقصرين ومخطئين في عدم معرفة حقك.

١ـ يوسف ١٢: ٥٥.

٢ـ يوسف ١٢: ٥٦.

٣ـ يوسف ١٢: ٨٩.

فقال يوسف العزيز بكامل الرحمة أمام كل هذا الظلم والإساءة من إخوته:

﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[١].

وعندما رأى يوسف العزيز نفسه، وعلى أثر طهارة الروح ونور القلب، في أعلى مقام على الأرض فإنه توجه إلى الله تعالى:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[٢].

نفحة من تعاليم الأنبياء السامية:

يعبّر العرفاء الكبار والحكماء الإلهيون، طبقاً للمعارف الحقة، عن الإنسان بالعالم الصغير بسبب محدودية ظاهره، وبالعالم الكبير لأجل روحه الإلهية وقلبه العظيم الذي هو عرش الرحمن.

العالم الكبير والعالم الصغير:

يقول هؤلاء العارفون:

كما أنه يوجد في العالم الظاهر للكرة الأرضية جبال ومعادن وسواقي وأنهار وبحار وأسواق، كذلك يوجد مثلها في العالم الإنساني الصغير، بمعنى:

١ـ يوسف ١٢: ٩٢.

٢ـ يوسف ١٢: ١٠١.

أن البدن أرض، والعظام جبال، والدماغ منجم، وداخل الجسم بحر، والأمعاء سواقي، والعروق أنهار، والشحم طين، والشعر عشب، وموضع نمو الشعر هو التراب الخالص الناتج من الرياح، والأنس هو العمران، والظهر هو التلال، والوحشة هي الخربة، والتنفس هو الرياح، والكلام هو الرعد، والصوت هو الصاعقة، والبكاء هو المطر، والسرور والفرح هو الضياء، والغصة والحسرة هي الظلام، والنوم موت، والشيخوخة شتاء، والموت انتهاء السفر الدنيوي، وأعوام العمر هي المدن، والشهور هي المنازل، والأسابيع هي الفراسخ، والأيام أميال، والأنفاس خطوات[1]، ولهذا فهو عالم صغير والدنيا تكون بالنسبة له عالماً كبيراً.

أما روحه وقلبه فهما من جهة القابلية أوسع من السماوات والأرض، وهما موطن العلم والهداية والعشق والمحبة وهما القابلان للخلافة والولاية والكرامة والحقيقة، ولهذا فهو عالم كبير والدنيا بالنسبة له تكون عالماً صغيراً.

إن هذا الكون العظيم وهذا العالم اللامتناهي بحاجة إلى معلم وأستاذ كي يقوم بهدايته من خلال معرفته بظاهره وباطنه، ويبين له الغرض من خلقته، ويعرِّفه بمبدئه ومعاده، ويعلمه الطريق الصحيح لسلوكه وسيره من الدنيا إلى الآخرة، وليس هذا المعلم والأستاذ عقله، فعقله محدود من جهة الاستعداد، ولايمكنه سوى درك الجزئيات، وهي جزئيات من الظاهر أيضاً، ولو كان عقله يستطيع أن يكون معلماً له في جميع الأمور لكشف له إلى الآن جميع الأسرار اللازمة، فلابد من الإذعان والاعتراف بالحاجة إلى تعاليم الأنبياء العظام في مجال النمو والتكامل وملاءمة جميع الحقائق الظاهرية مع الباطن، والعثور على طريق السعادة

١- «تفسير خسروي»: ٩/٥.

والسلامة والوصول إلى مقام القرب واللقاء، تلك التعاليم التي تم إبلاغها من قبل الله تعالى إلى الأنبياء، ليقوم أولئك الهداة لطريق الحق بإبلاغها للناس.

لقد قام أنبياء الله العظام بالدرجة الأولى بتعريف وجود الله المقدس وأسمائه وصفاته للناس من خلال البراهين الحكيمة، وبهذا الشكل قاموا بربط قلب من يريدونه أن يصبح إنساناً، والذي هو ـ أي القلب ـ مركز تلقي الأنوار الغيبية، بالله المحبوب من خلال تنويره بنور الإيمان واليقين، وبهذا السبيل هيؤوا الإنسان لنيل مقام القرب والوصول إلى فضاء اللقاء، وصنعوا من أهل الإيمان منبعاً للنور والضياء. نور يرشد الإنسان إلى الملكوت وغيب العالم، ويجعله يخاطب حضرة العزة بلسان حاله قائلاً:

ابتهج أيها القلب المغموم فإن السرور والحزن كلاهما منه، فالتعب منه والراحة منه والجرح منه والدواء منه.

كانت عندي شمس موجودة في خلوة قلبي وكان ضياء القمر والشمس المنيرة منها أيضاً.

اسحبني بقوة حتى تحرر قدمي من الأغلال ولله الحمد فإن هذه العلقة القوية منه هو.

لاتغلقوا باب الخمارة ولاتسدوا فم الزجاجة، وأعطوني من الخمر المعتق فهو يرفع الغم.

الإحاطة بظاهر الوجود وباطنه:

لقد أثبت الأنبياء للإنسان ببيان قاطع أن الوجود المقدس لله تعالى محيط بظاهر الوجود وباطنه، وأن حقه الحقيقي أن يطيعوه، ويتبعوا أوامره في جميع شؤون الحياة، وذلك لأن مالك الوجود وربَّه ليس إلا هو تعالى.

وقد قام أولئك العظماء بتفهيم الإنسان بأدلة حقة أن المطيع لله يكون موضع رضاه تعالى وعاقبته النعيم، وأن العاصي يكون موضع غضبه تعالى وأن منزله الأبدي وموطنه الدائم هو جهنم.

والتوحيد في تعاليم الأنبياء العظام هو أساس جميع الواقعيات والفضائل، فلاقيمة لأي شيء أو أمر إنساني مالم يرتبط بالحق والإيمان برب العزة.

وقد أكد الأنبياء بشدة على التعريف بأسماء الله تعالى وصفاته، وذلك لأن المعرفة بالأسماء معرفة به تعالى، والمعرفة به أفضل عامل في تربية الإنسان وتزكيته وكماله في الدنيا والآخرة.

ومعرفته تعالى تترافق معها بشكل طبيعي معرفة حقوقه تعالى، بمعنى أن الإنسان عندما يعرف الأسماء والصفات، فإنه يصل إلى هذه النتيجة وهي أن حق العبادة وحق الطاعة وحق الربوبية وحق المالكية هي وقف لحريمه المقدس، ولايمكن بأي عنوان كان أن يكون معبود الإنسان ومربوبه ومالكه ومطاعه غير الله تعالى، وأنه إذا جعل غيره تعالى في هذا الموضع يكون قد أشرك وكفر، ويقع في الخزي الدنيوي والعذاب الأخروي.

إن جميع مصائب الإنسان على مر التاريخ معلولة لخطئه واشتباهه وعصيانه في مسألة اتخاذ المعبود، فعندما تصبح الدنيا، أو الدينار والدرهم، أو المقام، أو الشهوة والهوى، أو الطاغوت، أو الصنم، أو العلم، أو الحكومة والسلطة، معبوداً

للإنسان، فإن الإنسان يتبدل حينئذ إلى موجود شرير غير منضبط، لايرحم أحداً ولاشيئاً في طريق حياته.

الأسماء الإلهية:

توجد في باب أسماء الله تعالى، وهو الباب لمعرفة الحق تعالى، رواية مهمة لابد من ذكرها هنا:

في كِتابِ التَّوْحيدِ بِإسْنادِهِ عَنْ مَوْلانا الصّادِقِ عليه السلام عَنْ أبيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَليٍّ عَنْ أبيهِ عَليِّ بْنِ الحُسَيْنِ عَنْ أبيهِ الحُسَيْنِ بْنِ عَليٍّ عَنْ أبيهِ عَليِّ بْنِ أبيطالبٍ عليه السلام قال: قالَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: إنّ لِلّهِ تَبارَكَ وَ تَعالى تِسْعَةً وَ تِسْعينَ اسْماً مِائَةً إلاّ واحِداً مَنْ أحْصاها دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهِيَ:

اَللّهُ الْواحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الأَوَّلُ الآخِرُ السَّميعُ الْبَصيرُ الْقَديرُ الْقاهِرُ الْعَليُّ الأَعْلى الْباقِي الْبَديعُ الْبارِىءُ الأَكْرَمُ الظّاهِرُ الْباطِنُ الْحَيُّ الْحَكيمُ الْعَليمُ الْحَليمُ الْحَفيظُ الْحَقُّ الْحَسيبُ الْحَميدُ الْحَفِيُّ الرَّبُّ الرَّحْمنُ الرَّحيمُ الذّارِئُ الرَّزّاقُ الرَّقيبُ الرَّؤُوفُ الرّائِي السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزيزُ الْجَبّارُ الْمُتَكَبِّرُ السَّيِّدُ السُّبُّوحُ الشَّهيدُ الصّادِقُ الصّانِعُ الطّاهِرُ الْعَدْلُ الْعَفُوُ الْغَفورُ الْغَنِيُّ الْغِياثُ الْفاطِرُ الْفَرْدُ الْفَتّاحُ الْفالِقُ الْقَديمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْقَوِيُّ الْقَريبُ الْقَيُّومُ الْقابِضُ الْباسِطُ قاضِي

الْحاجاتِ الْمَجيدُ الْمَوْلى الْمَنّانُ الْمُحيطُ الْمُبينُ الْمُقيتُ الْمُصَوِّرُ الْكَريمُ الْكَبيرُ الْكافي كاشِفُ الضُّرِّ الْوِتْرُ النُّورُ الْوَهّابُ النّاصِرُ الْواسِعُ الْوَدودُ الْهادِي الْوَفِيُّ الْوَكيلُ الْوارِثُ الْبَرُّ الْباعِثُ التَّوابُ الْجَليلُ الْجَوادُ الْخَبيرُ الْخالِقُ خَيْرُ النّاصِرينَ الدّيّانُ الشَّكورُ الْعَظيمُ اللَّطيفُ الشّافي[1].

وأروي ـ أنا الفقير ـ هذه الرواية القيمة في أسماء الله تعالى بإسناد مشايخي في الإجازة وهم آيات الله العظام محمد هادي الميلاني والسيد أحمد لخونساري والميرزا خليل كمره اى والآخوند ملاّ علي معصومي همداني قدس الله أسرارهم، والسند متصل بالشيخ الصدوق، عن الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام عن الإمام الباقر عليه السلام عن الإمام السجاد عليه السلام عن الإمام الحسين عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

إحصاء الأسماء الإلهية:

يقول الشيخ الصدوق: إحْصَاؤها هوَ الإحاطَة بها، وَالوقُوفُ على مَعانِيها، وَليسَ مَعْنى الإحصَاء عَدّها.

ويقول المحدث الخبير الملا محسن فيض الكاشاني[2]:

قالَ بعضُ أهلِ المَعْرفة: إحْصاؤها أن يَجعَلها أسماء لِنفسِه بِتحْصيل مَعانيها فيها بِقَدرِ الإمكان، وهذا كَقَوله صلى الله عليه وآله:

١ـ الخصال: ٥٩٣/٢، حديث ٤؛ التوحيد: ١٩٤، باب ٢٩، حديث ٨؛ بحار الأنوار: ١٨٦/٤، باب ٣، حديث ١.

٢ـ علم اليقين: ١٠٢/١.

«تَخلَّقوا بأخْلاق الله[١]».

وإلا فلَو أنَّ أحداً أحْصَى ألفَ ألفَ اسم مِن أسْمائه العِظامِ بمُجَرد اللسان، مِن غَيْر أن يَنطبع في طَبعِه، وينتقشَ في نَفسِه تِلك المَعاني المَدلولِ عَليها بتلك الأسامي، فمثله ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٢].

لقد قام الأنبياء ببيان أسماء الحق تعالى وصفاته فقط وفقط من أجل أن يدرك الإنسان مفاهيم هذه الأسماء، ومن ثم لتتجلى تلك المفاهيم في القلب والنفس والروح وجميع الأعضاء والجوارح ليتحقق غرض الله تعالى من جعل الإنسان خليفة له تعالى.

إن الإنسان عندما يتأمل في مفاهيم هذه الأسماء ومعاني هذه الصفات، فإن قلبه ينصرف عن جميع التعلقات غير التعلق بالحق وشؤونه تعالى، فيصبح موحداً في نظره، وموحداً في كلامه، وموحداً في طلبه، ويتجلى نور المعرفة في قلبه، وتتهيأ روحه الربانية للتحليق إلى محضر القدس بتمام اشتياقها، وتتقيد أعمال الإنسان وسلوكه وأخلاقه بتعاليمه تعالى، وتتطهر ثياب إنسانيته وإلى الأبد من قذارة عبادة الهوى والأصنام والمال والشهوة والطاغوت، ويصبح إنساناً خاضعاً بتمام وجوده أمام حضرته تعالى، ويستقر بكمال الخشوع والخضوع في مدار الإطاعة والعبادة، ويغدو مشتاقاً لذلك المحبوب المعشوق والمعبود الواقعي.

١ـ بحار الأنوار: ١٢٩/٥٨، تتميم.

٢ـ البقرة ٢: ١٧١.

وقد أنشد «إلهي قمشه اى» ذلك العارف الصالح:

تعال أيها الساقي أيها الصديق القديم، واسقني خمراً يشفي قلبي وديني.

اسقني خمراً حتى أصبح صاحب سر القلب، وأكون مثل مجنون العشق عاقلاً.

ذلك الخمر الذي يجعل القمر يتراقص وينشي الروح اليقظة.

فالغم والألم يذهبان بذلك الشراب، والبدن الترابي يتبدل بلذته روحاً.

ذلك الشراب الذي شرب منه عباد الله، ووضعوا منه في خمارة العشاق.

ذلك الشراب الذي كان ألذ من الروح، كان في آخر كأسه نور الإيمان.

عظمة الخالق وحقارة المخلوق:

لابد في مدرسة الأنبياء من معرفة الحق تعالى كما يعرفه الأنبياء، فيكون الله تعالى في عرش باطنك أكبر وأعظم من أي شيء آخر، بحيث يبدو جميع العالم في عين رأسك صغيراً وحقيراً، وبعبارة أخرى اعمل على تجليه في باطنك من خلال تحصيل المعرفة والعمل الصالح، ولاتدع غيره تعالى يعبر من حدود بصر رأسك، فإن المظاهر الخادعة للدنيا إذا عبرت البصر ووجدت طريقها إلى القلب فإنها تأسرك، ألم تسمع وصف أمير المؤمنين عليه السلام لعشاق الله:

«عَظُمَ الْخالِقُ في أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ ما دونَهُ في أَعْيُنِهِمْ»[1].

١ـ نهج البلاغة: خطبة ١٩٣؛ بحار الأنوار: ٣١٥/٦٤، باب ١٤، حديث ٥٠.

فهم لايُخدعون بأي شيء كان، وذلك بسبب إدراكهم لعظمته تعالى، فأي شيء كان سواء كان من ذوي الأرواح أم غيرهم ليس له أي تأثير عليهم.

العبادة والعبودية من أجل ارتقاء الإنسان:

لقد أوجب أنبياء الله العظام تكاليف ومسؤوليات على الإنسان تحت عنوان العبادة والعبودية، ليرتقوا به ببركة العبادة من المقام الحيواني إلى المقام الملكوتي السامي، لأنه لاطريق لارتقاء الإنسان غير طريق أداء التكاليف العبادية.

الصلاة والذكر:

إن هذه العبادات تكون أحياناً بصورة صلاة وذكر بخضوع وخشوع، وهذه الصلاة وهذا الذكر اللذان يكون تحققهما مشروطاً بشروط مهمة جداً داخلية وخارجية، وأداؤهما كذلك مترافق بعدة شروط، يردعان الإنسان عن الفحشاء والمنكر، وبعبارة أخرى يطهِّران الإنسان من القذارات الداخلية والخارجية، وقد مرَّ البحث المفصل لذلك في المجلد الخامس من الكتاب.

التنازل عن مال الدنيا:

وتكون أحياناً أخرى بصورة نظام مالي كالصدقات، والإنفاق، والخمس، والزكاة، وإعانة اليتيم والمسكين والمحتاج والمريض، فهذه التكاليف تحيي الحالات الإلهية في وجود الإنسان مثل الجود، والسخاء، والمروءة، والرحمة، والعاطفة، وترفع مشاكل الناس.

الصوم واجتناب الرذائل:

وقد أمر الأنبياء الناس بالصوم واجتناب الرذائل الداخلية، كي يتمكن الناس بذلك من تزكية نفوسهم، ويستحقوا الوصول لمقام القرب وتذوق شراب اللقاء.

الاعتبار من الماضين:

لقد حثَّ الأنبياء الناس على السفر أحياناً لرؤية العجائب والآيات الإلهية المتجلية في جميع صفحات الطبيعة، لتزداد معرفتهم بأنفسهم من خلال هذا السفر، ويتذكروا سفرهم من الدنيا إلى الآخرة ورؤية نتائج أعمالهم، ويستزيدوا من خلال ذلك في تكاملهم، ويدركوا حتمية سفرهم إلى عالم آخر بعد هذا العالم ولابديته، وليفهموا أيضاً من خلال رؤية القصور الخربة والآثار المندثرة للملوك والجبابرة والظلمة، وقبورهم البالية المندرسة، وأبدانهم وجماجمهم النخرة، أنه: **أولاً**: ليس هناك من أحد خالد في الدنيا وإن كان يملك أعظم الإمكانيات. **وثانياً**: إن عاقبة رأس كل متكبر أن ينكسر، وعاقبة أنف كل متكبر أن يُمَرَّغ في التراب، وأنه لاشك في أن كل نفس ظالمة سوف تكون أسيرة لأعمالها القبيحة، وسوف تواجه العذاب الإلهي الأبدي تجاه كل ظلمها لعباد الله تعالى.

الاعتبار من السابقين في نهج البلاغة:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الاعتبار من السابقين متحدثاً عن أحوال الأموات:

«جِيرانٌ لا يَتَآنَسُونَ، وَ أَحِبّاءٌ، لا يَتَزاوَرُونَ، بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى التَّعارُفِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبابُ الإخاء، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَ هُمْ جَمِيعٌ، وَ بِجانِبِ الْهَجْرِ وَ هُمْ أَخِلاءٌ، لا يَتَعارَفُونَ لِلَيْلٍ صَباحا، وَ لا لِنَهارٍ مَساءً، أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً،

شاهَدُوا مِنْ أَخْطارِ دارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خافُوا، وَ رَأَوْا مِنْ آياتِها أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا.

فَكِلْتَا الْغايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلى مَباءَةٍ، فَأَتَتْ مَبالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجاءِ، فَلَوْ كانُوا يَنْطِقُونَ بِها لَعَيَّوا بِصِفَةِ ما شاهَدُوا وَ ما عايَنُوا، وَ لَئِنْ عَمِيَتْ آثارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصارُ الْعِبَرِ، وَ سَمِعَتْ عَنْهُمْ آذانُ الْعُقُولِ، وَ تَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهاتِ النُّطْقِ، فَقالُوا: كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّواضِرُ، وَ خَوَتِ الأَجْسامُ النَّواعِمُ، وَلَبِسْنا أَهْدامَ الْبِلَى، وَ تَكاءَدَنا ضِيقُ الْمَضْجَعِ، وَ تَوارَثْنَا الْوَحْشَةَ، وَ تَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَانْمَحَتْ مَحاسِنُ أَجْسادِنا، وَ تَنَكَّرَتْ مَعارِفُ صُوَرِنا، وَ طالَتْ فِي مَساكِنِ الْوَحْشَةِ إِقامَتُنا، وَ لَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجا، وَ لا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً!

فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطاءِ لَكَ، وَ قَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْماعُهُمْ بِالْهَوامِّ فَاسْتَكَّتْ، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصارُهُمْ بِالتُّرابِ فَخَسَفَتْ، وَ تَقَطَّعَتِ الأَلْسِنَةُ فِي أَفْواهِهِمْ بَعْدَ ذَلاقَتِها، وَ هَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِها، وَ عاثَ فِي كُلِّ جارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلىً سَمَّجَها، وَ سَهَّلَ طُرُقَ الآفَةِ إِلَيْهَا، مُسْتَسْلِماتٍ فَلا أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَ لا قُلُوبٌ تَجْزَعُ، لَرَأَيْتَ أَشْجانَ

قُلُوبٍ وَ أَقْذاءَ عُيُونٍ لَهُمْ فِي كُلِّ فَظاعَةٍ صِفَةُ حالٍ لا تَنْتَقِلُ، وَ غَمْرَةٌ لا تَنْجَلِي.

وَ كَمْ أَكَلَتِ الأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَ أَنِيقِ لَوْنٍ، كانَ فِي الدُّنْيا غَذِيَّ تَرَفٍ، وَ رَبِيبَ شَرَفٍ، يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ، وَ يَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنًا بِغَضارَةِ عَيْشِهِ، وَ شَحاحَةً بِلَهْوِهِ وَ لَعِبِهِ، فَبَيْنما هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيا وَ تَضْحَكُ الدُّنيا إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَ نَقَضَتِ الأَيَّامُ قُواهُ وَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ فَخالَطَهُ بَتٌّ لا يَعْرِفُهُ، وَ نَجِيٌّ هَمٍّ ما كانَ يَجِدُهُ، وَ تَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَراتُ عِلَلٍ آنَسَ ما كانَ بِصِحَّتِهِ.

فَفَزِعَ إِلى ما كانَ عَوَّدَهُ الأَطِبّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحارِّ بِالْقارِّ وَ تَحْرِيكِ الْبارِدِ بِالْحارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبارِدٍ إِلا ثَوَّرَ حَرارَةً، وَ لا حَرَّكَ بِحارٍّ إِلا هَيَّجَ بُرُودَةً، وَ لا اعْتَدَلَ بِمُمازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبائِعِ إِلا أَمَدَّ مِنْها كُلَّ ذاتِ داءٍ، حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ، وَ ذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَ تَعايا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دائِهِ، وَ خَرِسُوا عَنْ جَوابِ السّائِلِينَ عَنْهُ، وَ تَنازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ، فَقائِلٌ يَقُولُ هُوَ لِمَا بِهِ، وَ مُمَنٍّ لَهُمْ إِيابَ عافِيَتِهِ، وَ مُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أُسَى الْماضِينَ مِنْ قَبْلِهِ، فَبَيْنَما هُوَ كَذلِكَ عَلَى جَناحٍ مِنْ فِراقِ الدُّنْيا

وَ تَرْكِ الأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوافِذُ فِطْنَتِهِ، وَ يَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسانِهِ، فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَ دُعاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصامَّ عَنْهُ مِنْ كَبِيرٍ كانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كانَ يَرْحَمُهُ، وَ إِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَراتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيا[1].

أوامر الأنبياء للناس:

لقد أوجب الأنبياء من قبل الله تعالى على الناس بعض التكاليف التي يجتمع الناس على أساسها، لتكون مثار طرح مشاكلهم ومناقشة حلولها، وبتعاون الجميع يتم علاج المصاعب وحل المشاكل، وذلك من قبيل تكاليف صلاة الجماعة، وصلاة الجمعة، ومسألة الحج العظيمة، وهذه العبادات ليست مرتبطة بيوم أو أيام أو أسبوع أو عام محدد فقط، بل هي مستمرة حتى آخر العمر، ويجب أداؤها في جميع الأوقات، ويتمكن الناس من خلال هذه العبادات من حل مشاكلهم الدنيوية والاجتماعية، وكذلك يصلون للثواب والأجر الأخروي ببركة هذه العبادات.

وكذلك فقد أتى الأنبياء بمجموعة من القوانين المرتبطة بالملك والأملاك والصناعات والتجارات والعقود والمعاوضات والإرث والميراث والدين والقرض والغنائم والصدقات والعهد والنذر والقسم والشهادة في المحاكم والقضاء،

١- نهج البلاغة: خطبة ٢٢١؛ بحار الأنوار: ٤٣٤/٧٤، باب ١٥، حديث ٤٧.

بحيث يكون تطبيق هذه القوانين ضامناً لسلامة المجتمع، ويؤدي إلى حل مشاكل الناس في المجالات الاجتماعية والاقتصادية وموارد الاختلاف والنزاع.

وفيما يرتبط بحفظ شؤون المرأة في أمور الزواج والطلاق وعدة الطلاق والرجوع والمحرمات النسبية والرضاع وتربية الأولاد، وحق الزوجة على الزوج، ومايرتبط بنظام الأسرة، فقد أتى الأنبياء بمجموعة من القوانين أيضاً من عند الله، يؤدي تطبيقها إلى تقوية بناء الأسرة، ويساعد في ارتقاء المرأة والرجل والأولاد وتكاملهم وتربيتهم.

وقد منع الأنبياء من الإضرار وتحمل الضرر في جميع المعاملات، وأعطوا الحق لكل شخص بالدفاع عن حقوقه في جميع مجالات الحياة، ولم يسمحوا لأحد بممارسة التجارة والمعاملة والمعاشرة بشكل يؤدي إلى وقوع ضرر على شخص آخر من جهة عقله أو روحه أو تربيته أو عرضه أو ماله أو شرفه.

وقد منع الأنبياء بشدة من الخداع والمكر والتزوير والقهر والبطالة، وأكل المال بالباطل والغصب والسرقة والقمار والقيادة والفحشاء والمنكرات، والأعمال التي تضر بدين الناس وإيمانهم مثل الطرب واللهو واللعب، وبينوا أن من يقع في هذه الأمور يكون مورد غضب الحق تعالى وضالاً، وسوف يكون حطب جهنم في الآخرة.

وقد حذر الأنبياء بشدة من اللواط والزنا والاستمناء، وذلك لحفظ النسل وتربية الإنسان وبقاء الإنسانية والأخلاق الإلهية في المجتمع، وأوضحوا أن من يرتكب أحد هذه الذنوب الثلاثة يكون قد ارتكب أكبر الكبائر، وبينوا العقاب الكبير على كل من هذه الثلاثة سواء في الدنيا أم في الآخرة !!.

وقد اعتبر الأنبياء أن الأمهات والآباء مسؤولون عن تربية أولادهم والنفقة عليهم، وبالمقابل فإنه يجب على الأولاد احترام الآباء والأمهات والإحسان إليهم.

لقد بيَّن أنبياء الله تعالى للناس جميع الرذائل الأخلاقية، وجميع الفضائل الروحية، وقد طلبوا من جميع الناس، وبهدف نشر خيمة العدل والقسط، تطهير أنفسهم من الرذائل بشكل كامل والتحلي بالفضائل الأخلاقية السامية، وأوجبوا ذلك عليهم.

وبغرض حفظ سلامة أحكام الله، وحفظ المؤمنين وحفظ أعراض المسلمين، وكذلك حفظ الحدود والثغور وأرض المسلمين من شر الأشرار وكيد الكفار وفساد المفسدين، فقد أوجبوا الجهاد والدفاع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتبروا ذلك من الفرائض، كما بينوا الأحكام والتكاليف تجاه الحرب مع الأعداء، وأن تلك الأحكام هي فقط وفقط بغرض إعلاء كلمة الحق وحفظ الإيمان واستئصال الباطل والقضاء على الفساد، فإذا وقعت حرب مع أعداء الدين كانت المشاركة فيها بالمال والروح من أعظم الواجبات، والهروب والفرار منها يساوي الكفر بالله.

واعتبر الأنبياء أن طلب العلم والمعرفة والحركة باتجاه السمو والكمال والإنسانية واجب على جميع الرجال والنساء، ولعنوا المتساهل المتكاسل في هذا المجال.

وكان هناك تكليف من قبل الله تعالى على الأنبياء بتعيين خلفاء لهم من بعدهم، وذلك من أجل حفظ نظام النبوة، وحفظ المسائل الإلهية واستمرار تعاليمه تعالى، هؤلاء الخلفاء والأوصياء الذين كان يبينهم الله البصير لهم، وقد بيَّن الله تعالى أن التساهل في هذا الواجب يساوي هدم النبوة وعدم إتمام الرسالة

، والذين تم تعيينهم خلفاء من بعد هؤلاء الأنبياء البالغ عددهم مئة وأربعة وعشرين ألف نبي كانوا كلهم معينين من قبل الله تعالى مباشرة، وكانت وظيفة الأنبياء مجرد الإبلاغ عن خلافتهم عنهم لأممهم.

وعلى كل حال فقد أتى الأنبياء بمجموعة من القوانين من قبل الله تعالى وبمقتضى رؤيتهم لمصالح الناس بإذن الله، وترتبط هذه القوانين بظاهر الحياة وباطنها، وبالأمور المادية والمعنوية، وبالمسائل الدنيوية والأخروية، وبقضايا الأسرة والمجتمع والسياسة والاقتصاد، وقد تم إبلاغ هذه القوانين على مر التاريخ وحسب ظهور الاحتياجات، إلى أن حان ظهور بعثة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله حيث وصلت مسألة وضع القوانين إلى كمالها، وجعل الله تعالى الدين الذي أتى به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هو الدين الكامل الجامع والنعمة التامة إلى يوم القيامة، وبذلك ختمت النبوة وتم الدين، وجعل هذا الطريق وإلى نهاية العالم هو الطريق الصحيح للحياة وهو الصراط المستقيم.

بشارة الكتب السماوية بنبي الإسلام والأئمة الطاهرين:

إن مسألة الوجود المبارك لرسول الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وخلفائه المعصومين الإثني عشر هي من أعجب مسائل الخلقة، ومن أعظم قضايا الوجود، ومن أكبر المسائل الإلهية.

فطبقاً للروايات المستفيضة الواردة في تفسير بعض الآيات القرآنية والموجودة في أكثر الكتب اعتباراً عند الشيعة والسنة، فقد أنبأ الله تعالى ملائكته بوجود النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وذلك قبل خلق الإنسان، وأخذ منهم الإقرار

بنبوة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وإمامة الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وقد أخبر الله تعالى جميع أنبيائه منذ خلق آدم عليه السلام وحتى زمان عيسى عليه السلام بوجود النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من بعده، وأخذ منهم الميثاق بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وإمامة الأئمة عليهم السلام، وأوجب عليهم إبلاغ أممهم بظهور نبوته صلى الله عليه وآله وولاية الأئمة عليهم السلام من بعده[١].

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[٢].

وقد جاءت في سورة الصف أوضح آية في هذا المجال:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُم مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٣].

ومع ملاحظة عمق هاتين الآيتين ومفهومهما وباطنهما وظاهرهما، وكذلك الروايات المستفيضة الواردة في ذيلهما، فإنه لايبقى شك لأحد في أن الله تعالى

١ـ تفسير القمي: ١٠٦/١ و ٢٤٦.

٢ـ آل عمران ٣: ٨١.

٣ـ الصف ٦١: ٦.

قد أخبر أنبياءه الكرام بمجيء النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وأنه قد أخذ منهم الميثاق بإبلاغ أممهم بنبوة الرسول صلى الله عليه وآله وإمامة الأئمة عليهم السلام.

نعم، لقد أخذ منهم الميثاق والعهد على أن أياً منهم إن أدرك زمانه صلى الله عليه وآله وشاهده فلابد من أن يؤمن به وينصره ويساعده في تحقيق أهدافه، وأنه إذا لم يدركه فلابد له من إخبار قومه وأمته بأوصاف النبي صلى الله عليه وآله وخصوصياته ويطلب منهم الإيمان به صلى الله عليه وآله ونصرته، وأنهم إذا لم يدركوه هم أيضاً فعليهم وصية من يأتي بعدهم ممن يدركه صلى الله عليه وآله بالإيمان به صلى الله عليه وآله ونصرته.

كما أن السبب في بيان الله تعالى لأنبيائه أوصاف نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وخصوصياته، وكذلك إبلاغ الأنبياء هذه الأمور لأممهم، هو عدم وقوع الاشتباه منهم في معرفة شخصه صلى الله عليه وآله، ولإتمام الحجة الإلهية على جميع البشر.

وماورد في الآية الشريفة من سورة آل عمران:

﴿وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

حيث يقول الله تعالى بأنني أنا الله أيضاً أشهد معكم برسالته صلى الله عليه وآله، فإن هذا يدل على منتهى الإجلال والتعظيم للرسول صلى الله عليه وآله، ولم يقع في تاريخ الوجود تعظيم من الله تعالى لأحد من الناس مثل ذلك.

عَنْ أَبِي الحَسَن عليه السلام قال: «وِلايَةُ عَلِيٍّ عليه السلام مَكْتُوبَةٌ في جَمِيعِ صُحُفِ الأَنبِياءِ وَلَمْ يَبْعَث اللّهُ رَسولاً إلاّ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ وَ وَصِيَّة عَلِيٍّ»[2].

١ـ آل عمران ٣: ٨١.

٢ـ الكافي: ٤٣٧/١، باب فيه نتف وجوامع من الرواية، حديث ٦؛ بحار الأنوار: ٤٦/٣٨،باب ٥٨، حديث ٤.

وقد أشارت سورة الأعراف إلى مسألة إبلاغ نبوة الرسول صلى الله عليه وآله في التوراة والإنجيل:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّورَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾[1].

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في التوراة:

وردت بشارة موسى عليه السلام بظهور محمد صلى الله عليه وآله في السفر الأول من التوراة.

وكذلك وردت بشارات إبراهيم عليه السلام بظهور محمد صلى الله عليه وآله في السفرين الثاني والخامس عشر من التوراة، ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى بشكل قاطع في الآية ١٢٩ من سورة البقرة[2].

وكذلك وردت البشارة بظهور محمد صلى الله عليه وآله في الباب الثالث والخمسين من مزامير داوود عليه السلام، وكذلك ورد الخبر بظهوره صلى الله عليه وآله في بشارات عويديا وحيقوق وحزقيل ودانيال وشعيا الواردة في التوراة.

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في الإنجيل:

جاء في الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام:

بعد بارقليطا سوف يأتي محمد صلى الله عليه وآله الذي سوف يخفف عنكم ماليس من الدين، ويبين لكم ماأبهم عليكم، ويشهد بنوتي كما شهدت بنبوته.

١ـ الأعراف ٧: ١٥٧.

٢ـ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وكان كعب بن لؤي بن غالب ـ وكان من كبار علماء أهل الكتاب قبل نبوة الرسول الأكرمﷺ ـ يجمع الناس كل أسبوع في يوم كانوا يسمونه «**العَروبة**» فسمّاه هو «**الجمعة**»، وكان يحدثهم فيه بمجيء رسول الإسلامﷺ.

وقد أوحى الله تعالى إلى عيسىعليه السلام: اسمع وأطع، ياابن الطاهرة الطهر البكر البتول، أنت من غير فحل، أنا خلقتك آية للعالمين فإياي فاعبد، وعليَ فتوكل، وخذ الكتاب بقوة... بلّغ من بين يديك إني أنا الله الدائم الذي لاأزول، صدقوا النبي الأمي صاحب الجمل والمدرعة..... ذو النسل القليل، إنما نسله من مباركة لها بيت في الجنة... لها فرخان مستشهدان، دينه الحنيفية، وقبلته مكة، وهو رحمة للعرب والعجم، وله يوم القيامة حوض كبير عليه كؤوس بعدد نجوم السماء، لون شرابه يجمع ألوان شراب الجنة، وطعمه طعم جميع ثمار الجنة، كل من يشرب منه لايظمأ أبداً، يعبدني كالملائكة، قلبه خاشع لي، يتلألأ نور المعرفة من صدره، ويجري الحق على لسانه، تنام عيناه ولاينام قلبه، وقد ادخرت له مقام الشفاعة، وتقوم القيامة عند قيام أمته من القبور.

وقد ورد حديث أكثر تفصيلاً من هذا في كتاب «**إكمال الدين**» للشيخ الصدوق[1].

النبي الأكرمﷺ والأئمة المعصومونعليهم السلام عند اليهود:

يقول علي بن عيسى الأربلي صاحب كتاب «**كشف الغمة**»:

نقل لي بعض اليهود جملة وردت في التوراة حول الرسول الأكرمﷺ، وقد وجدتها بنفسي في التوراة المترجمة إلى العربية، وهي:

١ـ إكمال الدين: ١٥٩.

«إِسْماعيلُ قَبِلْتُ صَلاتَهُ وَبارَكْتُ فيهِ وَأَنْمَيْتُهُ وَكَثَّرْتُ عَدَدَهُ بِمادْمادٍ «مَعْناهُ مُحَمَّدٌ» وَعَدَدُ حُرُوفِهِ اِثْنانِ وَتِسْعونَ حَرْفاً سَأخْرُجُ اثْنَيْ عَشَرَ إِماماً مَلِكاً مِنْ نَسْلِهِ وَأُعْطيهِ قَوْماً كَثيرَ الْعَدَدِ»[1].

ويبلغ مجموع حروف الاسم المبارك «محمد» بحروف الأبجد، بدون تشديد الميم الثانية، اثنين وتسعين:

م = ٤٠، ح = ٨، م = ٤٠، د = ٤

وقد جاء في إحدى سور الكتب السماوية كما يروي وهب بن منبه[2]:

أبعث بين الأميين نبياً برسالتي، لايغضب غير قسي القلب، لايعيب ولايداهن، ليس بفحاش ولاصخاب، جمعت فيه جمال الباطن والظاهر، له خلق كريم، التقوى شعاره، والحكمة كلامه، وعادته الصدق والوفاء، والعفو خلقه، والحق مسلكه، والعدل سيرته، والإسلام دينه.

أرفعه، وأصلح عيشه، وأحفظه من الضلال وأهديه، وأجمع به القلوب المتفرقة، أجعل المخلصين أمته، وألهمه التسبيح والتقديس والتحميد، أعمر مساجدهم بالصلاة، وأحسن مبدأهم ومعادهم.

تهاجر أمته في سبيلي بالمال والنفس، يقومون بالركوع والسجود والقيام أمام عظمتي، يكونون رهبان الليل أسود النهار، وهذا من رحمتي أنزلها على من أشاء، وأنا ذو الرحمة الواسعة.

١ـ كشف الغمة: ٢١/١.

٢ـ بحار الأنوار: ٢٣٩/٦١، باب ١٠، باختلاف يسير.

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في كلام سليمان عليه السلام:

يقول كعب الأحبار: عندما وصل سليمان عليه السلام إلى المدينة الطيبة أثناء مسيره إلى اليمن قال لأصحابه: هذه هي المدينة التي يهاجر إليها نبي آخر الزمان، طوبى لمن يؤمن به ويتبعه ويقتدي به في جميع أموره.

وعندما وصل مكة قال: إن النبي العربي يهاجر من هنا إلى المدينة، يقوي الله أنصاره، يتساوى القريب والبعيد عنده في الحق، ولايخشى في الحق لومة لائم.

فقالوا له: ياابن داوود! وماهو دينه؟. فأجاب: دينه الحنيفية.

فقالوا: وكم هو الزمان بيننا وبينه؟. فأجاب: أكثر من ألف عام، لقد أبلغتكم ويجب عليكم أيضاً إبلاغ من يأتي بعدكم أنه سيد جميع الأنبياء وخاتم الرسل واسمه مذكور في كتب الأنبياء.

وبعد أن تجاوز سليمان مكة، صاحت مكة إلى الله تعالى، فجاءها الخطاب: ماسبب بكاؤك؟. فأجابت: إلهي! أنت أعلم بأن سليمان رسول من رسلك، وقد مرَّ علي ولم ينزل للصلاة والعبادة، ولم يذكرك عندي، والمقيمون في أرضي من المشركين، فأوحى الله إليها: عما قليل سوف أملؤك من الساجدين، وأنزل القرآن أولاً في أرضك، وأبعث فيك نبياً هو أحب الأنبياء إليَّ، وأسكن أرضك قوماً يعبدونني، وأضع تكاليف على عبادي يسرعون إليك لقضائها، وتضج جوانبك بالآهات والعويل، كعويل الناقة على ولدها والطير على فرخه، وأطهرك من الأصنام وعبادتها، وأجعلك قبلة جميع الناس لأجل بركة نبيي.

بشارة كبار علماء الجاهلية بظهور نبي الإسلام صلى الله عليه وآله:

يقول الجاحظ، ذلك العالم وأديب العرب المشهور في كتابه «**البيان والتبيين**»[١]:

كان قس بن ساعدة الأيادي من علماء وحكماء عصر الجاهلية، وقد أقسم أمام الناس قائلاً: **أَقسَمَ قس قسماً بالله إن لله ديناً هو أرضى له من دينكم هذا.**

فمع أنه لم يدرك رسول الإسلام، ولكنه أعلن إيمانه به في عصر الجاهلية، ويقال بأنه عاش طويلاً. كان يعرف النبيﷺ باسمه ونسبه، وقد بشر الناس ببعثته، وكان من أهل التقوى، ويدعو الناس إلى التقوى، وكان يتحدث بأشياء يعجز عوام الناس عن إدراكها، إلا الخواص من العقلاء، وقد دعا له النبيﷺ بعد بعثته وقال عنه بأنه يحشر يوم القيامة أمة وحده.

وكذلك قد أخبر ببعثة النبيﷺ كل من «تُبَّع» الملك، و «سيف بن يزن»، و «بحيرة» الراهب، و «أبو المويهب»، وقد كانت إخباراتهم مستندة إلى الكتب السماوية، لدرجة أن «سيف» قد ذكر علاماتهﷺ قبل ولادته لعبد المطلب، وقد أخبر «بحيرة» الراهب أبا طالب عن مستقبلهﷺ أثناء رؤيته له في طريق الشام.

وكذلك أيضاً فقد كان كل من «ابن حوّاش» الشامي، و «زيد بن عمرو بن نفيل»، و «سلمان» على علم بهﷺ وبأوصافه بشكل كامل وذلك بسبب راستهم للكتب السابقة.

نعم، لقد كانت هذه الأخبار التي وردت في الكتب السماوية وبالخصوص في التوراة والزبور والإنجيل، قد انتشرت بين الناس بواسطة الأحبار والرهبان

١- البيان والتبيين: ٣٠٨/١.

والحكماء والعلماء والكهنة، إلى أن تحققت ليلة السابع عشر من ربيع الأول بولادة ذلك النور الملكوتي والموجود الرباني والشخصية الإلهية.

عندما ولد من أمه الطاهرة التقية، والتي كانت على دين إبراهيم في أعمالها وأخلاقها وسلوكها، رفع رأسه نحو السماء، ثم خرَّ ساجداً، وحينئذ سطع منه نور أضاء لأمه مابين المشرق والمغرب.

وعندما نقل هذا لأحد أحبار اليهود قال في تأويله: إن نداءه سوف يملأ الأرض، وسوف يؤمر من قبل الله بأمر عظيم.

شعر «أديب الممالك» في ولادة النبي صلى الله عليه وآله:

ذكر «الميرزا صادق خان أديب الممالك فراهاني» الحوادث التي وقعت ليلة ولادة النبي صلى الله عليه وآله في أشعار رائعة لامثيل لها:

قم ياسائق الجمال وقف على المحمل فمن الدوران تكاد تصبح رايتك أيها الباحث عياناً.

لقد صدح على غصن الشجرة صوت القبرة وقد اشتدت حسرتي من طول السفر.

فدعني أسرع من تحت نهر «سماوة» وشاهد في عيني بحيرة «ساوة».

وقد ظهرت من صدري نار فارس.

وأسرع من نهر «سماوة» إلى أرض «تهامة» من طريق «نجد» و«اليمامة».

وخذ القلم حينئذ وعجل واكتب هذه الواقعة في رسالة، وأرسلها مع جناح الحمام ليخبر ملك العجم ليستعد الجميع ويخلعوا عن رؤوسهم الأغطية والعمائم.

وليبتهجوا كابتهاج البلبل بالأرض الخضراء والحجلة بالجبال.

وقل لأبرهة ليس الخير في العجلة فإن مارمت فعله لايستطيع الفيل القيام به.

وارجع من هنا كي لايأتيك جيش أبابيل ولايصيب رأسك ورؤوس قومك حجارة سجيل.

وحتى لايكون مهبط جبرئيل هو عدوك وحتى لايكون كيدك في تضليل.

وحتى لايصيبك صاحب البيت بعذاب من عنده.

كرامة لآية الله الحائري مرتبطة بشعر «أديب الممالك»:

سمعت من أحد التلامذة المؤمنين الأتقياء لآية الله العظمى الحائري مؤسس حوزة قم العلمية، أنه أقيم في أحد أحياء قم في ليلة السابع عشر من ربيع الأول مجلس احتفالاً بمولد النبيﷺ، وكان آية الله الحائري حاضراً في ذلك المجلس، فتأوه متحسراً وقال:

إن مكان الحاج السيد علي أصغر أراكي في هذا المجلس خالٍ، لأنه بصوته الجميل المؤثر وهو يردد أشعار أديب الممالك في هذه المناسبة كان يعطي المجلس نورانية وروحية أخرى. ولم تمض ساعة إلا والحاج السيد علي أصغر يدخل المجلس، فألقى السلام على آية الله الحائري وقدم له التبريكات بولادة

النبي صلى الله عليه وآله، فقال له آية الله الحائري: ماالذي أتى بك إلى مدينة قم، وإلى هذا المجلس؟!.

فأجاب: خرجت من مدينة أراك عازماً السفر إلى مدينة طهران، ولكن السيارة عندما وصلت إلى قم تعطلت، وقال السائق بأنه من المحتمل أن نبقى في قم إلى الصباح، فسررت بذلك جداً، وعزمت على الزيارة في ليلة الولادة هذه، ومن ثم حضور أحد المجالس المعقودة لهذه المناسبة لأستفيد من معنوية النبي صلى الله عليه وآله. فأجاب آية الله الحائري: إن كل هذا من فضل الله وعنايته، فقم واقرأ علينا من أشعار «أديب الممالك» في هذه المناسبة !!.

أسماء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

محمد، أحمد، الحادّ، الماحي، العاقب، الحاشر، رسول الرحمة، رسول التوبة، رسول الملاحم، المقفّي، القُثَم، الشاهد، البشير، النذير، السراج المنير، الضحوك، القتّال، المتوكل، الفاتح، الأمين، الخاتم، المصطفى، النبي، الأمي، المزّمّل، المدّثّر، الكريم، النور، العبد، الرؤوف، الرحيم، طه، يس، المنذر، المذكّر.

وينقل الشيخ الصدوق عن الإمام الباقر عليه السلام قال: إن اسم رسول الله صلى الله عليه وآله في صحف إبراهيم الماحي، وفي توراة موسى الحاد، وفي إنجيل عيسى أحمد، وفي الفرقان محمد. قيل: فما تأويل الماحي، فقال: الماحي صورة الأصنام وماحي الأوثان والأزلام وكل معبود دون الرحمن، قيل: فما تأويل الحاد، فقال: يحاد من حاد الله ودينه قريباً كان أو بعيداً، قيل: فما تأويل أحمد، قال: حسن ثناء الله

عزوجل عليه في الكتب بما حمد من أفعاله، قيل: فما تأويل محمد، قال: إن الله وملائكته وجميع أنبيائه ورسله وجميع أممهم يحمدونه ويصلون عليه [١].

ويقول كعب الأحبار: يسميه [محمد] أهل الجنة عبد الكريم، ويسميه أهل النار عبد الجبار، وأهل العرش عبد المجيد، وسائر الملائكة عبد المجيد، والأنبياء عبد الوهاب، والشياطين عبد القهار، والجن عبد الرحيم، والجبال عبد الخالق، والبرّ عبد القادر، والبحر عبد المهيمن، والحيتان عبد القدوس، والرمال عبد الغياث، والوحوش عبد الرزاق، والسباع عبد السلام، والبهائم عبد المؤمن، والطيور عبد الغفار، والتوراة مودمود، والإنجيل طاب طاب، والصحف العاقب، والزبور الفاروق، ويسميه الله طه و يس، ويسميه المؤمنون محمد.

أخلاق النبي صلى الله عليه وآله و صفاته:

إن النبي صلى الله عليه وآله أفضل من جميع الناس في أخلاقه وأحواله على مر التاريخ، ولايساويه أحد من الملائكة والجن والإنس في شرفه وعظمته وأخلاقه العالية.

يقول سعد بن هشام: سألت زوجة النبي، كيف كان خلقه؟.

فأجابت: ألم تقرأ القرآن؟. قلت: بلى، قالت: كان خلقه القرآن.

ويبدو أن أجمل وأجمع وأكمل عبارة تستطيع بيان أخلاقه صلى الله عليه وآله هي هذه الجملة التي نقلت عن زوجته:

«كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله القرآن» [١].

١- من لا يحضره الفقيه: ١٧٧/٤، باب الوصية من دون آدم عليه السلام، حديث ٥٤٠٣؛ أمالي الشيخ الصدوق: ٧١، المجلس السابع عشر، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٣٩/١١، باب ١، حديث ٣٨.

نعم، كان خلقه القرآن، فالقرآن كتاب هداية، والأخلاق جزء مهم من الهداية.

والموجود المقدس الذي كان يقول:

«تَخَلَّقُوا بِأَخْلاقِ اللّهِ»[٢].

كان أكثر الناس تخلقاً بأخلاق الله.

أخلاق النبيﷺ في القرآن:

يقول القرآن مخاطباً الرسولﷺ في الآيات المرتبطة بالأخلاق:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٣].

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤].

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّه وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[٥].

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٦].

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١].

١ـ الدر المنثور: ٦/٢٥٠.

٢ ـ بحار الأنوار: ٥٨/١٢٩، تتميم.

٣ ـ الأعراف ٧: ١٩٩.

٤ ـ النحل ١٦: ٩٠.

٥ـ النحل ١٦: ١٢٧.

٦ـ الشورى ٤٢: ٤٣.

﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَك وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٢].

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً﴾[٤].

وتكثر في القرآن أمثال هذه الآيات التي تنبه إلى قضايا أخلاقية سامية، والتي لم يتخلق أحد بتلك الآداب كما تخلق بها النبي الأكرمﷺ، فهوﷺ قد غدا منبعاً للفضائل في جميع التوجيهات الإلهية، ومظهر جميع الحقائق وخاصة الحقائق الأخلاقية، فقد أشرق عليه نور الأخلاق من جناب ربِّ العزة عن طريق القرآن وبواسطته أشرق على جميع العالم.

وقد كان الأئمة الطاهرونعليهم السلام فقط من بين جميع أفراد الأمة الذين تخلقوا بجميع وجودهم بجميع أخلاقهﷺ، بحيث أنه لم يكن هناك أي فرق بينهم وبين النبيﷺ في الإيمان والعمل والأخلاق، وإنما الفرق بينهم وبين النبيﷺ ينحصر فقط في النبوة.

١ـ المائدة ٥: ١٣.

٢ـ فصلت ٤١: ٣٤.

٣ـ آل عمران ٣: ١٣٤.

٤ـ الحجرات ٤٩: ١٢.

«يا عَلِيُّ أَنْتَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هرُونَ مِنْ مُوسى إِلاّ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدي»[١].

وحيث كان أدبه الرفيع وأخلاقه الكريمة هي القرآن، وبعبارة أخرى حيث كانت أخلاقه الحميدة وصفاته المحمودة مثل أخلاق الله وأوصافه، فقد خاطب الله تعالى في قرآنه المجيد في ابتداء سورة القلم ذلك المنبع للنور ومخزن الكرامة وأصل كل شرف ومنبت كل حقيقة قائلاً:

«وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ»[٢].

عظمة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله:

وبسبب تخلق منبع الفيض ذاك بالأخلاق الإلهية، فقد ذكره القرآن الكريم في آيات عديدة بعنوان أنه مرآة للظهور التام للحق في الأبعاد الأخلاقية، واعتبر رفعته وعظمته من بعد الله تعالى أعلى رفعة وعظمة، واعتبره في هذا المجال كالحق تعالى موجوداً فرداً واحداً، وأن تمام حقيقته هي حقيقة الله !!.

ففي موضع ذكر أن الوجود المقدس للنبي صلى الله عليه وآله رحمة لجميع العالمين:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣].

وفي موضع آخر قرن طاعته صلى الله عليه وآله بطاعته هو:

١ـ الكافي: ١٠٧/٨، حديث أبي بصير..، حديث ٨٠؛ الأمالي، الشيخ الطوسي: ٢٥٣،المجلس التاسع، حديث ٤٥٢؛ بشارة المصطفى: ٢٦٦؛ الخصال: ٣١١/١، حديث ٨٧؛ بحار الأنوار: ٢٦٥/٣٧، باب ٥٣، حديث ٣٥، لقد ورد هذا الحديث الشريف في معظم كتب السنة، وفي كتاب الغدير، وكذا في العبقات، بطرق عديدة.

٢ـ القلم ٦٨: ٤.

٣ـ الأنبياء ٢١: ١٠٧.

﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾[١].

وفي آية ثالثة اعتبر مبايعة النبيﷺ مبايعة له تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللّهَ﴾[٢].

وفي سورة أخرى جعل عزتهﷺ عزته هو تعالى:

﴿وَلِلّهَ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾[٣].

وفي موضع آخر من القرآن اعتبر رضا النبيﷺ رضاه تعالى:

﴿وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[٤].

وفي آية أخرى جعل إجابة دعوة النبيﷺ إجابة لدعوته هو تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٥].

وفي موضع آخر اعتبر أن ظهور محبة الله في قلوب الناس معلول لاتباع ذلك الوجود الفريد ووحيد دهرهﷺ:

﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾[٦].

١ـ النساء ٤: ٨٠.

٢ـ الفتح ٤٨: ١٠.

٣ـ المنافقون ٦٣: ٨.

٤ـ التوبة ٩: ٦٢.

٥ـ الأنفال ٨: ٢٤.

٦ـ آل عمران ٣: ٣١.

نعم، إن هذا الوجود المقدس هو ذلك المنبع للفضيلة ومخزن النور الذي رفض الرضاع من الطرف الأيسر لحليمة السعدية بعد أن أخذته من أمه آمنة بعد ولادته ووضعته في حجرها، وذلك لأن الطرف الأيمن لصدرها كان قد جفّ من سنوات، وعندما اشتكت من ذلك لأهلهﷺ، قالوا لها: أرضعيه من الطرف الأيمن، فأجابت: لقد جف هذا الطرف بسبب المرض، قالوا: ضعيه في فمه أولاً، فلعله يقبل الطرف الأيسر بعد ذلك، وعندما أدارته ووضعت فمه على طرفها الأيمن، وإذا به يدرُّ حليباً طيباً، وبهذه المعجزة الإلهية أراد الإعلان عن ثلاثة أمور للناس:

١- لم آت لآخذ شيئاً من أحد، وإنما جئت لأغنيكم أنتم الفقراء، ولست بحاجة إليكم، وإنما أنتم الذين تحتاجون إلي في جميع الأمور !.

٢- أنا لاأميل إلى اليسار، وطريقي من الآن طريق اليمين والصراط المستقيم، وأنا في هذا الطريق مرشد وهاد !،

٣- ياحليمة السعدية! إن لك ولداً رضيعاً يحتاج إلى الرضاع من صدرك، وبطرف واحد من الصدر يمكن تأمين حاجة رضيع واحد فقط، وأنا لم آت لأضيع حق أحد، حتى ولو كان بمقدار ذرة، وإنما أتيت لأعيد لجميع الناس حقوقهم المغصوبة !!.

لقد أضاء نور الأخلاق من وجودهﷺ منذ بداية تولده، وهو يتزايد وتتسع دائرته إلى يوم القيامة، وهو في المحشر والجنة سيكون مصباح أهل الحشر وأصحاب الجنة.

لقد كان متحلياً بكل الجمال الإلهي ومحامد الأخلاق، ومتنزهاً عن جميع الرذائل، وهو حريص على تحلي الناس بمكارم الأخلاق وطهارتهم من الرذائل، وكان يكرر عليهم القول:

«بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلاقِ»[١].

فكان يحث الناس بشدة على التحلي بالأخلاق الحسنة، وكان يحب أن يهب نسيم الأخلاق الإلهي في فضاء نفوس الناس لتحيى به.

وقد أنشد «إلهي قمشه اى» في وصف النبي صلى الله عليه وآله:

سلطان الإيمان في العالم هو ملك البطحاء وخاتم ملك الرسالة هو تلك الدرة اليتيمة.

إنه سيد الكونين وسر الدهر وفخر العالمين وجوهرة بحر الخلقة ولؤلؤة إلهية.

وهو مجمع الصفات الجميلة والمظهر الأسمى للحق، وقبلة صلحاء العالم ومقام رفيع.

وهو جوهر العقل الأول ومبدأ إيجاد الحق، وسدرة وطوبى من تلك القامة الجميلة.

في البداية تجلى نور من عند الأحدية على سر أحمد، ومن ذلك التجلي ظهر العرش والكرسي والقلم.

ملك الفصاحة ومنبع كل الكمال، نطقه جواهر وطبع الجواهر الصدق.

١ـ مكارم الأخلاق: ٨؛ مستدرك الوسائل: ١٨٧/١١، باب ٦، حديث ١٢٧٠١.

وجهه مبدأ إشراق شمس الأزل، هو أهل التقوى الدائمة ومنشأ التقوى.

كل آية من قرآنه شاهدة على توحيد الحق، وكل شعرة على أعضائه ناطقة بالتوحيد.

كل من كان له عقل وعشق وعلم ودين فلاشك في أنه يتعلق بذلك النهج السامي والمقصد الأعلى.

أخلاق النبي صلى الله عليه وآله في الروايات:

لقد نقلت كتب السير والحديث بعض الأخلاق الإلهية للنبي صلى الله عليه وآله على لسان أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام والمقداد وسلمان وأبوذر بهذا الشكل:

كان أحلم الناس وأشجعهم وأنصفهم وأعفهم، لم تمس يده الشريفة طوال عمره البالغ ثلاثاً وستيناً عاماً امرأة أجنبية عليه، وكان أسخى الناس، وإذا عاد إلى منزله فلايبقى فيه درهم ولادينار، وإذا حلَّ الليل وبقي بيده درهم فلم يكن يرجع لبيته قبل أن يضعه في الموضع الذي يرضاه الله.

كان يصلح نعله، ويخيط ثوبه، ويساعد أهله في أمور البيت، وكان أشد الناس حياءً، ولايطيل النظر في وجه الرجل، ويجيب دعوة الحر والعبد، ويقبل الهدية ولو كانت شربة لبن ويردها بأحسن منها، ولم يكن يقبل الصدقة، ولايأنف من إجابة دعوة المسكين والخادم.

يغضب لله، ولم يغضب لنفسه طوال عمره، كان متمسكاً بالحق ولو أضر بنفسه وأصحابه، وكان يرفض قبول العون من المشركين في الشدة والبلاء، وكان

يشد حجراً على بطنه من شدة الجوع، ويصبر لذلك، وإذا وجد حلالاً أكل منه وإلا صبر، لايجتنب حلال الله بلا سبب، طعامه إما التمر وحده أو اللبن وحده، أو خبز الشعير أو الحلو أو العسل، وإذا لم يجد من هذا شيئاً شكر الله تعالى !!.

كان يقبل الدعوة إلى وليمة الولادة أو الزواج أو شراء الدار الجديدة أو السفر، ويحضر الجنائز، ويمشي بين الناس بدون حراسة، لايخاف أعداءه، أشد الناس تواضعاً، يجالس الناس ويشاركهم مجالسهم دون تكبر، حسن الخلق، تظهر على وجهه المحبة والرحمة.

لايضطرب لأمر من أمور الدنيا، يلبس مايجده من الحلال، لايختلف عنده مايجده لركوبه أكان هو بغلاً أم فرساً أم حماراً، فكان يركب مايجده.

يعود المريض ولو كان منزله بعيداً، يحب الرائحة الجميلة ويكره الرائحة الكريهة.

كان يحب مجالسة الفقراء، ويأكل مع المساكين، يحترم أهل الفضل، ويستحوذ على قلوب أهل الشرف بالإحسان إليهم، يزور أقرباءه، ويساوي في صلته لأرحامه، لايجفو أحداً، يقبل عذر من يعتذر.

كان طيب الكلام ولكنه لايتجاوز الحق، ويجتنب القهقهة، كان عزيزاً وكريماً ويشارك أصحابه في السباق والرياضة، وإذا علا صوت أحدهم لجهله وقلة أدبه مع ﷺ فكان يصبر ويحلم.

كان عنده عنزة وشاة، فكان يحلبهما بنفسه، ويشارك أهله في شرب الحليب، لايفرق بين نفسه وخادمه وعبده في اللباس والطعام، لايضيع وقته في غير رضا الله، يزور أصحابه في بساتينهم ويدخل السرور على قلوبهم، لم يكن ينظر إلى

أحد وخاصة الفقراء والمساكين بخفة واستحقار، ولم يكن يخاف من صاحب سلطة ولو بمقدار ذرة.

كان أمّياً، لم يكتب حتى كلمة واحدة، نشأ وسط قوم يعمهم الجهل، والفقر، وبين رعاة الغنم والجمال، ولكن الله العزيز ألبسه جميع المحاسن الأخلاقية والخصال الحميدة، وعلّمه من أخبار الأولين والآخرين، ومافيه سبب النجاة والفوز في الآخرة والصلاح والسداد في الدنيا.

كان يسبق الآخرين في إلقاء التحية والسلام، ولم يكن يغادر المكان قبل أن تقضى حاجة المحتاج، وإذا صافح أحداً فلم يكن يسحب يده قبل أن يتركها الآخر، كان يسبق الآخرين في المصافحة والمعانقة، كان يذكر الله في جلوسه وعند قيامه، إذا دخل عليه أحد وهو في الصلاة خفف صلاته ليسأل عن حاجة الشخص، فإذا كان محتاجاً قضى حاجته ثم عاد إلى الصلاة.

يحترم كل من يدخل عليه، حتى أنه كان يفرش له رداءه أوعباءته ليجلس عليها، وكان يساوي الجالسين في نظره إليهم حتى ليحسب كل منهم أنه يحترمه ويكرمه أكثر من الآخرين، كان مجلسه يسوده الحياء والتواضع والأمانة، ينادي الناس بكناهم وألقابهم، ولم يكن يقلل من احترامه لأحد، كان لايغضب، وكان سريع الرضا تجاه المقصرين، كان أرق الناس بالناس، وأنفع الناس للناس، كان كلما قام من مجلسه يقول:

«سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

وكان يقول: علمني جبرئيل هذا الدعاء.

كان أفصح الناس وأبلغهم، حتى ورد أن أهل الجنة يتكلمون بلسانهﷺ.

كان كلامه مختصراً، ولكنه غني بالمعنى، وكان كلامه القليل يحوي كل مايريد إبلاغه للسامع، لم يكن يتكلم بدون حاجة، ولايبتدأ الكلام، لم يتكلم بسوء قط، ولايتجاوز الحق في الرضا والغضب.

كان أخشى الناس لله تعالى، وأتقاهم له، وأعلمهم به، وكان أقوى الناس على عبادة الله تعالى والصبر عليها، وأحب الناس لله تعالى، وأزهد الناس بغيره تعالى.

لم يبتدأ حرباً طوال عمره، ولكنه عندما كان يدخل ساحة الحرب لم يكن يتراجع عن الحق قيد شعرة، ويوصي أصحابه بأن يجاهدوا بنية خالصة لله، وأن لايظلموا عدوهم شيئاً، ولم يكن يرى جهاداً أفضل من جهاد النفس[١].

لقد صرفت النظر عن الشرح التفصيلي لحياتهﷺ وغزواته وسائر أعماله، وأحيل ذلك إلى كتب التاريخ والحديث المفصلة في ذلك.

مقام جمع الجمع للنبيﷺ :

لقد اختارت القدرة الإلهية من كل هذا الجماد الذي لاتُعلم كثرته قليلاً منه جعلته نباتاً، وجعلت من كل النبات الكثير قليلاً منه ذا روح، وجعلت من كل ذي الأرواح الكثيرة قليلاً منها إنساناً، ومن كثير الناس قليلاً منهم عقلاء، ومن كثير العقلاء قليلاً منهم مسلمين، ومن كثير المسلمين قليلاً منهم مؤمنين، ومن كثير المؤمنين قليلاً منهم عابدين، ومن كثير العابدين قليلاً منهم زاهدين، ومن كثير الزاهدين قليلاً منهم عالمين، ومن كثير العالمين قليلاً منهم عارفين، ومن كثير

١- بحار الأنوار: ١٩٤/١٦- ٢٩٩، باب ٩ و ١٠ و ١١؛ كنز العمال: ٤٥١/١٢.

العارفين قليلاً منهم أولياء، ومن الأولياء قليلاً منهم أنبياء، ومن الأنبياء قليلاً منهم رسلاً، ومن الرسل قليلاً منهم أولي العزم، ومن أولي العزم الخمسة جعلت واحداً هو خاتم الأنبياء[١].

وبملاحظة ماسبق فإنه لابد من الاعتراف بحقيقة مستندة على الأصول القرآنية والروائية، وهي أن معرفة النبيﷺ والعمل بسنته يعدُّ من أعظم الواجبات الإلهية، ولاعذر لأحد في هذا الأمر أمام الله تعالى.

يقول «سنائي»:

جاء خلاصة العالم ومحبوب كل أحد، جاء عزيز الأعزة محمد وكفى. وكل من لم يكن كالتراب أمامه، فليحث التراب فوق رأسه حتى ولو كان مَلَكاً.

ويقول «وحشي»:

أحمد المرسل الذي من شرف قدمه يريد الفلك على عظمته أن يكون أرض بطحاء.

إذا جعلت المصحف جلداً فقد أضعت عظمته وحينئذ يكون للإنجيل نصيب الورق المقوى.

ويقول «گيلانى»:

خاتم الرسل و فخر الأمم و العقل الكلي، شمع الطرق وشاهد الشرع والسبل.

أمي لم يقرأ ولم يتعلم عند أحد قد غدا باب كل الأمم وصاحب أم الكتاب.

ويقول «غروي أصفهاني»:

١- رسالة الحاج ملا هادي، رسالة هداية الطالبين.

أيها الأصل القديم والأصل الأقدم، هو حادث توأم مع القديم.

قد قال بشأنك الإله العزيز لولاك لما خلقت الأفلاك.

لقد كان النبيﷺ أكمل الناس وأفضل الناس في معرفة الله ومقت النفس، وفي الفرار مما سوى الله تعالى إلى الله عزّوجل، وفي الرغبة بالآخرة، وفي عبادة الله، وفي تفويض الأمر إليه تعالى.

النبيﷺ في كلام الملا صدرا:

ينقل الفيلسوف الكبير صدر المتألهين الشيرازي عن الخضرعليه السلام:

«خَلَقَ اللّهُ نُورَ مُحَمَّدٍ مِنْ نُورِهِ فَصوَّرَهُ وَصَدَّرَهُ عَلى يَدِهِ يَبْقى ذلِكَ النُّورُ بَيْنَ يَدَيِ اللّه تعالى مِئَةَ أَلْفِ عامٍ فَكانَ يُلاحِظُ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ سَبْعينَ أَلْفَ لَحْظَةٍ وَنَظْرَةٍ يَكْسُوهُ في كُلِّ نَظْرَةٍ نُوراً جَديداً وَكَرامَةً جَديدَةً ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ الْمَوْجُوداتِ كُلَّها»[1].

وقد أوجب القرآن الكريم على جميع الرجال والنساء اتخاذ النبيﷺ أسوة وقدوة لهم في جميع شؤون حياتهم:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهَ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً﴾[2].

يقول الحكيم المدقق «سعدي الشيرازي»:

١ـ تفسير النور: ٣٨٤.

٢ـ الأحزاب ٣٣: ٢١.

كريم السجايا جميل الشيم، نبي البرايا شفيع الأمم.

شفيع الورى ملك البعث والنشر، إمام الهدى وزعيم ساحة المحشر.

إمام الرسل وهادي السبيل، أمين الله ومهبط جبرئيل.

هو كليم أيضاً ولكن جبل طوره كان دائرة الفلك، وكل الأنوار من شعاع نوره.

شفيع مطاع نبي كريم، قسيم جسيم وسيم نسيم، يتيم لم يتعلم الأبجدية قد سبق علوم الأمم السبعة.

وإذ قد امتزج عزمه بسيف الرعب، فقد قطع القمر نصفين بإعجاز.

وإذ قد شاع خبره في الدنيا فقد تزلزل إيوان كسرى من ذلك.

إنكم إذا تأملتم القرآن المجيد لوجدتم أن خير الدنيا والآخرة في اتباع نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، وأن ميزان نجاة كل شخص من العذاب غداً متوقف على مدى رضا النبي صلى الله عليه وآله عنه.

حكم النبي صلى الله عليه وآله وتوجيهاته الأخلاقية:

«يَاابْنَ مَسْعُودٍ أَنْصِفِ النَاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَانْصَحِ الأُمَّةَ وَارْحَمْهُمْ فَإذا كُنْتَ كَذلِكَ وَغَضِبَ اللّهُ عَلى أَهْلِ بَلْدَةٍ وَأَنْتَ فيها وَأَرادَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْعَذابَ نَظَرَ إِلَيْكَ فَرَحِمَهُمْ بِكَ[1]، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[2].

١ـ مكارم الأخلاق: ٤٥٧، الفصل الرابع؛ بحار الأنوار: ١١١/٧٤، باب ٥، حديث ١.

٢ـ هود ١١: ١١٧.

النَّظَرُ إِلَى الْعالِمِ عِبادَةٌ وَالنَّظَرُ إِلى الإمامِ الْمُقْسِطِ عِبادَةٌ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْوالِدَيْنِ بِرَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ عِبادَةٌ، وَالنَّظَرُ إِلَى الأَخِ تَوَدُّهُ فِي اللّهِ عَزَّوَجَلَّ عِبادَةٌ[١].

يَاابْنَ مَسْعُودٍ أَكْثِرْ مِنَ الصّالِحاتِ وَالْبِرِّ فَإِنَّ الْمُحْسِنَ وَالْمُسيءَ يَنْدِمانِ، يَقُولُ الْمُحْسِنُ يا لَيْتَني ازْدَدْتُ مِنَ الْحَسَناتِ وَيَقولُ الْمُسيءُ قَصَّرْتُ[٢]، وَتَصْديقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[٣].

عَلامَةُ الْمُنافِقِ ثَلاثٌ: إِذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خانَ[٤].

مَنْ شَهِدَ شهادَةَ حقٍ لَيُحْيِيَ بِها حَقَّ امرئٍ مُسْلِمٍ أتى يَوْمَ القيامةِ وَلِوَجْهِهِ نورٌ مَدَّ الْبَصَرِ يَعْرِفُهُ الْخَلايقُ بِاسْمِهِ وَنَسَبِهِ[٥].

ياأَباذَرٍّ لِيَكُنْ لَكَ في كُلِّ شَيْءٍ نِيَّةٌ حَتّى فِي النَّوْمِ وَالأَكْلِ[٦].

١ـ الأمالي، الشيخ الطوسي: ٤٥٤، المجلس السادس عشر، حديث ١٠١٥؛ بحار الأنوار: ٧٣/٧١، باب ٢، حديث ٦٠.

٢ ـ مكارم الأخلاق: ٤٥٣، الفصل الرابع؛ بحار الأنوار: ١٠٥/٧٤، باب ٥، حديث ١.

٣ـ القيامة ٧٥: ٢.

٤ـ مستدرك الوسائل: ١٣/١٤، باب ٣، حديث ١٥٩٧١.

٥ـ تهذيب الأحكام: ٢٧٦/٦، باب ٩١، حديث ١٦١؛ بحار الأنوار: ٣١١/١٠١، باب ٢، حديث ٩.

٦ـ أعلام الدين: ١٩٤؛ وسائل الشيعة: ٤٨/١، باب ٥، حديث ٩٠.

قيلَ لِلنَّبيِّ صلى الله عليه وآله: فَأَيُّ الإيمانِ أَفْضَلُ؟ قالَ: الْهِجْرَةُ. قيلَ: وَمَا الْهِجْرَةُ؟ قالَ: أَنْ تَهْجُرَ السُّوءَ. قيلَ: فأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قالَ: الْجِهادُ[١].

هَجْرُ الْمُسْلِمِ أَخاهُ كَسَفْكِ دَمِهِ[٢].

إِيّاكَ وَهِجْرانَ أَخيكَ فَإِنَّ الْعَمَلَ لا يُتَقَبَّلُ مِنَ الْهِجْرانِ[٣].

لاتَقاطَعُوا، وَلا تَدابَرُوا، وَلا تَباغَضُوا، وَلا تَحاسَدُوا، وَكُونُوا عِبادَ اللّهِ إِخْواناً، وَلايَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ[٤].

مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً، أَوْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهى عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ دَلَّ عَلى خَيْرٍ، أَوْ أَشارَ بِهِ فَهُوَ شَريكٌ، وَمَنْ أَمَرَ بِسُوءٍ أَوْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ أَشارَ بِهِ فَهُوَ شَريكٌ»[٥].

ثلاثٌ مُهْلِكاتٌ: طاعَةُ النِّساءِ، وَطاعَةُ الْغَضَبِ، وَطاعَةُ الشَّهْوَةِ[٦].

ويمكنكم مراجعة كلام النبي صلى الله عليه وآله وحكمه في الكتب الحديثية المعتبرة مثل «**الكافي**» و «**من لايحضره الفقيه**» و «**وسائل الشيعة**» و «**تحف العقول**» و

١ـ كنز العمال: ١٧.

٢ـ كنز العمال: ٢٤٧٨٩.

٣ـ بحار الأنوار: ٩٠/٧٤، باب ٤، حديث ٣.

٤ ـ الترغيب والترهيب: ٤٥٤/٣، حديث ١.

٥ ـ الجعفريات: ٨٨؛ بحار الأنوار: ٢٤/٢، باب ٨، حديث ٧٦.

٦ـ غرر الحكم: ٤٠٨، حديث ٩٣٧١؛ مستدرك الوسائل: ٣٤٦/١١، باب ٤٢ ،حديث ١٣٢١٧.

«بحار الأنوار» و «مستدرك البحار» و «مستدرك سفينة البحار» فهذه الأوراق المحدودة لاتتسع لتلك البحار اللامتناهية.

ونكتفي في نهاية هذا القسم ببعض الأشعار التي أنشدها الفقيه الكبير والفيلسوف المتبحر المرحوم الحاج الشيخ «محمد حسين غروي الأصفهاني» في وصف الرسول الأكرمﷺ، لعله يصيبنا نحن الفقراء فيض من ذلك المنبع للكرامة وذلك الوجود المقدس:

إن التراب الذي تمشي عليه هو فخر التراب وعالم الطهارة قد أخذ منك الطهارة.

النجوم تائهة في شَعْرك والأفلاك حيرى فيك.

يامن على رأسك تاج لَعَمْرُك، إنه زينة قباء لولاك.

أيها القائد والمرشد للضال، إنك الهادي في الوادي المليء بالأخطار.

قد سمع العالم من معارفك نغمة ماعرفناك.

ياأعظم صورة تجلى فيها الله ماأدق معناك.

إن عظمتك أيها العظيم لايمكن أن تقع تحت الإدراك.

ومأنا ومدح عظيم مثلك فحاشاك عن مديح أمثالي.

وبشأنك قد قال الإله العزيز لولاك لما خلقت الأفلاك.

يامظهر اسم الحق الأعظم، أنت التجلي الأتم والنور المطلق.

نورك هو الصادر الأول وهو المصدر وكل ماهو موجود فهو مشتق.

ياعقل العقول وروح الأرواح، هو أصل أصول كل محَقَق.

ياشمس الشموس ونور الأنوار، هو أعظم نور وإشراق.

يافاتحة كتاب الوجود، لقد اكتسب الوجود رونقه منك.

في سيرك أيها النبي الخاتم قد التحق ذو الغاية بالغاية.

ياآية من المحامد التي يصدقها القرآن المقدس.

لايتسع الشعر لوصفك وكيف يتسع الزورق للبحر.

وبشأنك قد قال الإله العزيز لولاك لما خلقت الأفلاك.

أصحاب النبيﷺ وأتباعه الواقعيون:

لاتسع هذه الأوراق التعرض لشرح أحوال تلك المجموعة من أصحاب النبيﷺ الذين طووا درجات الإيمان والعمل، ووصلوا إلى مقام الرضا والتسليم، وقد أخبر الله عن رضاه عنهم، وقد استشهدوا أو أدركتهم المنية في حياة النبيﷺ، أو الذين اتبعوا بعد وفاة النبيﷺ خليفته الحق والذي أمره الله تعالى بنصبه من بعده وإعلان خلافته عنه في واقعة الغدير، وقد بذلوا كل جهدهم في التزام طريق عليعليه السلام والذي هو طريق الله ورسولهﷺ، ووقفوا معهعليه السلام حتى آخر قطرة من دمائهم، ولكن بعنوان التبرك والتيمن نتعرض باختصار لبعض اللمحات من الحياة المعنوية لنفر من أولئك الأصحاب، لعل تلك اللمحات الإلهية لحياتهم تضيء بعضاً من ظلام حياتنا.

سلمان الفارسي:

كان إنساناً عزيزاً هاجر من أرض إيران حباً بالوصول إلى الحقيقة، ووصل بعناية إلهية إلى المدينة، وتشرف هناك برؤية النبيﷺ، واستنار قلبه الإلهي

بنور الإسلام، وخلال فترة وجيزة طوى مراحل الإيمان ومنازل العرفان، وتحلى بحقائق القرآن المجيد.

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله عنه:

«سَلْمانُ مَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»[١].

وقال في روحه العالية وشخصيته الفكرية السامية:

«سَلْمانُ بَحْرٌ لا يُنْزَفُ وَكَنْزٌ لا يَنْفَدُ»[٢].

وقد قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام بأنه لقمان هذه الأمة[٣]، وقال عنه الصادق عليه السلام بأنه أفضل من لقمان الحكيم.

إن للإيمان عشر درجات، وقد وصل سلمان إلى الدرجة العاشرة، وبلغ مقاماً أعلى من مقام أصحاب جميع الأنبياء[٤].

كان عنده علم البلايا والمنايا، وقد أبلغه أمين الوحي عن طريق النبي صلى الله عليه وآله سلام الله تعالى مرات عديدة.

وقد ابتلي في طريق الإيمان بأنواع من الشدائد والحوادث والابتلاءات، ولكنه لم يضعف، بل صبر في سبيل المحبوب بكل وجوده، وبقي مستقيماً.

وعندما سئل عن نسبه وحسبه أجاب:

أنا سَلمانُ بنُ عَبدِ الله، كنتُ ضالاً فهَدانِي الله عزَّوجل

١ـ عيون أخبار الرضا: ٦٤/٢، باب ٣١، حديث ٢٨٢؛ بحار الأنوار: ٣٢٦/٢٢، باب ١٠ ،حديث ٢٨.

٢ـ الاختصاص: ٣٤١؛ بحار الأنوار: ٣٤٨/٢٢، باب ١٠، حديث ٦٤.

٣ـ الاحتجاج: ٢٥٩/١؛ بحار الأنوار: ٣٢٩/٢٢، باب ١٠، حديث ٣٨.

٤- سفينة البحار: ٢٤٣/٤، باب السين بعده اللام.

بمُحمدﷺ وكنتُ عائلاً فأغنانِي الله بمُحمدﷺ وكنت مَملوكاً فأعتَقني الله بمحمد ﷺ هذا نَسَبي وهذا حَسَبي[١].

أبو ذر الغفاري:

وهو أحد الأركان الأربعة الذين أخبر الله تعالى رسولهﷺ بمحبته لهم، وهم عبارة عن:

أمير المؤمنينعليه السلام، وسلمان، وأبو ذر، والمقداد[٢].

وقد اعتبره النبي ﷺ صدّيق هذه الأمة، وشبهه بعيسى بن مريمعليه السلام في زهده[٣].

يقول الملا محمد باقر المجلسي (ره): لم يكن في الأمة بعد المعصومينعليهم السلام أحد بجلالة قدر سلمان وأبي ذر والمقداد.

ويقول الإمام موسى بن جعفرعليه السلام:

«إذا كانَ يَومُ القِيامَة نادى مُناد: أَينَ حَواري مُحَمد بن عبد الله رسول الله، الذين لمْ يَنْقُضوا العَهد ومَضُوا عَليه؟ فيقوم سَلْمان والمقدادُ وأَبو ذرٍ»[٤].

ويقول النبيﷺ:

«مَن أَرادَ أنْ ينظرَ إلى زُهدِ عيسى بن مَريمعليه السلام فليَنْظر إلى

١- الكافي: ١٨١/٨، خطبة لأميرالمؤمنينعليه السلام حديث ٢٠٣؛ بحار الأنوار: ٣٨١/٢٢، باب ١١، حديث ١٦.

٢- الخصال: ٢٥٤/١، حديث ١٢٧؛ بحار الأنوار: ٣٢٤/٢٢، باب ١٠، حديث ٢٠.

٣- روضة الواعظين: ٢٨٥/٢؛ بحار الأنوار: ٣٤٣/٢٢، باب ١٠، حديث ٥٢.

٤- روضة الواعظين: ٢٨٢/٢؛ بحار الأنوار: ٣٤٢/٢٢، باب ١٠، حديث ٥٢.

أبي ذر»[١].

بقي فترة في الشام وضواحيها يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مواجهاً معاوية بقوة ومعرفاً بشخصية أمير المؤمنين عليه السلام، حتى تشيَّع على يديه جماعة منهم.

وكان قد تم إبعاده في زمن عثمان إلى الربذة بعد نهوضه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومواجهته لمخالفات عثمان وأعوانه، وهناك ابتلي بوفاة ابنه ذرٍ على أثر الجوع والعطش، وحتى هو فقد مات لشدة الجوع وقلة الماء، وقد قام مالك الأشتر النخعي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام بتغسيله بماء زمزم ثم دفنه، وقد تشرفت بزيارة قبره، وقد رأيت لحظة تشرفي بزيارته نور الله وهو يصعد من ذلك القبر إلى عرش الله !!.

المقداد بن الأسود:

كان من خواص أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، ومن أولياء الله العظام.

وتقواه وشجاعته فوق الكتابة عنها في هذه الأوراق، وقد روى الفريقان قصصاً في ذلك.

بلال الحبشي:

كان من السابقين إلى الإسلام، وهو في العظمة والجلالة يفوق النجوم المتلألئة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في حقه:

«رَحِم الله بِلالاً فإنَّه كانَ يُحبنا أَهْل البيتِ».

١- بحار الأنوار: ٣٤٣/٢٢، باب ١٠، حديث ٥٢.

«كانَ بلال عبداً صَالحاً»[١].

وعندما نزل الأذان من الله تعالى، أوكله النبي صلى الله عليه وآله إلى بلال، وعندما تذمر البعض من هذا الأمر ولم يرغبوا سماع الأذان منه، نزلت في حقه الآية الشريفة: إن أكرمكم عند الله أتقاكم !.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله لم يؤذن بلال بالأذان، لأنه كان يرى ذلك عوناً للظالمين في ظلمهم في ذلك الوقت! وإنما أذَّن مرة واحدة فقط تلبية لطلب ابنة الرسول صلى الله عليه وآله، ثم هاجر إلى الشام وتوفي فيها.

وقد زرت قبره في مقبرة الباب الصغير الواقعة في ضاحية مدينة الشام، وقد تبركت حقيقة بذلك القبر.

جابر بن عبد الأنصاري:

وهو من كبار الصحابة، جليل القدر، ومن أهل بدر، وقد وردت روايات كثيرة في مدحه والثناء عليه، وهو الذي بلَّغ سلام رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإمام الباقر عليه السلام، وهو أول من زار سيد الشهداء عليه السلام يوم الأربعين، وهو الذي شاهد عند الزهراء عليها السلام اللوح الذي نزل من السماء وعليه النص بإمامة الأئمة عليهم السلام فقام باستنساخه.

وعن زيد بن علي عليه السلام قال:

«كنتُ عندَ أبي علي بن الحسين عليه السلام إذْ دَخل عَليه جابر بن عَبدِ الله الأنصاري، فَبينما هو يحدِّثه إذ خرجَ أخي مُحَمد من بعْض الحجر، فأشخصَ جابِر ببَصره نَحْوه ثمَ قام إلَيه فَقال: يا غُلام أقْبِل فأقْبَل، ثم قال: أدبِر فأدبَر، فقال: شَمائل

١- الاختصاص: ٧١؛ بحار الأنوار: ١٤١/٢٢، باب ٣٧، حديث ١٢٥.

كشمائل رسولِ الله صلى الله عليه وآله، ما اسْمك يا غلام؟ قالَ: محمد، قالَ: ابن مَن؟ قالَ: ابن عَلي بن الحسْين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: أنتَ إذا الباقر، قال: فانكبَ علَيه وقبَّلَ رأسَه ويديْه ثم قال: يا محمَّد إنَّ رَسول الله صلى الله عليه وآله يُقرؤك السَّلام»[1].

وقد طلب جابر من الباقر عليه السلام أن يضمن له الشفاعة يوم القيامة، فضمنها له.

كان جابر حاضراً في الكثير من غزوات النبي صلى الله عليه وآله، ورافق أمير المؤمنين في معركة صفين، ولم يتثاقل أبداً عن متابعة إمام العارفين عليه السلام، وكان يحث الناس باستمرار على حب أمير المؤمنين عليه السلام ويمشي في الأسواق منادياً:

«عَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَر فَمَنْ أَبى فَقَدْ كَفَر»[2].

ويمكنكم مطالعة الشرح التفصيلي لحياة أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله في الكتب الرجالية والتاريخية، فهذه الأوراق لاتتسع لها، وقد رأيت من المناسب في نهاية هذا القسم التعرض للمحة من حياة بضعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الزهراء البتول عليها السلام، قطب عالم الوجود ومحوره، لئلا يكون هذا الكتاب ناقصاً.

فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

ولدت ابنة النبي الزهراء عليها السلام في ليلة العشرين من جمادى الثاني للسنة الخامسة للبعثة من أم لانظير لها كخديجة الكبرى التي وردت روايات كثيرة من النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في مدحها.

١ـ كفاية الأثر: ٣٠١؛ بحار الأنوار: ٣٦/٣٦٠، باب ٤١، حديث ٢٣٠.

٢ـ من لا يحضره الفقيه: ٤٩٣/٣، باب تأديب الولد وامتحانه، حديث ٤٧٤٤؛ بحار الأنوار: ٦/٣٨، باب ٥٦، حديث ١٠.

وطبقاً لآية التطهير فإن فاطمة الزهراء عليها السلام معصومة، وطبقاً لآيات سورة الإنسان فهي أفضل نساء العالم إيماناً وعملاً وأخلاقاً.

كانت الزهراء عليها السلام أفضل نساء العالم علماً وبصيرة، ولها عند الله مقام يفوق جميع الاعتبارات والمقامات.

وقد ورد في شأن ولادتها عليها السلام:

بَيْنا النَّبي صلى الله عليه وآله جالسٌ بالأبطح ومعهُ عمَّار بن ياسِر، والمُنذر بن الضَحضَاح، وأبو بَكر، وعمَر، وعَلِي بن أبِي طَالب، والعَبَّاس بن عَبد المُطلبِ، وحَمْزة بن عبدِ المطلبِ، إذْ هَبط عليهِ جِبرئيلُ عليه السلام فِي صُورتهِ العُظمى، قدْ نشرَ أجنحتُه حتَى أخذتْ مِن المَشْرق إلى المَغرب، فَناداه: يا محمَّد العَليّ الأعْلى يقرأ علَيك السَّلام، وهو يَأمركَ أنْ تعتزلَ عن خَديجة أربَعين صَباحاً، فشقَّ ذلكَ على النَّبي صلى الله عليه وآله، وكانَ لها مُحباً وبها وامِقاً، قالَ: فأقامَ النَّبي صلى الله عليه وآله أربَعين يوماً، يصُوم النَّهار، ويقومُ اللَيْل، حَتى إذا كانَ فِي آخر أيامهِ تلكَ بَعث إلى خَديجةَ بعمَّار بن ياسِر وقالَ قلْ لها: يا خَديجَة لا تَظنّي أنَّ انقطاعِي عنكِ [لهجر] ولا قَلْي، ولَكن ربِّي عزَّوجل أمرني بذلك لِينفذ أمرُه، فلا تظنّي يا خَديجة إلا خَيراً، فإنَّ الله عزَّوجل لَيُباهِي بك كِرام مَلائكتهِ كلّ يومٍ مراراً، فإذَا جنَّك الليلُ فأجيفِي البابَ، وخُذي مَضجعك من فراشِك، فَإنّي في منزلِ فَاطمةَ بنت أسدٍ، فجعلتْ خَديجة تحزنُ في كلِّ يومٍ مِراراً لفقدِ رَسُول الله صلى الله عليه وآله، فلما كانَ في كَمال الأربَعين هبطَ جبرئيلُ عليه السلام فقالَ:

يا محمَّد العليُّ الأعلَى يُقرئك السَّلام، وهو يأمركَ أن تتأهبَ لتحيتهِ وتُحفتهِ، قالَ النَّبي صلى الله عليه وآله: يا جَبرئيل وما تُحفة ربِّ العالَمين؟ وما تَحيته؟ قالَ: لا عِلْم لِي،

قال: فَبَينا النَّبي صلى الله عليه وآله كَذلك إذْ هبطَ مِيكائيلُ ومعهُ طَبق مُغطى بمنديل سُندس، أو قالَ: إسْتَبرق، فوضَعه بينَ يدي النَّبي صلى الله عليه وآله، وأقبلَ جبرئيلُ عليه السلام وقالَ: يا محمَّد يَأمُرك ربُّك أن تجعلَ الليلةَ إفطاركَ على هَذا الطعامِ، فقال عَلي بن أبي طالِب عليه السلام: كانَ النَّبي صلى الله عليه وآله إذا أرادَ أنْ يفطر أمَرني أن أفتحَ البابَ لِمَن يرد إلى الإفطارِ، فَلما كانَ في تِلك الليلةِ أقعدنِي النَّبي صلى الله عليه وآله على بابِ المنزلِ، وقالَ: يا ابن أبي طالبٍ إنهُ طَعام مُحرَّم إلا عَلي، قالَ عليٌّ عليه السلام: فجلستُ على البابِ وخَلا النَّبي صلى الله عليه وآله بالطعامِ، وكشفَ الطبقَ، فإذا عَذقٌ من رُطَب، وعُنقود من عنبٍ، فأكلَ النَّبي صلى الله عليه وآله منه شَبعاً، وشرب من الماءِ رَياً، ومدَّ يدَه للغسْل فأفاضَ الماءَ عليه جبرئيلُ، وغسل يدَه ميكائيلُ، وتَمَندله إسرافيلُ، وارتفعَ فاضلُ الطعامِ مع الإناءِ إلى السَّماء، ثُم قامَ النَّبي صلى الله عليه وآله ليصلّي فأقبلَ عليه جبرئيلُ، وقالَ: الصَّلاة مُحرمة عَليك في وقتكَ حَتى تأتِي إلى مَنزل خَديجة فَتُواقعها، فإنَّ الله عزَّوجل آلَى على نَفسه أن يَخلق مِن صُلبك في هَذه الليلةِ ذُرِّية طيبة، فوثبَ رسُول الله صلى الله عليه وآله إلى مَنزل خَديجة، قالتْ خديجةُ رِضوان الله عَليها: وكنتُ قدْ ألفتُ الوحدةَ، فكانَ إذا جَنني الليلُ غطيتُ رأسِي، وأسجفتُ سِتْري، وغلقتُ بَابي، وصلَّيت وردِي، وأطفأتُ مِصْباحي، وآويتُ إلى فِراشِي، فلما كانَ في تلكَ الليلةِ لمْ أكنْ بالنائمةِ ولا بالمنتبهةِ إذْ جاءَ النَّبي صلى الله عليه وآله فقُرعُ البابُ، فناديتُ: مَن هذا الذِي يقرعُ حَلقة لا يَقرعها إلا محمد صلى الله عليه وآله؟ قالتْ خديجةُ: فنادَى النَّبي صلى الله عليه وآله بعذوبةِ كلامهِ وحلاوةِ مَنطقه: افتَحِي يا خَديجة فإنّي محمَّد، قالتْ خديجةُ:

فقمتُ فرحة مُستبشرة بالنَّبي صلى الله عليه وآله، وفتحتُ البابَ، ودخلَ النَّبي المنزلَ، وكانَ صلى الله عليه وآله إذا دخلَ المنزلَ دعا بالإناءِ فتطهرَ للصلاةِ، ثُم يقومُ فيصلِي رَكعتين

يُوجز فِيهما، ثُم يَأوي إلى فِراشه، فَلما كانَ فِي تلكَ الليلةِ لمْ يَدْع بالإناءِ، ولمْ يَتأهبْ بالصلاةِ غيرَ أنَّه أخذَ بعضدِي، وأقعدنِي عَلى فِراشه، وداعبنِي ومازحَني، وكانَ بَيني وبَينه ما يَكون بَين المرأةِ وبعلِها، فلا والذِي سَمك السَّماء وأنْبع الماءَ ما تباعدَ عنِّي النَّبيﷺ حَتى أحسَسْت بثقل فَاطمة في بَطْني[1].

ويروي الشيخ الصدوق بسند معتبر عن المفضل بن عمر قال:

قلتُ لأبِي عَبد الله بن جَعفر بن محمَّدﷺ: كيفَ كانتْ ولادةُ فاطِمةعليها السلام؟ قالَ: نعمْ، إنَّ خَديجة عَليها رِضوان الله لمَّا تزوجَ بها رسُول اللهﷺ هجرَتها نسوةُ مكَّة، فكنَّ لا يدخلنَ عَليها ولا يسلِّمن عَليها ولا يَتركن امرأةً تَدخل علَيها، فاسْتَوحشت خديجةُ من ذلكَ، فلمَّا حَملت بفاطمةَعليها السلام صَارت تُحدثها في بَطنها وتُصبرها، وكانتْ خديجةُ تَكتُم ذلكَ عن رسُول اللهﷺ، فدخلَ يوماً وسمعَ خديجةَ تُحدث فاطمةَ، فقالَ لها: يا خدِيجة من يُحدثك؟ قالتْ: الجنينُ الذِي في بَطني يُحدثني ويُؤنسني، فقالَ لَها: هَذا جبرئيلُ يُبشرني أنها أُنثى، وأنها النَّسمة الطَّاهرة المَيمونة، وأنَّ الله تباركَ وتَعالى سَيجعل نَسْلي مِنها، وسَيَجعل من نَسْلها أئِمة في الأمةِ، يَجعلهمْ خُلَفاءه في أرضهِ بعدَ انقضاءِ وحْيهِ، فلمْ تزلْ خَديجةُ رَضي الله عَنها عَلى ذلكَ إلى أنْ حضرتْ ولادتُها، فوجَّهت إلى نساء قُريش ونساء بَني هَاشم يَجئنَ ويلينَ مِنها ما تلِي النِّساء من النِّساء، فأرسَلن إليها عَصَيتينا ولمْ تَقبلي قَولنا، وتَزوجتِ محمَّداً يَتيم أبي طالب فقيراً لا مَال لَه، فلسْنا نَجيء ولا نَلِي مِن أمرك شَيئا، فاغْتَمت خديجةُ لِذلك، فَبَيْنا هي كَذلك إذْ دخلَ عَليها

١- العدد القوية: ٢٢٠؛ من أحوال الصديقة الطاهرةعليها السلام؛ بحار الأنوار: ٧٨/١٦، باب ٥، حديث ٢٠.

أربعُ نسْوة طِوال كأنهنَّ من نساء بَني هاشم، ففزعَتْ مِنهن، فقالتْ لَها إحْداهن: لا تَحْزني يا خَديجة، فإنَّا رسُل ربِّك إليكِ، ونحنُ أخواتك: أنا سَارة، وهذه آسِية بنت مُزاحم، وهي رفيقتكِ في الجَنة، وهذه مَريم بنت عِمران، وهذه صَفْراء بنت شُعيب، بَعثنا الله تعالَى إليكِ لِنَلي من أمْرك ما تَلي النِّساء من النِّساء، فجلستْ واحدةٌ عن يَمينها، والأخرى عن يَسارها، والثالثةُ من بَين يَديها، والرابعةُ من خَلفها، فوضعتْ خديجةُ فاطمةَ عليها السلام طاهرةً مطهرةً، فلما سقطتْ إلى الأرض أشرقَ منها النُّور حتى دخلَ بُيوتات مكَّة، ولمْ يبقَ في شرقِ الأرض ولا غَربها موضعٌ إلا أشرقَ فيهِ ذلكَ النور، فَتناولتها المَرأةُ التي كانتْ بين يَديها فَغَسلتها بماءِ الكَوثر، وأخرجتْ خرقتين بيضاوين أشدَّ بَياضاً من اللبن، وأطيبَ رائحةً من المِسك والعنبر، فَلَفتها بواحدةٍ، وقَنَّعتها بالأخْرى، ثُم استَنْطقتها فَنَطقت فاطمةُ عليها السلام بشهادةِ أن لا إله إلا الله، وأنَّ أبي رسُول الله صلى الله عليه وآله سيدُ الأنبياءِ، وأنَّ بَعْلي سيدُ الأوصياء، وأنَّ ولدي سيدُ الأسباطِ[1].

ويروي ابن بابويه عن يونس بن ظبيان:

قالَ أبو عبدِ الله عليه السلام: لفاطمةَ عليها السلام تسعةُ أسْماء عندَ الله عزَّوجل: فَاطِمة، والصِّدِيقة، والمُبَاركة، والطَّاهِرة، والزَّكِية، والرَّاضية، والمَرضية، والمُحدَّثة، والزَّهراء ثُم قالَ عليه السلام: أتدرِي أيّ شَيء تَفْسير فَاطِمة؟ قلتُ: أخْبِرني يا سيدي، قالَ: فُطِمت من الشَّر. قالَ: ثُم قال: لَوْلا أن أميرَ المُؤمنين عليه السلام تَزوَّجها لما كانَ لَها كُفْو إلى يومِ القِيَامة على وجهِ الأرض آدمَ فَمن دُونه[2].

١- الأمالي، الشيخ الصدوق: ٥٩٣، المجلس السابع والثمانون، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٨٠/١٦ باب ٥، حديث ٢٠.

٢- علل الشرائع: ١٧٨/١، باب ١٤٢، حديث ٣؛ الخصال: ٤١٤/٢، حديث ٣؛ بحار الأنوار: ١٠/٤٣،

ويوضح العلامة المجلسي (ره) معاني أسمائها عليها السلام بهذا الشكل:

الصديقة: المعصومة.

المباركة: التي كملت ولها معجزات وأولاد كرام.

الطاهرة: المطهرة من النقائص.

الزكية: التي جمعت الكمالات.

الراضية: ترضى بقضاء الله.

المرضية: أسوة رجال سبيل الحق، ويثني عليها أولياء الله.

المحدَّثة: التي يحدثها الملَك.

الزهراء: التي يضيء نورها الصوري والمعنوي[1].

وروى الشيخ المفيد والشيخ الطوسي عن العامة روايتهم عن الرسول صلى الله عليه وآله:

«فاطِمةُ بضْعةٌ مِنِّي مَن سرَّها فقد سَرَّني ومَن ساءَها فقدْ ساءَني».

وكذلك قوله صلى الله عليه وآله:

«فاطِمَة أعزُّ الناسِ عَلَي»[2].

ويروي الشيخ الطوسي عن عائشة قولها:

باب ٢، حديث ١.

١- بحار الأنوار: ١٠/٤٣، باب ٢، حديث ١ [مضمون الحديث].

٢- الأمالي، الشيخ الطوسي: ٢٤، المجلس الأول، حديث ٣٠؛ الأمالي، الشيخ المفيد: ٢٥٩، المجلس الحادي والثلاثون، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٢٣/٤٣، باب ٣، حديث ١٧.

ما رأيتُ من الناس أحداً أشبهَ كلاماً وحَديثاً برسولِ الله صلى الله عليه وآله مِن فاطمة كانتْ إذا دَخلتْ عليهِ رحَّب بها وقبَّل يديْها وأجْلسَها في مَجلِسه، فإذا دخلَ عليها قامتْ إليه فرحبتْ بهِ وقبَّلتْ يديه[1].

ويروي ابن بابويه عن الإمام المجتبى عليه السلام أنه قال:

رأيتُ أمِي فاطِمة عليها السلام قامَت في مِحْرابها ليلةَ جُمعَتها فلم تزلْ راكعةً ساجدةً حتى اتضحَ عمودُ الصبحِ، وسَمِعْتها تدعو للمُؤمِنين والمؤمِنات وتُسَميهم وتُكثرُ الدُّعاء لهم ولاتدعو لنفسِها بِشيء، فقلتُ لَها: ياأماه، لِمَ لاتدعون لنفسِك كما تدعون لغيرِك؟ فقالت: يابني، الجارُ ثم الدار[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

رَأى النبيُ صلى الله عليه وآله فاطِمةَ علَيها كِساء مِن أَجلة الإبلِ، وهيَ تطحَنُ بِيديها وترضِعُ ولَدها، فدمِعَت عينا رسُول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا بِنتاه تعَجَّلي مَرارة الدنيا بِحلاوة الآخرة، فَقالت: يا رَسول الله الحمدُ لله على نَعمائه، والشُّكرُ لله على آلائِه، فأنزلَ الله ﴿وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[3].

١- الأمالي: الشيخ الطوسي: ٤٠٠، المجلس الرابع عشر، حديث ٨٩٢؛ بحار الأنوار: ٢٥/٤٣، باب ٣، حديث ٢٢.

٢- علل الشرايع: ١٨١/١، باب ١٤٥، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ١١٢/٧، باب ٤٢، حديث ٨٨٨٤.

٣- الضحى ٩٣: ٥.

يقول الحسن البصري:

ما كانَ في هَذهِ الأمةِ أعْبد مِن فاطِمَة كانتْ تقومُ حتى تَورم قَدماها.

وعندما سألها رسول الله صلى الله عليه وآله: أي شيء خير للمرأة؟قالت:

أنْ لا ترى رَجلاً ولا يراها رجل. فَضَمها إليهِ وقالَ:

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾[٣-٢].

وأورد الراوندي في «النوادر» عن أمير المؤمنين عليه السلام:

اسْتأذنَ أعمَى على فاطِمةَ عليها السلام فحجَبته فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله لها: لِمَ حَجبتيه وهو لا يَراك؟ فقالتْ عليها السلام: إنْ لمْ يكنْ يَراني فإنِّي أراه وهو يَشُم الريحَ فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: أشهدُ أنَّك بضعَة مِني[٤].

وأنشد «إلهي قمشه اي» ذلك الحكيم البارع في وصف زهرة بستان العصمة:

هي نجمة متلألئة في سماء المعرفة، هي جوهرة في غيب سماء العشق المتأجج.

هي باقة ورد في بستان الوحي ودوحة النبوة، وفي كل ورقة من ورودها ألف باقة ورد.

١- المناقب: ٣٤٢/٣؛ بحار الأنوار: ٨٥/٤٣، باب ٤، حديث ٨.

٢- آل عمران ٣: ٣٤.

٣- المناقب: ٣٤١/٣؛ بحار الأنوار: ٨٤/٤٣، باب ٤، حديث ٧.

٤- النوادر، الراوندي: ١٣؛ بحار الأنوار: ٩١/٤٣، باب ٤، حديث ١٦.

أغنت حديقة الولاية بهيئة جليلة، وأي غوغاء سيكون لتلك الهيئة في محشر القيامة.

تزيّن العين من كحل إدراك الحقائق، وهي جوهرة في العلم والإيمان.

لأمير الدين من ذلك البرج الشامخ والسماء الرفيعة إحدى عشرة شمساً منيرة عظيمة.

حسن الخلق وحسين العظيم وعلي القدر ومحمد ذو الشأن الأفضل والصادق قمر المذهب الجعفري.

ثم موسى الكاظم ومن بعده علي ولده العزيز وهو الرضا صاحب الحق في السلطان.

ثم سلطان التقوى والملك الأوحد تقي آخر، ثم النقي طاهر الروح والحسن الجليل العسكري.

ثم غوث الزمان وقطب العالم ومعنى القرآن، إمام الإنس والجان القائم الولي العدل.

بعض كلمات الزهراء عليها السلام الحكيمة:

توجد لفاطمة الزهراء عليها السلام كلمات وخطب تكشف علمها ومعرفتها بالحقائق الملكوتية والسماوية، وتدل على أن منشأ علمها ومعرفتها هو الوحي، وأن لها ارتباطاً بالروح الأعظم، فقد تمت تربيتها بشكل مباشر في حضن خاتم النبوة، وأخذت عنه علوم الأولين والآخرين.

لقد كتب الفلاسفة والحكماء والعرفاء والأولياء شروحاً وتفاسيراً على الخطبة التي ألقتها في المسجد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله دفاعاً عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن جميع قدراتهم العقلية مازالت إلى اليوم عاجزة عن إدراك الحقائق الملكوتية لتلك الخطبة!!!.

لقد طرحت الزهراء عليها السلام في تلك الخطبة بعض الأسرار الملكوتية، والحقائق العرفانية، والمسائل الفلسفية المهمة، وكذلك مسألة النبوة، والولاية، ومايجري عند اقتراب المحشر، وأحوال الطبيعة والوجود، ومنهج القرآن، ومستقبل البشرية، وبعض الواقعيات الأخرى، وتمثل تلك الخطبة لوحدها كتاباً كاملاً في العلم والمعرفة ألقته الزهراء عليها السلام ارتجالاً بحضور الأنصار والمهاجرين.

ومضافاً إلى تلك الخطبة، فقد ألقت بمناسبات عديدة بعض المواضيع والمسائل الأخرى التي يشكل مجموعها كتاباً كبيراً في الحكمة الإلهية والعرفان السماوي.

ولاشك في أننا لو أردنا استحضار كل كلماتها هنا والقيام بشرحها فإن ذلك يحتاج إلى عدة مجلدات، ولكنه لبيان شرح مختصر عن العظمة العقلية والشخصية الروحية لحبيبة الحق تعالى فإننا نكتفي هنا بنقل بعض من عباراتها حسب نقل الفقيه الكبير السيد ابن طاووس:

من أدعية الزهراء عليها السلام بنقل السيد ابن طاووس:

لقد أصيبت ابنة النبي صلى الله عليه وآله الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها وبسبب انحراف مسير الخلافة والحكومة بيد أتباع الهوى آنذاك بأنواع الحوادث والمصائب والبلايا والأزمات، وكانت كقطع الليل المظلم في سماء حياتها، حتى أنه نقل عنها القول

بأن الابتلاءات التي وقعت عليها بعد وفاة أبيها لو أنها وقعت على الأيام لتبدلت إلى ليال مظلمة.

ووسط هذه الرياح العاتية الهائجة فإن كثيراً من الناس باعوا دينهم وإيمانهم من أجل دنياهم الفانية، وخسروا آخرتهم الباقية من أجل حفنة قليلة من الدراهم والدنانير، أو من أجل كرسي الرئاسة.

ووقفت الزهراء عليها السلام وهي ابنة النبي صلى الله عليه وآله بوجه كل تلك الحوادث والابتلاءات حفاظاً منها على القرآن، وعلى جهود الأنبياء، ودفاعاً عن منصب الولاية والإمامة الذي هو سبيل سعادة الناس، وتركت ذكرى منها العبارات الآتية والتي حمَّلتها دروساً للأمة حتى يوم القيامة:

«الحَمدُ لله الذي لمْ يَجْعلني جاحِدة لِشَيء مِن كتابهِ».

فلم أجحد شيئاً أو أنكر شيئاً من حقائق الكتاب بسبب هذه الحوادث والمصائب التي وقعت علي. وحافظت على الاعتقاد بالتوحيد والنبوة والملائكة والكتاب ويوم القيامة والتزام الأعمال الصالحة.

«ولا مُتحيِّرة في شَيء مِن أمرهِ».

فالطريق أمامي واضح، والحق أوضح من الشمس، وقد سلكت الطريق الإلهي، وقمت بوظيفتي الإلهية على يقين واطمئنان بدون أي شك أو ترديد.

«اللهُمَّ إني أسْألُك قولَ التَّوابين وعَملهمْ».

فالمهم لي هو أن أكون في صف الراجعين إليك، وأن يكون عملي وقولي كعمل وقول التوابين الحقيقيين في صدقهم، فالتوابون لهم عندك محل عظيم.

«ونَجاةَ المجاهِدين وَثَوابَهم».

اللهم اجعل طريقي ونجاحي طريق المجاهدين في سبيلك، واجعل لي من الثواب ماتجعله لهم، فالكسل وحب الراحة عدوي، وطمعي أن أكون من المجاهدين المخلصين في سبيل إعلاء كلمة الحق.

«وتَصديقَ المؤمِنين وتَوكلهمْ».

اللهم، واجعل قلبي كقلب المؤمنين الحقيقيين مطمئناً بالتصديق بجميع الوافعيات، ونور ذلك المحل الملكوتي بنور الصدق والصفاء، واجعل توكلي عليك كتوكل الأنبياء عليك.

«إذا تَوَفَّيْتَ نَفْسي وَقَبَضْتَ رُوحي فَاجْعَلْ روحي فِي الأَرْواحِ الرّابحَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسي في الأَنْفُسِ الصّالِحَةِ، وَاجْعَلْ جَسَدي فِي الأَجْسادِ الْمُطَهَّرَةِ وَاجْعَلْ عَمَلي فِي الأَعْمالِ الْمُتَقَبَّلَةِ».

ويحتمل أن يكون المراد من الأرواح الرابحة هي أرواح الأنبياء أولي العزم، والأنفس الصالحة هي نفوسهم، والأجساد الطاهرة أجساد شهداء طريق الحق والحقيقة المتحررين من كل منّة وقيد.

«سُبْحانَ مَنْ يَعْلَمُ خَواطِرَ الْقُلوبِ، سُبْحانَ مَنْ يُحْصي عَدَدَ الذُّنوبِ، سُبْحانَ مَنْ لا تَخْفى عَلَيْهِ خافيةٌ في الأَرْضِ وَالسَّماءِ».

«اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي لَمْ يَجْعَلْني كافِراً لأَنعُمِهِ وَلا جَاحِداً لِفَضْلِهِ، فَالْخَيْرُ فيهِ وَهُوَ أَهْلُهُ. اَللّهُمَّ قَدْ تَرى مَكاني وَتَسْمَعُ كَلامي وَتَطَّلِعُ عَلى اَمْري وَتَعْلَمُ ما في نَفْسي وَلَيْسَ يَخْفى عَلَيْكَ

شَيْءٌ مِنْ اَمْري».

«اَللّهُمَّ انْزِع الْعُجْبَ وَالرِّياءَ وَالْكِبْرَ وَالْبَغْي وَالْحَسَدَ وَالضَّعْفَ وَالشَّكَّ والْوَهْنَ وَالضُّرَّ وَالأَسْقامَ وَالْخِذْلانَ وَالْمَكْرَ وَالْخَديعَةَ وَالْبَلِيَّةَ وَالْفَسادَ مِنْ سَمْعي وَبَصَري وَجَميعِ جَوارِحي وَخُذْ بِناصِيَتي إِلى ما تُحِبُّ وتَرْضى»[1].

الحياة المادية بنظر الزهراء عليها السلام:

ورد في بعض الروايات المهمة في الكتب المعتبرة:

رجع شخص من مكان عمله إلى بيته، ورأته زوجته مضطرباً، فلما سألته عن سبب قلقه الواضح على وجهه، أجابها بأنه قد خطر له وهو في عمله مسألة عاقبته وقيامته، وأنه قد تردد في نفسه عن موضعه يوم القيامة، أيكون في الجنة أم في النار؟ ولما لم يتبين له الحال شعر بالقلق، ولذلك عاد إلى بيته مضطرباً، وطلب من زوجته حلاً لاضطرابه وخوفه، ولما لم يكن بيد زوجته حيلة في ذلك، فقد طلب منها الذهاب إلى الزهراء عليها السلام فهي عالمة بالحقائق لتسألها عن عاقبته!.

وعندما ذهبت الزوجة إلى الزهراء عليها السلام وقصت عليها قصة زوجها، أجابتها الزهراء عليها السلام بأن تخبر زوجها بأنه إن كان في أمور حياته المادية والمعنوية يعمل طبقاً للقرآن فهو من أهل الجنة، وإلا فإنه سيدخل النار.

١- فلاح السائل: ١٧٣، الفصل التاسع عشر، بحار الأنوار: ٦٦/٨٣، باب ٣٩، حديث ٤.

لقد كانت الزهراء عليها السلام موجوداً عظيماً لامثيل لها في العلم والعمل، وفي الأخلاق والسلوك، وفي الزهد والعبادة، وفي الفضيلة والكمال، وفي إدارة البيت وشؤون الزواج، وفي تربية الأولاد، بحيث أصبح من الواجب على جميع نساء العالم الاقتداء بها في جميع أمور الحياة، والتأسي بها ليضمنوا خير الدنيا والآخرة.

وقد وردت سيرة الحياة الإلهية لسيدة العالَمين عليها السلام بشكل مفصل في كتب الحديث والتاريخ، وتم تدوينها على يد العلماء الكبار للشيعة والسنة، وتم تحليل حياتها منذ ولادتها إلى شهادتها، ويمكنكم مطالعة حياة تلك الموجودة الملكوتية في تلك الكتب المشهورة بين الناس والمتوفرة في جميع المكتبات.

الباب

(٦٩)

في معرفة الأئمة الطاهرين عليهم السلام

قَالَ الصّادِقُ عليه السلام:

رُوِيَ بِإِسْنادٍ صَحيحٍ عَنْ سَلْمانَ الْفارْسِيِّ رضي‌الله‌عنه قالَ: دَخَلْتُ عَلى رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله فَلَمّا نَظَرَ إِلَيَّ قالَ: يا سَلْمانُ إِنَّ اللّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً وَلا رَسُولاً إِلاّ وَلَهُ إِثْنا عَشَرَ نَقيباً، قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ عَرَفْتُ هذا مِنْ أَهْلِ الْكِتابَيْنِ. قالَ: يا سَلْمانُ هَلْ عَلِمْتَ نُقَبائِيَ الإِثْنَي عَشَرَ الَّذينَ اخْتارَهُمُ اللّهُ تَعالى لِلإمامَةِ مِنْ بَعْدي؟ فَقُلْتُ: اَللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقالَ: يا سَلْمانُ خَلَقَنِيَ اللّهُ تَعالى مِنْ صَفْوَةِ نُورِهِ وَدَعاني فَأَطَعْتُهُ، فَخَلَقَ مِنْ نُوري عَلِيّاً وَدَعاهُ فَأَطاعَهُ، فَخَلَقَ مِنْ نُوري وَنُورِ عَلِيٍّ فاطِمَةَ وَدَعاها فَأَطاعَتْهُ، وَخَلَقَ مِنّي وَمِنْ عَلِيٍّ وَفاطِمَةَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَدَعاهُما فَأَطاعاهُ فَسَمّانَا اللّهُ بِخَمْسَةِ أَسْماءٍ مِنْ أَسْمائِهِ فَاللّهُ تَعالى الْمَحْمُودُ وَأَنا مُحَمَّدٌ، وَاللّهُ الْعَلِيُّ وَهذا عَلِيٌّ، وَاللّهُ الْفاطِرُ وَهذِهِ فاطِمَةُ، وَاللّهُ ذُوالإِحْسانِ وَهذا الْحَسَنُ، وَاللّهُ الْمُحْسِنُ وَهَذَا الْحُسَيْنُ وَخَلَقَ مِنْ نُورِ الْحُسَيْنِ تِسْعَةَ أَئِمَّةٍ فَدَعاهُمْ فَأَطاعُوهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ اللّهُ تَعالى سَماءً مَبْنِيَّةً أَوْ أَرْضاً مَدْحِيَّةً أَوْ هَواءً أَوْ مَلَكاً أَوْ بَشَراً وَكُنّا أَنْواراً نُسَبِّحُهُ وَنَسْمَعُ لَهُ وَنُطيعُ.

قالَ: فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي ما لِمَنْ عَرَفَ هؤُلاءِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِمْ؟ فَقالَ: يا سَلْمانُ مَنْ عَرَفَهُمْ حَقَّ مَعْرِفَتِهِمْ وَاقْتَدى بِهِمْ فَوالاهُمْ وَتَبَرَّأَ مِنْ عَدُوِّهِمْ كانَ وَاللّهِ مِنّا، يَرِدُ حَيْثُ نَرِدُ وَيَسْكُنُ حَيْثُ نَسْكُنُ.

فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ فَهَلْ إِيمانٌ بِغَيْرِ مَعْرِفَتِهِمْ بِأَسْمائِهِمْ وَأَنْسابِهِمْ؟

فَقالَ: لا يا سَلْمانُ. قُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ فَأنّى لي بِهِمْ؟ فَقالَ: قَدْ عَرَفْتَ إلَى الْحُسْيْنِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قالَ رَسُولُ اللّهِ ثُمَّ زَيْنُ الْعابدينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ باقِرِ عِلْمِ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلين ثُمَّ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ لِسانُ اللّهِ الصّادِقُ، ثُمَّ مُوسى بْنُ جَعْفَرٍ الْكاظِمُ غَيْظَهُ صَبْراً فِي اللّهِ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ مُوسىَ الرِّضا الرّاضي بِسِرِّ اللّهِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُخْتارُ مِنْ خَلْقِ اللّهِ ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهادي إلَى اللّهِ ثُمَّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الصّامِتُ الأمينُ عَلى سِرِّ اللّهِ، ثُمَّ فُلانٌ سَمّاهُ بِابْنِ الْحَسَنِ النّاطِقُ الْقائِمُ بِحَقِّ اللّهِ.

قالَ سَلْمانُ: فَبَكَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ إنّي مُؤَجَّلٌ إلى عَهْدِهِمْ؟ قالَ: يا سَلْمانُ إقْرَأْ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾[1].

قالَ: فَاشْتَدَّ بُكائي وَشَوْقي وَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ أبِعَهْدٍ مِنْكَ؟ فَقالَ: إي وَالَّذي أَرْسَلَني لِبَعْهْدٍ مِنّي وَبِعَلِيٍّ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَتِسْعَةِ أئِمَّةٍ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليهم السلام وَبِكَ وَمَنْ هُوَ مِنّا وَمَظْلُومٌ فينا وَكُلُّ مَنْ مَحَضَ الإيمانَ مَحْضاً، إي وَاللّهِ يا سَلْمانُ ثُمَّ لَيُحْضَرَنَّ إبليسُ وَجُنُودُهُ وَكُلُّ مَنْ مَحَضَ الْكُفْرَ مَحْضاً حَتّى يُؤخَذَ بِالْقِصاصِ وَالأَوْتارِ وَالتُّراثِ وَلا يَظْلِمُ

١ـ الإسراء ١٧: ٥ ـ ٦.

ربُّكَ أَحَداً، ونَحْنُ تَأويلُ هذِهِ الآيَةِ: ﴿ونُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُم الْوَارِثِينَ، ونُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ونُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[1].

قالَ سَلْمانُ: فَقُمْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وما يُبالي سَلْمانُ مَتى لَقِيَ الْمَوْتَ أَوْ لَقِيَهُ[2].

١ـ القصص ٢٨: ٥ ـ ٦.

٢ـ لايوجد هذا الباب في نسخة عبد الرزاق اللاهيجي.

«رُوِيَ بِإِسْنادٍ صَحيحٍ عَنْ سَلْمانَ الْفارْسِيِّ رضي‌الله عنه قالَ: دَخَلْتُ عَلى رَسُولِ اللّهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله فَلَمّا نَظَرَ إِلَيَّ قالَ: يا سَلْمانُ إِنَّ اللّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً وَلا رَسُولاً إِلاّ وَلَهُ إِثْنا عَشَرَ نَقيباً»

الإمامة والولاية:

لقد قام المزوّرون وأصحاب الدسائس والذين باعوا دينهم بدنياهم بحذف هذه الرواية المهمة جداً، والتي تبين أصلاً من الأصول المهمة في الإسلام، وهو مسألة الإمامة والقيادة، والتي يتوقف عليها حياة الدين واستمراره وحفظ المفاهيم والمعاني الحقيقية للقرآن، فقد قاموا بحذف هذه الرواية من النسخ القديمة لكتاب «مصباح الشريعة»، ووضعوا بدلاً عنها رواية مجعولة في فضائل ومناقب بعض الصحابة الذين كانوا من أصحاب الظلم والجور.

وقد غضضت الطرف عن تلك الرواية المجعولة المخالفة للقرآن والسنة، وذلك طبقاً لأوامر القرآن والسنة في ذلك، وأتيت بالرواية الأصلية للباب السادس والستين من هذا الكتاب والتي تطرح مسألة الإمامة والولاية، وقد حصلت عليها من بعض النسخ الخطية والمطبوعة، ووضعتها في مكانها هنا حتى لايكون في

شرح هذا الكتاب أي نقص أو خلل، ولينتفع منها القراء حالياً وفي المستقبل بالمقدار اللازم.

وقد نقل هذه الرواية الجليلة الملا محسن فيض الكاشاني في «**علم اليقين**»[١] نقلاً عن السيد الجليل حسن بن أبي كبش، وأوردها أيضاً حسن بن سليمان في كتاب «**محتضر وصاحب مقتضب**»، والعلامة المجلسي في المجلد الثالث عشر من «**بحار الأنوار**» بحسب طبعته القديمة، والمحدث النوري في بداية الباب الحادي عشر من كتاب «**نفس الرحمن في فضائل سلمان**».

ولابد للمزورين أن يعلموا بأن نور الله لايمكن أن ينطفئ بنفخات الأفواه، فالله حافظ نوره ومتمه، وماكان لله فهو باق لايزول.

وقد ورد مثل هذه الرواية في التصريح بأسماء الأئمة الطاهرين عليهم السلام في كتب الشيعة والسنة.

فقد ذكرت كتب الفريقين روايات كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يشير فيها النبي صلى الله عليه وآله وعلى مدى زمان بعثته الممتدة لثلاث وعشرين سنة وفي مواقع مختلفة إلى الأوصياء من بعده ويذكرهم بأسمائهم، ولاشك في هذا الموضوع أبداً، والروايات في هذا الباب من جهة صحة السند محكمة وقوية لدرجة أن الوهابيين في السعودية والمشهورين بعداوتهم مع المذاهب الإسلامية ومع بعض الأصول المسلمة في الإسلام قد قاموا أثناء ترميمهم لمسجد النبي صلى الله عليه وآله بكتابة أسماء الأئمة الإثني عشر الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وآله على أعمدة المسجد الحجرية،

١- علم اليقين: ٤٠٦/١.

وقد قرأت بنفسي عدة مرات تلك الأسماء المقدسة وهي موجودة على الأعمدة الداخلية لساحة المسجد.

ولابد هنا من الإشارة إلى أحد أحاديث النبي صلى الله عليه وآله الوارد في كتب الشيعة والسنة والذي يصرح بأسماء خلفاء النبي صلى الله عليه وآله الإثني عشر.

ينقل الشيخ سليمان البلخي الحنفي في كتابه القيّم «**ينابيع المودة**»، والشيخ الصدوق في «**إكمال الدين**»، والفيض الكاشاني في «**علم اليقين**»، بسند قوي ومتين عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال:

لمَّا أنزلَ الله عزَّوجلَ على نَبيهِ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ قلتُ: يا رسُول الله عَرفنا اللهَ و رسولَه فمَنْ أُولوا الأمر الذينَ قَرَن الله طاعتَهمْ بطاعتكِ؟ قالَ: همْ خُلَفائِي يا جَابِر، وأئِمة المُسْلمين بَعدي، أوَّلهم علي بن أبي طالب ثُم الحَسن والحُسين، ثُم عَلي بن الحسَين ثُم مُحمد بن علي المَعْروف فِي التوراةِ بالباقر، وسَتدركهُ يا جابِر، فَإذا لَقيته فأقْرئه مِني السَّلام، ثُم الصَّادق جَعفر بن مُحمد، ثُم موسَى بن جَعفر، ثُم عَلي بن مُوسى ثُم محمد بن عَلي، ثُم عَلي بن مُحمد ثُم الحَسن بن علي، ثُم سَميي وكنيي حُجَة الله فِي أرْضه وبَقِيته فِي عِباده ابن الحَسَن بن عَلي، ذاكَ الذيْ يَفتحُ الله- تعالى ذِكره- عَلى يَديْه مَشَارق الأرض ومَغارِبها، ذاكَ الذيْ يَغيب عن شِيعته وأولِيائه غَيبة لا يَثبت فِيها عَلى القولِ بإمامَته إلا مَن امتحَن اللهُ قلبَه للإيمانِ. قالَ: فقالَ جابر: يا رسُول اللهِ فهلْ يَنتفعُ الشِّيعة بِه في غَيبته؟ فقالَ صلى الله عليه وآله: إيْ

وَالذيْ بَعثني بِالنبوة إنَّهم لَينتفعونَ به، يَستضيؤونَ بنورِ ولايته فِي غَيبته كانتفاع الناس بالشمس، وإنْ جَلَّلها السَّحاب[1].

وفي تتمة الحديث ذكر جابر قصة ملاقاته مع الباقرعليه السلام، والتي أخبره بها رسول اللهصلى الله عليه وآله.

ويمكنكم ملاحظة النص الصريح للنبيصلى الله عليه وآله بأسماء الأئمة الإثني عشر وأنهم الخلفاء من بعده في كتب: «**صحيح البخاري**»، «**مسند أحمد بن حنبل**»، «**ينابيع المودة**» وهي من أهم كتب السنة، وفي كتب: «**الكافي**»، «**إحقاق الحق**»، «**إعلام الورى**»، «**بحار الأنوار**» وهي من أهم كتب الشيعة.

وأما فيمايتعلق بوجوب نصب الإمام، وأن لزوم الإمامة في المجتمع كلزوم النبوة، فقد كتب كبار العلماء الشيعة في هذا المجال كتباً مهمة كثيرة دقيقة واستدلالية، وأتموا بذلك الحجة على جميع المكلفين حتى يوم القيامة، وأغلقوا بذلك الأعذار بوجه التخلف عن الأئمة المعصومينعليهم السلام بعد النبيصلى الله عليه وآله أمام الجميع.

وتعتبر كتب مثل: «**الألفين**» للعلامة الحلي، و«**العبقات**» للمير حامد حسين النيشابوري، و«**الغدير**» للعلامة الأميني، و«**المراجعات**» للسيد شرف الدين العاملي، من أفضل الكتب في هذا المجال، ومطالعتها مفيدة.

إن استحكام بناء التشيع واقعية أوضح من الشمس، فالمدرسة الشيعية هي أفضل وأكثر أصالة من جميع المدارس على مر التاريخ في جميع المجالات

١- ينابيع المودّة: ١٧٣/٢؛ إعلام الورى: ٣٩٧، الفصل الثاني؛ بحار الأنوار: ٢٤٩/٣٦، باب ٤١، حديث ٦٧.

الإسلامية علماً وعملاً، وهذا الأمر قد تم إثباته بالأدلة والبراهين بشكل تحقيقي في مئات الكتب العلمية المعتبرة، وإن كان المعاندون والذين باعوا دينهم بالدنيا ومن هم أمثال بلعم بن باعورا على مر التاريخ الإسلامي لم يعترفوا بالحق ولم يتبعوه لوقوعهم في أسر هوى النفس، والذي هو أعدى الأعداء.

لقد حرفوا هم وأتباعهم الصمّ العميّ مسألة الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في مجلس السقيفة عن مسارها الأصلي ومحورها الحقيقي، وأوقعوا بذلك الكثير من المسلمين في الضلالة والحيرة حتى ظهور الإمام الثاني عشر عليه السلام، وجعلوا أمرهم قائماً على أضعف أساس وأوهنه من القول بأن الرسول صلى الله عليه وآله لم يتحدث عن هذا الأمر، وأنه ترك تعيين الحاكم بعده للأمة، وكان بالتالي هو السبب في كل هذا الاختلاف والتفرق والضعف والانحراف وابتداع المذاهب في المجتمع الإسلامي !.

الإمامة والولاية في كلام الإمام الرضا عليه السلام:

وأكتفي هنا بنقل حديث واحد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام من بين مئات الكتب العلمية والتحقيقية والروائية والتاريخية التي كتبت في موضوع الولاية والإمامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وليرجع أهل الإنصاف إلى إنصافهم.

يقول عبد العزيز بن مسلم والذي هو من أصحاب الرضا عليه السلام وخواصه المقربين:

كنَّا فِي أَيام عِلِيّ بن مُوسَى الرِّضا عليه السلام بمرو، فاجْتَمعنا في مَسجدِ جَامِعها في يَومِ جُمعة فِي بَدء مَقدمنا فَأدارَ الناسُ أمرَ الإمامةِ وذكرُوا

كثرةَ اختلافِ الناسِ فِيها، فدخلتُ على سَيدي ومَولاي الرِّضاعليه السلام فأعلمْتُه ما خاضَ الناسُ فيهِ، فتبسمَ ثُم قال: يَا عبد العزيزِ جَهِل القومُ وخُدِعوا عن أديانهمْ، إن اللهَ تباركَ وتعالَى لمْ يَقبض نَبيهصلى الله عليه وآله حَتى أكْملَ لهُ الدينَ وأنزلَ عليهِ القُرآنَ فِيه تَفصيل كلِّ شيءٍ بيَّنَ فيه الحَلالَ والحرامَ والحدودَ والأحكامَ وجمِيع ما يَحتاج إليهِ الناس كَمُلاً، فقالَ عزَّوجل: ﴿ما فرَّطنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيءٍ﴾[1] وأنزلَ فِي حِجة الوداعِ وهِي آخر عُمرهصلى الله عليه وآله: ﴿اليومَ أكْمَلت لَكمْ دينَكُمْ وأتمَمْتُ علَيكُمْ نِعْمَتي ورَضِيتُ لَكُم الإِسْلامَ دِيْنا﴾[2].

فأمْرُ الإِمامةِ منْ تمامِ الدينِ، ولمْ يَمْضِعليه السلام حَتى بيَّنَ لأمتهِ مَعالمَ دِينهِ وأوضحَ لَهم سُبله وتركهمْ على قَصْد الحقِ وأقامَ لهمْ عَلِياًعليه السلام علَماً وإِمَاماً وما تَركَ شَيئاً تحتاجُ إليهِ الأمَّة إلا بيَّنه. فَمَن زعمَ أنَّ الله عزَّوجل لمْ يُكمِل دينَه فقدْ ردّ كتابَ الله عزَّوجل، ومنْ ردّ كتابَ الله فَهو كافرٌ، هلْ يعرفُونَ قدرَ الإمامةِ ومَحَلها منَ الأمةِ؟ فيجوزُ فيها اختِيارُهم إنَّ الإمامةَ أجلّ قَدراً وأعظمُ شأناً وأعلَى مَكاناً وأمنعُ جانباً وأبعدُ غَوراً منْ أن يَبلغها الناسُ بعقولِهم، أو ينالوهَا بآرائِهم، أو يُقيموا إِمَاماً باختيارِهم. إن الإِمامةَ

١- الأنعام ٦: ٣٨.

٢- المائدة ٥: ٣.

خصَّ اللهُ عزَّوجل بها إبراهيمَ الخليلَ عليه السلام بعدَ النبوةِ والخلةِ مرتبةً ثالثةً وفضيلةً شرَّفه بها وأشادَ بها ذِكره فقال عزَّوجل:

﴿إِنِّي جَاعِلُك للنَّاسِ إِمَاماً﴾[1].

فقالَ الخَليلُ عليه السلام سُروراً بها: «وَمِنْ ذُرِّيَتي» قالَ الله عزَّوجل:

﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِين﴾[2].

فأبطلَتْ هَذِه الآيَة إِمَامةَ كلِّ ظالمٍ إلى يَوم القيامةِ، وصَارت فِي الصَّفوة[3].

الشيعة في الإسلام:

هل كان يبقى من الإسلام الحقيقي أثر بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله، لولا الجهود التي بذلها الوصي الحق للرسول صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده الأحد عشر وأصحابهم الأوفياء؟!. وكذلك لولا الجهود التي بذلها الفقهاء واجدو الشرائط وتلامذتهم من أجل بقاء الدين، هل كان يبقى من الإسلام شيء بعد الهجوم الذي تعرض له الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله من قبل عبدة الأهواء وخصوصاً بني أمية وبني العباس؟!. إن الإسلام الموجود اليوم بين أيدي الطوائف غير الشيعية هو إسلام الفقهاء الذين رباهم بنو أمية وبنو العباس، بينما الإسلام الموجود بين

١- البقرة ٢: ١٢٤.

٢- البقرة ٢: ١٢٤.

٣- الكافي: ١٩٨/١، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، حديث ١؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٦٧٤، المجلس السابع والتسعون، حديث ١؛ بحار الأنوار: ١٢٠/٢٥، باب ٤، حديث ٤.

أيدي الشيعة هو إسلام الأئمة المعصومين عليهم السلام، وإسلام الأئمة عليهم السلام هو إسلام رسول الله صلى الله عليه وآله، وإسلام رسول الله صلى الله عليه وآله هو إسلام الله.

وماأقوله من أن إسلام غير الشيعة هو إسلام الفقهاء الذين رباهم بنو أمية وبنو العباس، هو حقيقة تدل عليها نفس كتبهم الفقهية والتاريخية، ولهذا السبب فإن جميع الآراء الفقهية الشيعية تمتاز بالأفضلية من جهة المحتوى والاستدلال على جميع الآراء الفقهية للمذاهب الأخرى. ويمكنكم الرجوع في هذا المجال إلى كتاب «**الخلاف**» للشيخ الطوسي، وكذلك راجعوا الفتوى المهمة لفقيه أهل السنة الشيخ محمود شلتوت والتي يقول فيها بأن جميع أهل السنة يستطيعون اتباع فقه الشيعة والذي هو فقه جعفر بن محمد الصادق في جميع أمورهم !!.

نعم، إن الشيعة تتبع في جميع المسائل الاعتقادية والعملية والأخلاقية والمادية والمعنوية والسياسية والاجتماعية والدنيوية والأخروية الأئمة المعصومين عليهم السلام من أهل بيت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، والذين هم قد أخذوا علومهم ومعارفهم من جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أخذ النبي صلى الله عليه وآله علمه عن الله تعالى، ففي الحقيقة إن الشيعة هم السنة الواقعيون الذين اتبعوا حقيقة سنة الرسول صلى الله عليه وآله في جميع الأمور وبالأخص في أمر الخلافة من بعده، والمخالفون وإن رمونا بآلاف التهم ولم يتورعوا عن الكذب علينا ولم يكن لنا إلا الله تعالى، ولكننا مضافاً إلى الرد على التهم والأكاذيب بأجوبة مذكورة في كتبنا العلمية من قبيل: «**إحقاق الحق**» و «**العبقات**» و «**الغدير**» و «**المراجعات**» و «**النص والاجتهاد**» و «**الإمام الصادق**»، فإننا سوف نردُّ تُهم وأكاذيب المعاندين وأتباع الأهواء في محكمة القيامة بحضور النبي صلى الله عليه وآله وشهادة الله تعالى:

﴿أَلَيْسَ اللّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[١].

الراسخون في العلم:

لولا وجود الإمام المعصوم بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله، أي الإمام الواجد بحسب الروايات المتواترة لجميع أوصاف النبي وخصوصياته عدا النبوة، لكان ذلك نهاية عمر المذهب الحقيقي للحق وذلك بسبب التصرفات اللامسؤولة لعبدة الأهواء بمفاهيم آيات القرآن بحسب عقولهم وآرائهم.

لقد كان الأئمة المعصومون عليهم السلام هم الذين بيَّنوا حقيقة المفاهيم، وبقيت أقوالهم باعتبارها ميزان معرفة الحقائق القرآنية عند أهل القلوب، كي يتضح من خلال الرجوع إلى آرائهم الحقة بطلان آراء الآخرين فيمايرتبط بالقرآن.

لاحظوا الآية التالية:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[٢].

١ـ التين ٩٥: ٨

٢ـ آل عمران ٣: ٧.

لم يدع أحد من المسلمين إلى الآن بأن أبا بكر وعمر وعثمان راسخون في العلم، أو أن الحكام الأمويين أو العباسيين أو فقهاء حكوماتهم أو الفقهاء الحاليين لأهل السنة راسخون في العلم، وإذا ادعى أحد ذلك فلادليل مقنع ولاحجة ولابرهان على صحة دعواه، ومن جهة أخرى فإن آيات القرآن ليست بلامصداق، وإذا رجعنا لمعرفة مصاديق الآية المذكورة إلى روايات أهل السنة وروايات كتب الشيعة لرأينا أن الأئمة المعصومين عليهم السلام هم الذين ذكرت أسماؤهم على أنهم الراسخون في العلم، وأن مصاديق ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هم عليهم السلام، وهم الذين من أقوالهم وكلماتهم في تفسير آيات القرآن قد ختموا بالبطلان على آراء وعقائد كل الفرق التي اتبعت المتشابهات، وإلا لما بقي من أثرٍ اليوم لحقيقة الدين !!.

لقد وردت مذاهب خارجية مختلفة على المجتمع الإسلامي في عهد الباقر والصادق والرضا عليهم السلام، وذلك بواسطة الحكام الأمويين والعباسيين، وعمل أتباع الحكام الأمويين والعباسيين على ترجمة تلك الكتب، وراجت في المجتمع الإسلامي آلاف الآراء والأفكار البشرية، وكاد نور الإسلام أن ينطفئ وسط رواج تلك الآراء والأفكار.

وقد منع الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام من هدم بناء الدين وضياع مفاهيم آيات القرآن بسبب تلك الآراء والأفكار الباطلة، وذلك من خلال تربية عدة آلاف من تلامذتهم وإرسالهم إلى المناطق المختلفة في المجتمع الإسلامي، وكذلك عمل الإمام الرضا عليه السلام على منع إنطفاء شعلة الدين من خلال عقد المجالس العلمية المهمة، وحافظوا بذلك على وضوح صراط الحق المستقيم

وسط كل هذه العواصف. وبجهود بقية الأئمة عليهم السلام وفقهاء الشيعة المجاهدين استطاعت الشيعة المحافظة على بقائها إلى هذا اليوم. وسوف تستمر مستقبلاً أيضاً بجهود علماء الشيعة إلى أن يحين ظهور إمام العصر عجل الله فرجه، كي لايقول أحد إن الطريق لم يكن واضحاً أمامي !.

الإمامة والولاية في كلام الإمام السجاد عليه السلام:

وأنقل هنا رواية مهمة في هذا المجال من كتاب «علم اليقين»:

عَنْ مَوْلانَا الصَّادِقِ عليه السلام عَنْ أَبِيهِ الْباقِرِ عَنْ أَبِيهِ السَّجادِ صلى الله عليه وآله قالَ: نَحْنُ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمينَ وَحُجَجُ اللّهِ عَلَى الْعالَمينَ وَسادَةُ الْمُؤْمِنينَ وَقادَةُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلينَ وَمَوالِي الْمُؤْمِنينَ وَنَحْنُ أَمانٌ لأَهْلِ الأَرْضِ كَما أَنَّ النُّجومَ أَمانٌ لأَهْلِ السَّماءِ وَنَحْنُ الَّذينَ بِنا يُمْسِكُ اللّهُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلى الأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ وَبِنا يُمْسِكُ الأَرْضَ أَنْ تَميدَ بِأَهْلِها وَبِنا يُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَنْشِرُ الرَّحْمَةَ وَيُخْرِجُ بَرَكاتِ الأَرْضِ وَلَوْلا ما فِي الأَرْضِ مِنّا لَساخَتْ بِأَهْلِها. ثُمَّ قال: وَلَمْ تَخْلُ الأَرْضُ مُنْذُ خَلَقَ اللّهُ آدَمَ مِنْ حُجَّةٍ لِلّهِ فيها ظاهِرٌ مَشْهورٌ أَوْ غائِبٌ مَسْتورٌ وَلا تَخْلو إِلى أَنْ تَقُومَ السّاعَةُ مِنْ حُجَّةٍ لِلّهِ فيها وَلَوْلا ذَلِكَ لَمْ يُعْبَدِ اللّهُ.

قالَ الرّاوي: فَقُلْتُ لِلصّادِقِ عليه السلام:

«فَكَيْفَ يَنْتَفِعُ النّاسُ بِالْحُجَّةِ الْغائِبِ الْمَسْتورِ؟ قالَ: كَما يَنْتَفِعونَ

بِالشَّمْسِ إِذا سَتَرَها حِجابٌ»[١].

١ـ علم اليقين: ٣٨١/١، كمال الدين: ٢٠٧/١، باب ٢١، حديث ٢٢؛ الأمالي، الشيخ الصدوق :١٨٦، المجلس الرابع والثلاثون، حديث ١٥؛ بحار الأنوار: ٥/٢٣، باب ١، حديث ١٠.

«رُوِيَ بِإِسْنادٍ صَحيحٍ عَنْ سَلْمانَ الْفارْسِيِّ رضي‌الله عنه قالَ: دَخَلْتُ عَلى رَسُولِ اللّهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله فَلَمّا نَظَرَ إِلَيَّ قالَ: يا سَلْمانُ إِنَّ اللّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً وَلا رَسُولاً إِلاّ وَلَهُ إِثْنا عَشَرَ نَقيباً[1]، قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ عَرَفْتُ هذا مِنْ أَهْلِ الْكِتابَيْنِ. قالَ: يا سَلْمانُ هَلْ عَلِمْتَ نُقَبائِيَ الإِثْنَي عَشَرَ الَّذينَ اخْتارَهُمُ اللّهُ تَعالى لِلإمامَةِ مِنْ بَعْدي؟ فَقُلْتُ: اَللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقالَ: يا سَلْمانُ خَلَقَنِيَ اللّهُ تَعالى مِنْ صَفْوَةِ نُورِهِ وَدَعاني فَأَطَعْتُهُ، فَخَلَقَ مِنْ نُوري عَلِيّاً وَدَعاهُ فَأَطاعَهُ، فَخَلَقَ مِنْ نُوري وَنُورِ عَلِيٍّ فاطِمَةَ وَدَعاها فَأَطاعَتْهُ، وَخَلَقَ مِنّي وَمِنْ عَلِيٍّ وَفاطِمَةَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَدَعاهُما فَأَطاعاهُ فَسَمّانَا اللّهُ بِخَمْسَةِ أَسْماءٍ مِنْ أَسْمائِهِ فَاللّهُ تَعالى الْمَحْمُودُ وَأَنا مُحَمَّدٌ، وَاللّهُ الْعَلِيُّ وَهذا عَلِيٌّ، وَاللّهُ الْفاطِرُ وَهذِهِ فاطِمَةُ، وَاللّهُ ذُوالإِحْسانِ وَهذا الْحَسَنُ، وَاللّهُ الْمُحْسِنُ وَهَذَا الْحُسَيْنُ وَخَلَقَ مِنْ نُورِ الْحُسَيْنِ تِسْعَةَ أَئِمَّةٍ فَدَعاهُمْ فَأَطاعُوهُ مِنْ قَبْلِأَنْ يَخْلُقَ اللّهُ تَعالى سَماءً مَبْنِيَّةً أَوْ أَرْضاً مَدْحِيَّةً أَوْ هَواءً أَوْ مَلَكاً أَوْ بَشَراً وَكُنّا أَنْواراً نُسَبِّحُهُ وَنَسْمَعُ لَهُ وَنُطيعُ».

١- النقيب بمعنى الشاهد والشخص المحيط بالحقائق ويكون أفضل من الجميع وأعلم من الآخرين في جميع الأمور.

«قالَ: فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي ما لِمَنْ عَرَفَ هؤُلاءِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِمْ؟ فَقالَ: يا سَلْمانُ مَنْ عَرَفَهُمْ حَقَّ مَعْرِفَتِهِمْ وَاقْتَدى بِهِمْ فَوالاهُمْ وَتَبَرَّأَ مِنْ عَدُوِّهِمْ كانَ وَاللّهِ مِنّا، يَرِدُ حَيْثُ نَرِدُ وَيَسْكُنُ حَيْثُ نَسْكُنُ.

فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ فَهلْ إيمانٌ بِغَيْرِ مَعْرِفَتِهِمْ بِأَسْمائِهِمْ وأَنْسابِهِمْ؟

فَقالَ: لا يا سَلْمانُ. قُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ فَأَنّى لي بِهِمْ؟ فَقالَ: قَدْ عَرَفْتَ إِلَى الْحُسَيْنِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قالَ رَسُولُ اللّهِ ثُمَّ زَيْنُ الْعابِدينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَليٍّ باقِر عِلْمِ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلين ثُمَّ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ لِسانُ اللّهِ الصّادِقُ، ثُمَّ مُوسى بْنُ جَعْفَرٍ الْكاظِمُ غَيْظَهُ صَبْراً فِي اللّهِ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ مُوسىَ الرِّضا الرّاضي بِسِرِّ اللّهِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُخْتارُ مِنْ خَلْقِ اللّهِ ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهادي إِلَى اللّهِ ثُمَّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الصّامِتُ الأَمينُ عَلى سِرِّ اللّهِ، ثُمَّ فُلانٌ سَمّاهُ بِابْنِ الْحَسَنِ النّاطِقُ الْقائِمُ بِحَقِّ اللّهِ».

«قالَ سَلْمانُ: فَبَكَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ إنّي مُؤَجَّلٌ إلى عَهْدِهِمْ؟ قالَ: يا سَلْمانُ اِقْرَأْ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾»[1].

---

١ ـ الإسراء ١٧: ٥ ـ ٦.

قالَ: فَاشْتَدَّ بُكائي وَشَوْقي وَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ أَبِعَهْدٍ مِنْك؟ فَقالَ: إي وَالَّذي أَرْسَلَني لَبِعَهْدٍ مِنّي وَبِعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَتِسْعَةِ أَئِمَّةٍ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليهم السلام وَبِكَ وَمَنْ هُوَ مِنّا وَمِظْلُومٌ فينا وَكُلُّ مَنْ مَحَضَ الإيمانَ مَحْضاً، إي وَاللّهِ ياسَلْمانُ ثُمَّ لَيَحْضَرَنَّ إبليسُ وَجُنُودُهُ وَكُلُّ مَنْ مَحَضَ الْكُفْرَ مَحْضاً حَتّى يُؤخَذَ بِالْقِصاصِ وَالأَوْتارِ وَالتُّراثِ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً، وَنَحْنُ تَأويلُ هذِهِ الآيَةِ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُم الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[1].

قالَ سَلْمانُ: فَقُمْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وَما يُبالي سَلْمانُ مَتى لَقِيَ الْمَوْتَ أَوْ لَقِيَهُ»

بملاحظة المقدمة التي تم عرضها قبل الرواية يتبين أن استمرار المعارف الإلهية، والمحافظة على سلامة الدين والصراط المستقيم، يتوقف توقفاً تاماً على وجود قائد صالح وإمام واجد للشرائط، ولايمكن لأحد الجلوس في هذا الموقع

١ــ القصص ٢٨: ٥ ـ ٦.

الإلهي العظيم باختياره هو لنفسه، أو بانتخاب الناس له، فهذا المنصب الحق من حق الأوصياء الذين عينهم الله تعالى للأنبياء!!.

الخلافة المباشرة(بلافصل) لأمير المؤمنين عليه السلام:

بعد سنوات من المصاعب والمحن الشديدة وأمواج الابتلاءات والفتن الاجتماعية وحروب فاقت الثمانين وصل عهد رسالة ونبوة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى حجة الوداع.

وخلال تلك الفترة العصيبة الممتدة لثلاث وعشرين سنة استطاع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بتوفيق الله تعالى إبلاغ جميع الواقعيات الظاهرية والباطنية للإسلام.

وهو الآن في حال الرجوع من الحج، ليمضي الأيام المتبقية الأخيرة من عمره الشريف قبل رحيله إلى الرفيق الأعلى.

والعقل السليم يحكم ابتداءً بلزوم تركه محصول أتعابه المضنية وهو الأمة المسلمة الفتية، وكذلك القرآن المجيد وهو الكنز الفريد من عالم الملكوت، بيد شخص يتمتع مثله بروح سامية وقلب سليم وعقل فعَّال وإرادة إلهية، والأمر الثاني هو أن جميع المعارف والآثار الشرعية وخاصة الآيات القرآنية تقتضي مثل هذا الأمر. وإذا لم يقدم على مثل هذا الأمر فإن الأمة سوف تختلف من بعده، وسوف يجر هذا الاختلاف على الأمة آلاف الحوادث والمتاعب، وسوف يؤدي هذا إلى وقوع خسائر غير متداركة على القرآن والمجتمع الإسلامي يتحمل هو مسؤوليتها، ولن تكون أمته مصونة حينئذ من الانحراف !.

ولهذا السبب فقد كان أثناء رجوعه من حجة الوداع مشغول الفكر بهذه القضية الإلهية، وهي أنه بعد فترة وجيزة حيث تغرب شمس وجوده وراء غيوم الموت المظلمة فمن الذي يمكن له أن يكون من بعده حافظاً لكل هذه القوانين والسنن، ويكون المرشد والقائد لعموم الإنسانية باتجاه الكمال والصلاح؟.

فمن هو الذي سيتولى من بعده وظيفة تهذيب الأخلاق، مع تحليه بأفضل نس، وطهارة ماضيه من التلوث بالشرك والمعاصي؟ ومن هو الذي سيقضي بين الناس بالحق والعدالة؟.

ولمن سيكون ذلك الفكر المنيع الذي يستمد من منبع العلم الإلهي، ولأي إنسان واقعي سوف تكون تلك الروح القوية والمنطق البليغ الذي سوف يسوق أفكار الناس إلى الله وإلى يوم الجزاء، وعليه تقع مسؤولية نشر تعاليم الدين وإعلاء الإسلام الحقيقي؟.

فمن هو الشخص الذي سيتمكن من بعده أن يكون صورة كاملة عنه بين الناس؟، هل سيكون إمام الناس هو ذلك الشخص الذي نشأ في الأرحام والأصلاب الطاهرة، والذي يمتلك فطرة صافية وروحاً مستنيرة مثله مستعدة لتلقي الحقائق؟.

وأخيراً، فأي إنسان كامل سيكون هو خليفته؟.

والأمر وإن كان واضحاً جلياً أمامه كالنهار، حول هوية الذي يستحق القيادة من بعده، ويعلم جيداً بمن يليق لباس الإمامة، ولكنه رغم ذلك كان ينتظر الأمر الإلهي، منتظراً نزول رسول ربه بنص إلهي صريح يبين لجميع المسلمين هذا الأمر.

وبالنسبة إليه وحسب ماضي نزول الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقد كان مسلماً بالنسبة إليه أن الله لن يترك هذا الموضوع المهم بلابيان، وسوف يختار بستانياً مجرباً، وخبيراً ومربياً ماهراً من أجل تعهد شجرة الدين الفتية، فهو يعلم أن منصب الخلافة الرفيع هو هبة إلهية كمقام النبوة الشامخ، وأن الله سوف يختار بمقتضى حكمته من يراه لائقاً لهذا، وأن وظيفة المسلمين من بعده تجاه موضوع الإمام والقائد سوف يتم تعيينها من خلال نزول الوحي.

وهاهم قد اقتربوا من منطقة غدير خم، وهي المكان الذي تنشعب فيه طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، والنبي صلى الله عليه وآله مشغول البال بذلك الموضوع، وقد ركن قلبه لمبدأ الوحي، وتطلعت عينه باتجاه الملكوت، وبصره الممتلئ بالعواطف ومحبة الناس قد أطلقه على مدى الأفق، وكأنه ينتظر من مشرق أنوار الوحي أمراً مهماً وحكماً خطيراً.

ولم يطل انتظار محمد صلى الله عليه وآله، ولبى الله طلب حبيبه، وبإنزال الوحي عليه فقد كشف عن آخر وأهم مسألة أساسية في الإسلام، والتي كان النبي صلى الله عليه وآله ينتظر منذ مدة قضية الإعلان عنها.

وفي هذا البين، شاهد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله تغير وجهه صلى الله عليه وآله، وكأن ثقلاً خاصاً قد أصابه، وكان العرق يتصبب منه صلى الله عليه وآله، ووقف في مكانه، وهو يتمتم بكلمات في فمه، وقد كانت هذه الحالة تصيبه عند نزول الوحي.

ثم أمرهم صلى الله عليه وآله بإنزال الناقة، وبدأ يعلو صوته تدريجياً، ويدرك أصحابه أن هذه النغمة السماوية قد نزل بها جبرئيل أمين الوحي عليه، وبدأ يتلو بلهجته الجذابة المحكمة:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1].

لقد أمره الله تعالى أن يقيم علياً علماً للناس، ويبلغهم مانزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله أن يُردّ من تقدم منهم، ويُحبَس من تأخر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لاينزل تحتهن أحد، حتى إذا أخذ القوم منزلهم، فقُمَّ ماتحتهن، حتى إذا نودي بالصلاة ـ صلاة الظهر ـ عمد إليهن فصلى بالناس تحتهن، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض ردائه على رأسه، وبعضه تحت قدميه، من شدة الرمضاء، وظلل لرسول الله صلى الله عليه وآله بثوب على شجرة سَمُرة من الشمس، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وآله من صلاته، قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل، وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته، فقال:

الحمدُ لله ونَستعينُه ونؤمنُ بهِ، ونتوكلُ عليهِ، ونَعوذُ بالله مِن شرورِ أنفسنا، ومِن سَيئات أعمالنا، الذِي لاهادي لِمَن أضلَ، ولامضل لِمن هدى، وأشْهد أن لاإله إلا الله، وأنَّ محمداً عبدُه ورَسوله.

أما بعدُ، أيُّها الناسُ قد نَبأني اللطيفُ الخبيرُ أنَه لمْ يُعمِّر نَبي إلا مِثل نِصف عُمر الذي قَبله. وإِني أُوشك أن أُدعى فَأجيب، وإِني مَسؤول، وأنتمْ مَسؤولون، فَماذا أنتمْ قائلون؟.

قالُوا: نَشهد أنك قد بلغتَ ونصحتَ وجاهدتَ، فَجزاكَ الله خيراً.

١ـ المائدة ٥: ٦٧.

قالَ: ألستُم تَشهدون أن لاإله إلا الله، وأنَّ محمداً عبدُه ورَسوله، وأنَّ جنته حقٌ وناره حقٌ، وأنَّ الموتَ حقٌ، وأن الساعةَ آتيةٌ لاريبَ فِيها، وأن الله يبعثُ من فِي القُبور؟.

قَالوا: بَلى نَشهد بِذلك.

قالَ: اللهمَ اشهَد، ثُم قال: أيُّها الناسُ، ألاتَسمعون؟.

قالوا: نعمْ.

قال: فإنِّي فَرَط على الحوضِ، وأنتمْ واردُون علَي الحوضَ، وإنَّ عرْضه مابينَ صَنعاء وبُصرى، فيهِ أقداحٌ عدد النجومِ من فضَّة، فانظرُوا كيفَ تَخلفونِي في الثقلَيْن.

فنادى مُناد: ومَاالثقلان يَارَسول الله؟.

قال: الثقلُ الأكبرُ كتابُ الله طرفٌ بيدِ الله عزَّوجل وطرفٌ بأيديكمْ، فتمسَّكوا بهِ لاتَضلوا، والآخرُ الأصغرُ عترتي، وإنَّ اللطيفَ الخبيرَ نبأني أنهما لنْ يَتفرقا حتى يَردا عليَّ الحوضَ، فسألتُ ذلك لَهما ربِّي، فَلاتقدموهُما فَتهلكوا، ولاتَقصروا عنهما فَتَهلكوا.

ثُم أخذَ بِيد عليٍ فَرفعها حَتى رُؤي بياضُ آباطهما وعَرفه القومُ أجمعون، فقالَ: أيُّها الناسُ مَن أولى الناس بالمؤمِنين من أنفسهمْ؟. قالُوا: الله ورَسُوله أعلم.

قالَ: إنَّ الله مَولاي، وأنا مَولى المُؤْمنين، وأنا أولَى بِهم مِن أنْفسهم، فمنْ كنتُ مَولاه فَعليٌّ مَولاه، يَقولها ثلاثَ مرات، ثُم قال: اللهُم والِ مَن

والاه وعادِ من عاداه، وأحبَّ من أحبَه وأبغِضْ مَن أبغضَه، وانصُر مَن نَصره واخذُل من خذَله، وأدِر الحقَ مَعه حيثُ دار، ألا فَلْيُبلغ الشاهدُ الغائبَ.

ثُم لمْ يَتفرقوا حَتى نزلَ أمينُ وحْي الله بقوله:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[1].

فقالَ رسُول الله صلى الله عليه وآله: «الله أكبرُ علَى إكْمال الدينِ، وإتمامِ النعمةِ، ورِضا الرَّب برسَالتي، والوِلاية لِعليٍ من بَعدي».

لقد أتم النبي صلى الله عليه وآله الحجة على جميع الأمة بخطبته التي استمرت لعدة ساعات، وقد أبلغهم فيها أمر الله تعالى في مسألة الخلافة الخطيرة، وقد خاطبهم لأكثر من سبعين مرة بقوله: يامعشر الناس، محذراً إياهم من مخالفة علي عليه السلام، وينذر مخالفيه وأعداءه العذاب الأبدي والغضب الإلهي، ويبشر مطيعيه وأتباعه بالسعادة الأبدية ضامناً لهم الجنة، ويذكر الجميع بأن في اتباع علي عليه السلام عظمة المسلمين وحفظ شوكتهم، وانتشار الإسلام في أصقاع العالم، وإلا فسوف لن تكون النتيجة إلا الضلال والفساد والطرق الخاطئة، والابتعاد عن علوم القرآن والحرمان من التربية الصحيحة.

وبهذا فتح فصل جديد في تاريخ الإسلام، فقد وضع تاج الإمامة اليوم وبأمر من الله تعالى على رأس أهم شخصية في تاريخ الإسلام وهو فاتح حروب خيبر وبدر والخندق، والناصر الوفي والشجاع لرسول الله، وابن عمه وزوج ابنته، وباب

١ـ المائدة ٥: ٣.

مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله، والمجسد لجميع أخلاق النبي صلى الله عليه وآله، وبهذا أصبح منبر ومحراب النبي صلى الله عليه وآله تحت تصرفه عليه السلام.

نعم، إنه أفضل الناس وأكثرهم أهلية للجلوس على كرسي خلافة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والتصدي لقيادة المسلمين،

لقد انتخب علي لزعامة المسلمين، فأي بشرى سارة، وأي اختيار لائق.

ثم جاء القوم يهنئون أمير المؤمنين عليه السلام، وممن هنأه ـ في مقدم الصحابة ـ أبو بكر وعمر، كلٌّ يقول: بخ بخ لك ياابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وقال ابن عباس: وجبت ـ والله ـ في أعناق القوم.

فقال حسان: ائذن لي يارسول الله أن أقول في علي أبياتاً تسمعهن.

فقال: قل على بركة الله.

فقام حسان، فقال: يامعشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية، ثم قال:

يُناديهِمْ يَوْمَ الْغَديرِ نَبِيُّهُمْ بِخُمٍّ وَأَسْمِعْ بِالرَّسولِ مُنادِيا

فَقالَ: فَمَنْ مَوْلاكُمُ وَنَبِيُّكُمُ فَقالوا وَلَمْ يُبْدوا هُناكَ التَّعامِيا

إِلهُكَ مَوْلانا وَأَنْتَ نَبِيُّنا وَلَمْ تَلْقَ مِنّا فِي الْوِلايَةِ عاصِيا

فَقالَ لَهُ قُمْ يا عَلِيُّ فَإِنَّني رَضيتُكَ مِنْ بَعْدي إِماماً وَهادِيا

فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا وَلِيُّهُ فَكونوا لَهُ أَتْباعَ صِدْقٍ مُوالِيا
هُناكَ دَعَا اللّهُمَّ والِ وَلِيَّه وَكُنْ لِلَّذي عادى عَلِيًّا مُعادِيا[1]

أسانيد حديث الغدير عند كبار أهل السنة:

لقد نقل الرواة والمحدثون والمؤرخون والمفسرون والأدباء والحكماء والشعراء على مر التاريخ منذ يوم الغدير وحتى اليوم الحاضر حديث الغدير باعتباره وثيقة إثبات خلافة علي عليه السلام وإمامته، وذلك في أهم كتبهم، وألفوا حول هذا الحديث كتباً مهمة خالدة.

وقد تجاوز عدد هؤلاء الرواة والمحدثين وكتبهم مايزيد على سبعمئة شخص ورد ذكرهم في مستدركات وإضافات «الغدير».

المؤرخون من أهل السنة:

الاسم	الوفاة	الكتاب
الحافظ البلاذري	٢٧٩	أنساب الأشراف
الحافظ الطبري	٣١٠	الولاية في طرق حديث الغدير
الحافظ ابن زولاق المصري	٣٨٧	تاريخ ابن زولاق
الحافظ الخطيب البغدادي	٤٦٣	تاريخ بغداد
الحافظ ابن عبد البرّ القُرطُبي	٤٦٣	الاستيعاب

١- بحار الأنوار: ٣٨٨/٢١، باب ٣٦؛وراجع أيضاً كتاب «حساس ترين فراز تاريخ»: ٢٧.

أبوالفتح الشهرستاني	٥٤٨	المِلَل والنحل
الحافظ ابن عساكر الدمشقي	٥٧١	التاريخ الكبير
ياقوت الحموي	٦٢٦	معجم الأدباء
الحافظ أبوالحسن ابن الأثير	٦٣٠	أُسد الغابة
ابن خلّكان	٦٨١	وفيات الأعيان
زين الدين الشافعي	٧٤٩	تتمة المختصر
الحافظ ابن كثير الشامي	٧٧٤	البداية و النهاية
ابن خلدون إشبيلي	٨٠٨	مقدمة التاريخ
ابن حجر العسقلاني	٨٥٢	الإصابة
نورالدين السمهودي	٩١١	جواهر العقدين
أبوالعباس القرماني	١٠١٩	أخبار الدول
نورالدين الحلبي	١٠٤٤	السيرة الحلبية
أبوالعرفان الصبان	١٠٢٦	إسعاف الراغبين
زيني دحلان المكي	١٣٠٤	الفتوحات الاسلاميه
الشيخ يوسف نبهاني	معاصر	شرف المؤبّد

المحدّثون:

الاسم	الوفاة	الكتاب
محمد بن مسلم الزُهري	١٢٤	أسد الغابة
الحافظ أبوهشام	١٣٣	مسند أحمد
يحيى بن سعيد التَيْمي	١٤٥	زين الفتى

الحافظ عبدالملك عرزمي	١٤٥	مسند أحمد
الحافظ أبو عروة الأزدي	١٥٣	البداية و النهاية
الحافظ شعبة بن الحجاج	١٦٠	البداية و النهاية
الحافظ أبو يوسف السَبيعي	١٦٢	كفاية الطالب
الحافظ أبو سلمة البصري	١٦٧	مسند أحمد
الحافظ أبو عبدالرحمن المصري	١٧٤	البداية و النهاية
الحافظ أبو هشام الخارفي	١٩٩	مسند أحمد
الحافظ أبو أحمد الزبيري	٢٠٣	مسند أحمد
الحافظ أبو زكريا القرشي	٢٠٣	البداية و النهاية
محمد بن ادريس الشافعي	٢٠٤	نهاية ابن الأثير
الحافظ أبو عمرو الفزاري	٢٠٦	مسند أحمد
الحافظ عبدالرزاق الصنعاني	٢١١	البداية و النهاية
الحافظ أبو محمد أنماطي	٢١٧	الكشف و البيان
أحمد بن حنبل	٢٤١	المسند و المناقب
الحافظ البخاري	٢٥٦	تاريخ البخاري
الحافظ ابن ماجه	٢٧٣	سنن ابن ماجه
الحافظ الترمذي	٢٧٩	صحيح الترمذي
الحافظ النسائي	٣٠٣	الخصائص و السنن
الحافظ أبويعلي الموصلي	٣٠٧	المسند الكبير
الحافظ أبوالقاسم البَغَوي	٣١٧	معجم الحديث

أبو بشر دولابي	٣٢٠	الكنى و الأسماء
الحافظ أبو جعفر الطحاوي	٣٢١	مشكل الآثار
الحافظ أبوالقاسم الطبراني	٣٦٠	المعجم الكبير
الحافظ ابن بطّة العُكبري	٣٨٧	الإبانة
الحافظ أبوبكر أحمد الفارسي	٤٠٧	ما نزل من القرآن في أميرالمؤمنين
الحافظ أبوبكر البيهقي	٤٥٨	السنن الكبرى
ابن المغازلي	٤٨٣	المناقب
الحافظ أبو سعد السمعاني	٥٦٢	فضائل الصحابة
الحافظ ضياء الدين المقدسي	٦٤٣	الفصول المختارة
الحافظ الگنجي الشافعي	٦٥٨	كفاية الطالب
الحافظ النَوَوي	٦٧٦	رياض الصالحين
الحافظ محب الدين الطبري	٦٩٦	رياض النضرة
شيخ الإسلام الحموييني	٧٢٢	فرائد السمطين
الحافظ أبوالحجاج الشافعي	٧٤٢	تحفة الأشراف
الحافظ جمال الدين زرندي	حدود ٧٥٠	نظم دُرَر السِّمطين
ابن شهاب الهمداني	٧٨٦	مودّة القربى
الحافظ أبوالحسن الهيثمي	٨٠٧	مجمع الزوائد
أبو عبدالله وشتاني	٨٢٧	شرح صحيح مسلم
القاضي بدرالدين عيني	٨٥٥	عمدة القاري
أبو عبدالله السَنوسي	٨٩٥	شرح صحيح مسلم

أبو العباس القسطلاني	٩٢٦	المواهب
المتقي الهندي	٩٧٥	كنز العمّال
جمال الدين الشيرازي	١٠٠٠	الأربعين
القاري الهروي	١٠١٤	المِرقاة
زين الدين مناوي	١٠٣١	فيض القدير
شهاب الدين الخفاجي	١٠٦٩	نسيم الرياض
برهان الدين المصري	١١٠٦	الفتوحات الوهبية
ابن حمزة الحرّاني	١١٢٠	البيان و التعريف
أبو عبدالله زرقاني المصري	١١٢٢	شرح المواهب
الشيخ محمد بيروني الشافعي	١٢٧٦	أسنى المطالب
الحافظ ناصر السنة	معاصر	تشنيف الآذان

المفسرون والمتكلمون وسائر العلماء:

الاسم	الوفاة	الكتاب
القاضي أبوبكر الباقلاني	٤٠٣	التمهيد
أبو اسحاق الثعلبي	٤٢٧	الكشف و البيان
أبوالحسن الواحدي	٤٦٨	أسباب النزول
ابن سعدون القرطبي	٥٦٧	التفسير الكبير
الفخر الرازي	٦٠٦	مفاتيح الغيب
القاضي البيضاوي	٦٨٥	طوالع الأنوار
سعد الدين فرغاني	حدود ٧٠٠	شرح القصيدة التائية

القاضي عبدالرحمن إيجي	٧٥٦	المواقف
سعد الدين التفتازاني	٧٩٢	شرح المقاصد
نجم الدين ابن عجلون	٨٧٦	بديع المعاني
علاء الدين القوشجي	٨٧٩	شرح التجريد
شربيني القاهري	٩٧٧	السراج المنير
عبدالحق الدهلوي	١٠٥٢	لمعات
حامد عمادي الدمشقي	١١٧١	الصلاة الفاخرة
عبدالعزيز الدهلوي	١١٧٦	إزالة الخفاء
القاضي محمد الشوكاني	١٢٥٠	فتح القدير
مولوي محمد سالم	القرن ١٣	أصول الإيمان
الشيخ محمد عبده المصري	١٣٢٣	المنار
الآلوسي البغدادي	١٣٢٤	نثر اللآلئ
الدكتور أحمد فريد الرفاعي	معاصر	تعليقات معجم الأدباء
الدكتور أحمد زكي المصري	معاصر	تعليقات الأغاني
الأستاذ أحمد نسيم المصري	معاصر	تعليقات ديوان مهيار
الأستاذ رافعي المصري	معاصر	شرح هاشميات كميت
الأستاذ محمد شاكر النابلسي	معاصر	شرح الهاشميات
الأستاذ عبدالفتاح مقصود	معاصر	تقريظ الغدير
الدكتور صفاء خلوصي	معاصر	تقريظ الغدير

أسانيد حديث الغدير عند كبار الشيعة:

وأما من نقل حديث الغدير، والنص من رسول الله صلى الله عليه وآله على إمامة علي عليه السلام من كبار الشيعة فهم:

أبوعبدالله محمد بن أحمد المفجّع

أبوجعفر محمد بن جرير بن رستم

شيخ الشيعة أبوجعفر الصدوق

الشريف الرضي صاحب «**نهج البلاغة**»

معلم الأمة الشيخ المفيد

الشريف المرتضى علم الهدى

الشيخ عبيدالله بن عبدالله

الشيخ الطوسي

أبوالفتوح الخزاعي الرازي

الشيخ فتّال النيشابوري

أبوعلي الفضل بن الحسن الطبرسي

ابن شهرآشوب

أبو زكريا يحيى بن الحسن الحلّي

رضي الدين علي بن طاووس

بهاء الدين الإربلي

عماد الدين الطبري

الشيخ يوسف بن أبي حاتم الشامي

القاضي نورالله المرعشي

مولانا المحقق الملاّ محسن فيض الكاشاني

البحراني صاحب «**الحدائق**»[١].

ومئات المؤرخين والمحدثين والمفسرين والمتكلمين الشيعة الآخرين الذين تشكل كتبهم في هذا المجال مكتبة عظيمة.

وإني لأتعجب كيف انحرفت جماعة كبيرة من الأمة الإسلامية عن صراط الحق المستقيم، وسلّمت بإمامة وقيادة غير علي وأولاده المعصومين عليهم السلام، رغم وجود آلاف الرواة لهذا الخبر المهم، وآلاف الكتب الموثقة والمطمأن بها والصحيحة في هذه الواقعة، والأهم من ذلك وجود الآيات القرآنية المرتبطة بموضوع الإمامة وبالأخص الدالة على شرائطها الإلهية؟!!.

ولو أن الحكومة والإمامة كانت بيد علي عليه السلام بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فلاشك في أن الأمة الإسلامية لم تكن لتصاب منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وإلى اليوم بكل هذه المصائب والمآزق المبتلاة بها، ولما تسلط على المسلمين أحزاب كالسقيفة والأمويين والعباسيين، ووعاظ السلاطين والحكومات اللادينية وغير الملتزمة. ولما تحكمت بأرواح الشعوب وأعراضها وثقافاتها تلك الظاهرة الخبيثة المسماة بالاستعمار والاستثمار !!.

لو أنهم تركوا مولى الموحدين عليه السلام والذي كان أعلم وأشجع وأتقى وأعدل وأعبد وأزهد الأمة يستلم زمام الأمور كما أراد الرسول صلى الله عليه وآله ذلك وعرّفه لهم

١ـ راجع: الغدير: ٣٤/٢، وكتاب «حساس ترين فراز تاريخ».

على هذا الأساس تبعاً لأمر الله تعالى، فإني أقسم بالله أنه لما كان اليوم على وجه الأرض ملة غير ملة الإسلام، ولما كان هناك من معارف رائجة غير معارف القرآن، ولكن، للأسف فإن عبدة الدنيا ومن أجل رئاسة بضعة أيام فإنهم بإبعادهم علياً عليه السلام، فقد حرموا عالم البشرية وحتى ظهور المهدي عجل الله فرجه من الفيوضات الإلهية وخير الدنيا والآخرة !.

الخطبة الشقشقية:

لقد صرح الإمام علي عليه السلام وهو الذي كان واجداً لجميع شرائط القيادة، وقد أمضى الله تعالى لياقته تلك للإمامة، قد صرح بألمه من اغتصاب الحكومة والولاية من قبل أولئك الذين لم يكونوا يتمتعون بالكفاءة اللازمة لذلك المنصب، وقد أدت أعمالهم إلى إصابة الإسلام ووحدة المسلمين بضربة لاتجبر حتى يوم القيامة، وكان ذلك في خطبته المعروفة بالشقشقية والتي نقلها علماء السنة والشيعة في كتبهم المعتبرة، ومن المناسب ذكرها هنا للتأمل فيها، ولتلاحظوا كم هي المصائب التي تترتب على تدخل غير المختصين وغير المؤهلين في الأمور الإلهية والإنسانية، وخاصة في أمر الحكومة والولاية !. وهي:

أمَا واللّه لقدْ تَقمّصها فُلان، وإنّه لَيعلم أنّ مَحلّي مِنها مَحلّ القُطب مِن الرّحى، يَنحدرُ عنّي السّيل، ولا يَرقى إليّ الطّير، فسدلتُ دونَها ثوباً و طَويت عَنها كشحاً. وطفقتُ أرتَئي بين أن أصولَ بِيد جذّاء، أو أَصبرُ على طخْية عَمياء، يَهرم فيها الكبيرُ، ويَشيب فِيها الصّغير، ويَكدحُ فِيها مؤمن حتّى يلقَى ربّه. فرأيتُ أنّ الصّبرَ على هَاتا أحجَى، فصبرتُ وفي العَين

قَذى، وفي الحَلق شَجا، أرى تُراثي نَهباً، حتّى مَضى الأوّل لسَبيله، فأدلَى بها إلى فُلان بعدَه.

ثمّ تمثّل بقول الأعشى:

شتّان ما يَومِي على كورِها و يَوم حيّان أخي جَابر

فَيا عَجباً بَينا هو يَستقيلها في حَياته[1]، إذ عَقدها لآخر بَعد وفاتهِ، لَشدّ ما تَشطّرا ضِرعيها فَصيّرها في حَوزة خَشناء يَغلظ كلامُها، ويَخشن مَسّها، ويَكثرُ العِثار فِيها، والاعتِذار مِنها، فصاحِبُها كراكبِ الصّعبةِ إن أشنقَ لها خَرم، وإنْ أسلَس لها تَقحّم، فَمُنِيَ النّاس ـ لعمر اللّه ـ بخبطٍ و شماسٍ، و تلوّن و اعتراض، فَصبرتُ على طولِ المدّةِ، و شدّةِ المحنةِ، حَتّى إذا مَضى لسَبيله جَعَلها في جَماعةٍ، زعمَ أنّي أحدهمْ، فياللّه وللشّورَى مَتى اعترضَ الرّيبُ فيّ مع الأوّل مِنهم، حتّى صِرت أقرنُ إلى هذهِ النّظائرِ لكنّي أسْففت إذ أسفّوا، و طرتُ إذ طاروا، فصغَى رَجُل مِنْهم لضغنهِ، ومالَ الآخرُ لصهرهِ، مع هنٍ و هنٍ، إلى أنْ قامَ ثالثُ القومِ نافجاً حضنيهِ، بينَ نثيله و معتلفه، وقامَ معهُ بنو أبيهِ يَخضمون مالَ اللّهِ خَضمة الإبلِ نبتة الرّبيع، إلى أن انتكثَ فَتله، وأجهزَ عليهِ عَمله، وكبت به بطنته. فمَا راعَني إلاّ والنّاس كَعرف الضّبعِ إليّ، ينثالونَ عليّ مِن كلّ جانبٍ، حتّى لَقد وُطِيء الحَسنان، وشقّ عَطفاي، مُجتمِعين حَولي كربيضةِ الغَنم فَلمّا

١- راجع قول أبي بكر: «أقيلوني فلست بخيركم وعليٌّ فيكم» في بحار الأنوار: ٥١٩/٢٩؛ شرح نهج البلاغة: ١٦٩/١.

نَهضتُ بالأمرِ نكثتْ طائفةٌ، ومرقَت أُخرَى، وقَسط آخَرون، كأنَّهم لَم يَسمعوا كلامَ اللّهِ حيثُ يقول:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

بلَى واللّه لقدْ سَمعوها وَ وعوها، ولَكنّهم حَلِيت الدّنيا في أَعينهم، وراقَهم زبْرجها. أمَا والّذي فَلقَ الحبّةَ، و بَرأ النّسمةَ لولا حُضورُ الحاضرِ و قِيامُ الحجّةِ بوجودِ النّاصرِ، وما أَخذَ اللّه علَى العلماءِ أنْ لا يُقارّوا عَلى كظّةِ ظالمٍ، ولا سَغب مظلومٍ لألقيتُ حَبلها على غَاربها، و لسقيتُ آخرَها بكأسِ أوّلها، و لألفيتُم دُنياكُم هَذه أَزهَد عِندي مِن عَفطة عَنزٍ.

لقد اشتكى علي المرتضى عليه السلام في الخطبة الشقشقية بشكل صريح من ظلم الخلفاء، وتحدث بشكل واضح عن انحرافهم وسقوطهم، وكشف ببيان بليغ عن خطئهم الذي لايجبر، والذين يسعون لإظهار علي عليه السلام بصورة الراضي والخاضع أمام الشيوخ الثلاثة، فإنهم سيشعرون حتماً بالخجل أمام الخطبة الشقشقية، وسوف يلعنون تلك اليد الخبيثة التي أوقعت التفرقة داخل الأمة الإسلامية.

أنوار من شخصية مولى الموحدين عليه السلام:

لايستطيع أحد بيان الشخصية المعنوية لأمير المؤمنين عليه السلام سوى الله ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله.

١ـ القصص ٢٨: ٨٣

ياعلي! لايعرفك أحد إلا أنا والله[١].

إنه إنسان عظيم، جوهرة فريدة في خزانة الإيجاد، ولؤلؤة بديعة في صَدَفة الخلقة، وليس هناك من كنزٍ مثله في خرابة العالم، ولايوجد إنسان نظير له في تاريخ الحياة.

لقد اجتمعت الفضائل والكمالات فيه، وكما يقول الخليل بن أحمد:

استغناؤه عن الكل واحتياج الكل إليه دليل على أنه إمام الكل !.

تعجز الألسن عن مدحه، وتتكسر الأقلام عند الكتابة عنه، ويضعف دفتر الوجود عن شرح شخصيته، وتعمى العيون عن مشاهدة نوره.

نومه ليلة في فراش النبي صلى الله عليه وآله تعدل مرضاة الله[٢]، وضربة من سيفه في سبيل الإسلام أفضل من عبادة الثقلين[٣].

يقينه بالحقائق أفضل اليقين، وسعيه في سبيل الإسلام فوق الطاقة، وعبادته لله تعالى تفوق عبادة الجميع، وقلبه مركز جميع الأسرار، وروحه جامعة لجميع الأرواح!.

إذا وجهت وجهي إلى القبلة فذلك لعشقي لوجهه، وأقيم الصلاة لمناجاتي معه.

إذا سافرت من وطني فإني أسافر إليه، وإذا ذهبت لحج البيت فأنا أطوف بمقره.

والحرم قد أصبحت له حرمة احتراماً لمولده.

إن الرحمة كانت آية من رحمة علي، وجميع كتب الأنبياء كانت حكاية علي.

١- كنز العمال: ٢٧٧/١١، حديث ٣٢٩١١.

٢- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ البقرة ٢:٢٠٧.

٣- عوالي اللآلئ: ٨٦/٤ حديث ١٠٢؛ بحار الأنوار: ٢/٣٩، باب ٢، حديث ١.

الجنة ومافيها من عناية علي، وأجلّ نعمة لله ولاية علي.

وفي هذا الولاء قُلْ نعم، فهو أعظم النعم.

جنتي علي، وهو علي الذي تجلت الجنة من وجهه.

إن رؤية الغير دليل على الحَوَل، ومن يعشق الولي هو من يكون ناظراً إليه.

وهو وإن كان في علم الحق تعالى في الأزل المسلم الحقيقي الأول، ولكنه في ظاهر الحياة أيضاً كان أول شخص من الرجال آمن بالنبيﷺ بعد عودته من غار حراء في اليوم الأول للبعثة، ولم يكن قد تجاوز عمره الشريف آنذاك الثلاثة عشر عاماً.

كان إيمانه بالله والرسول والمعاد أخلص الإيمان، ويقينه أشد اليقين، وكان أخوف الناس من هيبة الله تعالى وعظمته، وأشد الناس اجتهاداً في إعلاء كلمة الله، وأقرب الناس إلى النبي وأحواله المعنوية، وأكثر الناس مناقبية، وأسبق المؤمنين خدمة لدين الله، وأعز خلق الله نفساً بعد النبي الأكرمﷺ.

على تراب عتبتك جلسنا محبين، بانتظار نظرة عناية جلسنا.

ملوك العالم ولكننا متسولون أمامك، قد جلسنا على سرير القناعة.

أغلقنا باب الطمع من غيرك، وجلسنا في قصور العز والمناعة.

استغنينا عن مقام سليمان، قتلنا شيطان أنفسنا وارتحنا.

إننا عطاشى لفيض عين الولاية، جلسنا ننتظر بشوق كأس الولاية.

وقضاء العمر بمحضر ولايتك ياعلي، شيء يستحق الكرامة.

خجلون من أعمالنا أمام محكمة العدل، وجلسنا ننتظر الشفاعة.

سلمنا أنفسنا لمحبوبنا، وجلسنا ننثر الدرَّ إلى يو م القيامة.

كان يقوم بنصرة الحق عندما يقعد الجميع، ويعلو صوته في سبيل الله عندما تعجز ألسنة الآخرين عن ذلك، ويتحرك بنور الحق عندما يتوقف الآخرون. لاينطق باللغو، وكلامه أحكم الكلام وأنفعه. رأيه أفضل الآراء، وقلبه أشجع القلوب، وعمله أحسن الأعمال. وهو أعرف الناس على مر التاريخ بأمور الظاهر والباطن !!.

كانت استقامته في نصرة الحق أكثر من الجميع، وكان أباً رؤوفاً بالمؤمنين، ومعيناً للضعفاء، ولم يكن له مثيل في نصرة المستضعفين وحماية مصالحهم.

كان شديداً على الكفار والمعاندين، رحيماً بالمؤمنين، وللطالبين للحق حجة قوية، وللسالكين طريق العشق أفضل المرشدين.

كان جبلاً لاتهزه الرياح والعواصف، وبقول رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه كان من جهة البدن عادياً، ولكنه في أمر الحق كان شديداً جداً وقوياً، كان يرى نفسه صغيراً ولكنه كان عند الله عظيماً جداً، لم تر الأرض أعز وأعظم منه من جهة البعد المعنوي، لم يكن مهملاً فيما يرتبط بالله، ولامحل طمع الكذابين والمستغلين، الضعيف قوي عنده ولايستكين حتى يأخذ حقه من الظالم، والقوي ضعيف عنده ولايتركه حتى يأخذ منه حق المظلوم، البعيد والقريب متساويان عنده، كانت أخلاقه الصدق والحق والرفق، قوله حكمة، وعمله الصبر والاحتياط، ورأيه العلم والفهم، كان أفضل معين للإسلام، وأفضل من يحل المشاكل، وأقوى مجاهد في إطفاء النيران الطاغية للكفر والإلحاد، كان ركناً للإيمان والإسلام والمؤمنين، وشديداً غليظاً على الأعداء.

لاغمَّ لكل من عرفك، قد أحنى رأسه ولم يرفع رأسه من قدميك.

قد وقع العشق في قلوب العاشقين الولهين، وأشعل ناراً لاتنطفئ.

يعلم الله أنه لولا شعلة عشقك، لما كان لعالم الوجود الملتهب من شَرَر.

أيها القمر إنك بعد خاتم الأنبياء، ليس هناك من فتى خير منك.

إن الله عليٌّ وأنت اسمه، ليس لغصن الحياة من وردة أحسن منك.

وقد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله:

ياعَلي إنَّ الله تعَالى زَيَّنك بزِينةٍ لمْ يزين العبادَ بزينةٍ هيَ أحَب إلَيْه مِنها، زَهدك فِيها وبغَّضها إليكَ، وحبَّب إليك الفقراءَ فرضِيت بهمْ أتباعاً ورضُوا بكَ إماماً، ياعَلي طوبَى لمَن أحبكَ وصَدقَ عليكَ، والويلُ لِمن أبغَضكَ وكَذب علَيكَ، فحقيقٌ على الله تعالى يومَ القيامةِ أن يقيمَه مقامَ الكذابين[1].

أزهد الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله:

رغم أن علياً عليه السلام لم يكن فقيراً، بل كان من المتقدمين في الفلاحة والتجارة، وكان بيت مال المسلمين ممتلئاً بالذهب والفضة عندما كان هو الحاكم، ولكنه مع ذلك كان في لباسه وطعامه بسيطاً جداً، وزاهداً باللذائذ المادية، وكانت معاملته مع محبوبه تعالى تقوم على الاكتفاء بماهو ضروري للحياة من نصيبه مما يصله من فضله تعالى.

قميص الإمام علي عليه السلام:

يقول عبد الله بن هذيل:

١- كشف الغمة:١٦٢/١؛ كشف اليقين:٨٥؛ بحار الأنوار :٣٣٠/٤٠، باب ٩٨، حديث ١٣.

رأيتُ على عَلِي عليه السلام قَميصاً زرياً إذا مَدّه بلغَ الظفْر، وإذا أرسَلهُ كان معَ نِصف الذِراع[١].

ويقول عمر بن عبد العزيز الذي كان يحاول التظاهر بين الناس بالزهد:

ماعَلمنا أنَّ أحداً كان في هَذهِ الأمة بعدَ النَّبي صلى الله عليه وآله أزهد من عَلي بن أبي طالِب[٢].

طعام الإمام علي عليه السلام:

يقول سويد بن غفلة:

دخلتُ علَى علِي بن أبي طَالِب القصرَ، فَوجدتُه جالساً وبينَ يديهِ صَحيفة فِيها لَبَن حازر أجدُ ريحَه مِن شدةِ حُموضته وفي يدهِ رغيفٌ أرى قشارَ الشَّعير في وجْههِ، وهو يَكسرُه بيدهِ أحياناً فإذا غَلبه كسَره بِركبتهِ وطرحَه فيهِ، فقالَ: أدنُ وأصبْ مِن طعامِنا هَذا، فقلتُ: إنّي صَائم، فقالَ: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقولُ: مَن منعَه الصَّوم من طعامٍ يشتهيهِ كانَ حقاً على الله أن يَطعمه مِن طعامِ الجَنة، ويَسقيه من شَرابها، قالَ: فقلتُ لجاريَتهِ وهيَ قائمة بقَريب مِنه، ويْحَك يافضة ألا تتَّقين الله فِي هَذا الشيخ، ألاتَنْخلون لهُ طَعاماً مما أرى فيهِ مِن النخالة؟ فَقالتْ: لقدْ تقدمَ إلَيْنا أن لاننخل لهُ طعاماً، قالَ عليه السلام: ماقلتَ لَها، فأخبَرتُه، فقالَ: بأبِي وأُمّي من لَمْ يُنخل له طعامٌ، ولمْ يَشبع مِن خُبز البرّ ثلاثة أيامٍ حتى قَبضَه الله عزَّوجل[٣]!.

١- كشف الغمة: ١٦٢/١؛ بحار الأنوار: ٣٣٠/٤٠، باب ٩٨، حديث ١٣.

٢- كشف اليقين: ٨٦؛ بحار الأنوار: ٣٣٠/٤٠، باب ٩٨، حديث ١٣.

٣- كشف الغمة: ١٦٣/١؛ بحار الأنوار: ٣٣١/٤٠، باب ٩٨، حديث ١٣.

يقول «وفائي»:

ماذا يحدث لو ألقيت علينا نظرة يابطل «لافتى»، فتحول نحاس قلوبنا المظلمة إلى ذهب.

اليمن آية من عقيقك والمرج رواية عن وجهك.

السكر حكاية عن فمك تفتح سوسنه مثل وردة جديدة.

أنت مِلك عرش الولاية وأنت قمر منبر الهداية، ماذا لو ألقيت أحياناً نظرة عناية على المتسول.

أنت باب لمدينة علم النبي وأفضل من جميع الأنبياء، أنت غضنفر وأنت صفدر عندما تكون في ساحة المعركة.

أنت الذي وضعت قدمك على كتف النبي فرميت جميع الأصنام عن الحرم، والحرم محترم لوجودك، أنت حامل لواء الدين.

انظر إلى «وفائي» الخاطئ فإن كل كلامه كان من الله، خوف أن تترك يده من رجاء نيل عطائه.

الإمام علي عليه السلام والخياط:

دخل علي عليه السلام يوماً السوق وهو أمير المؤمنين فاشترى قميصاً بثلاثة دراهم ونصف، فلبسه في السوق فطال أصابعه فقال للخياط: قصه، فقصه وقال الخياط:

أحوصه[١] ياأمير المؤمنين، قال: لا، ومشى والدرّة على كتفه وهو يقول: شرعك[٢] مابلغك المحل، شرعك مابلغك المحل[٣]!.

وخرج يوماً وعليه إزار مرقوع فعوتب عليه، فقال: يخشع القلب بلبسه ويقتدي بي المؤمن إذا رآه علي[٤].

سيف الإمام علي عليه السلام:

دخل علي عليه السلام يوماً السوق ليبيع سيفه، وكان ينادي: من يشتري مني هذا السيف الذي لطالما كشف الغم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ولو كان عندي ماأشتري به قميصاً مابعته[٥].

بيت المال والإمام علي عليه السلام:

يقول هارون بن عنترة:

حدَّثني أبي قالَ: دخَلتُ على عَلِي بن أبي طالِب عليه السلام بالخورنق[٦] وهو يرعدُ تحتَ سَمل قطيفةٍ، فقلتُ: ياأمير المؤمنين إنَّ الله تعالى قَد جَعل لك ولأهل بيتك

١- [أي أخيطه، من الخياطة].

٢- [أي حسبك وكفاك].

٣- كشف الغمة: ١٦٥/١؛ بحار الأنوار: ٣٣٣/٤٠، باب ٩٨، حديث ١٤.

٤- كشف الغمة: ١٧٤/١؛ بحار الأنوار: ٣٣٤/٤٠، باب ٩٨، حديث ١٥.

٥- كشف اليقين: ٨٧؛ بحار الأنوار: ٣٣٤/٤٠، باب ٩٨، حديث ١٥.

٦- [موضع في الكوفة].

فِي هَذا المالِ مايعمّ وأنت تصنَع بنفسِك ماتصنَع؟ فقالَ: والله ماأرزاكم[١] من أمْوالكم شيئاً، وإنَّ هذه لَقطيفتي التي خَرجت بِها من مَنزلي من المدينة ماعِندي غَيرها[٢].

إطعام الإمام علي عليه السلام:

يقول الواحدي في تفسيره:

إنَّ علياً عليه السلام آجَر نفسَه ليلة إلى الصُّبح يَسقي نخلاً بشَيء من شَعير، فلما قَبَضه طَحن ثُلثه واتخذوا مِنه طعاماً، فلما تمَّ أتى مِسكين فأخرجُوا إليه الطعامَ وعَملوا الثلثَ الثانِي، فأتاهُم يتيمٌ فأخرَجوه إليه وعمِلوا الثلثَ الثالثَ، فأتاهمْ أسيرٌ فأخرَجوا الطَّعام إليهِ وطوى عليٌّ وفاطِمة والحَسن والحُسين عليهم السلام، وعَلم الله حُسن مقصدِهم وصِدق نياتهمْ، وأنهُم إنما أرادوا بما فَعلوه وجهَه، وطَلبوا بما أتوه ماعِنده، والتمَسوا الجزاءَ مِنه عزَّوجل، فأنزلَ الله فِيهم قرآناً، وأولاهُم من لَدنه إحساناً، ونشَرَ لهم بين العالَمين ديواناً، وعوَّضهم عَما بَذلوا جِناناً وحُوراً وولداناً، فقالَ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[٣]، إلى آخرها[٤].

يقول «شمس تبريزي»:

منذ كان العالم موجوداً كان علي، ومنذ كانت الأرض وكان الزمان كان علي.

١- [رزأه ماله: نقصه].

٢- كشف الغمة: ١٧٣/١؛ بحار الأنوار: ٣٣٤/٤٠، باب ٩٨، حديث ١٥.

٣ ـ الإنسان ٧٦: ٨.

٤- كشف الغمة: ١٦٩/١؛ بحار الأنوار: ٢٤٤/٣٥، باب ٦، حديث ٥.

المِلك الذي كان ولياً وكان وصياً هو علي، سلطان السخاء والكرم والجود علي.

صار آدم مسجوداً للملائكة بسبب علي، آدم كان قبلة وأما المسجود له فهو علي.

علي كان هو آدم وهو شيث وهو أيوب وهو إدريس وهو يوسف وهو يونس وهو هود.

وكان هو موسى وهو عيسى وهو الخضر وهو إلياس وهو صالح وهو داوود.

ذاك الأسد البطل الذي لم يلوث إصبعه لطمع نفسه من مائدة الدنيا هو علي.

كاشف القرآن الذي تحدث الله في كل القرآن عن عصمته وأثنى عليه هو علي.

ذلك العارف السجَّاد الذي زاد تراب بابه من عظمة وقدر العرش هو علي.

ذاك المِلك المنتصر الذي لم تسترح يمينه إلى أن قوي الإسلام هو علي.

فاتح القلعة الذي ألقى باب خيبر برمية واحدة وانتصر هو علي.

نظرت في الآفاق ورأيت يقيناً أن علياً هو الموجود في الجميع.

ليس هذا كفراً، فليس هذا كلام كفر، فمادام الوجود فَعَليٌ موجود ومنذ ماكان الوجود فَعَليٌ موجود.

هو سرُّ العالَمَين جميعاً سواء الظاهر والباطن، و«شمس الحق تبريز» إذ يظهر ويخبر عن هذا فهو يخبر عن علي.

إنفاق الإمام علي عليه السلام:

وذكر الواحدي في تفسيره أيضاً:

عن ابن عباس، قال: إن عليَّ بن أبي طالب كانَ يملكُ أربعةَ دَراهم فتصدقَ بدِرهم ليلاً، وبدرهمٍ نهاراً، وبدرهمٍ سراً، وبدرهمٍ علانية، فأنزل الله سبحانه فيه:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١][٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مَن أرادَ أنْ ينظرَ إلى آدمَ في عِلمه، وإلى نوح في فَهمه، وإلى يَحيى بن زكريا في زهدِه، وإلى موسى بن عمران في بطشِه، فلينظرْ إلى علي بن أبي طالب»[٣].

وقال الإمام المجتبى عليه السلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام:

لقدْ فارقكَم رجُلٌ بالأمسِ لمْ يسبِقه الأولون بعلمٍ، ولمْ يُدركه الآخرون، كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله يَبعثه بالرايةِ، جبرئيلُ عن يَمينه وميكائيلُ عن شِماله، لاينصَرِف حَتى يُفتح لَه[٤].

علم الإمام علي عليه السلام:

لقد كان علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم الناس فلامثيل له في عالم الخلقة، وقد كان العلم الذي أتحفه الله به كالبحر لاساحل له، فالخطبة الأولى

١ـ البقرة ٢: ٢٧٤.

٢ـ كشف الغمة: ١٧٧/١؛ بحار الأنوار: ٦١/٣٦، باب ٣٦، حديث ٦.

٣ـ كشف اليقين:٥٢؛ كشف الغمة:١١٣/١؛ بحار الأنوار: ٣٨/٣٩، باب ٧٣، حديث ١٠.

٤- الإرشاد: ٢/٧؛ كشف الغمة: ٥٣٣/١؛ بحار الأنوار: ٨٧/٤٠، باب ٩١.

من كتاب «نهج البلاغة» في التوحيد تدل على علمه الذي لامثيل له بحقائق عالم الخلقة والخالق.

وينقل الصدوق عن الأصبغ بن نباتة:

لمَّا جلسَ عليٌّ عليه السلام في الخِلافة وبايعهُ النَّاسُ خرجَ إلى المسْجد مُتعمماً بِعمامة رَسولِ صلى الله عليه وآله لابِساً بردةَ رسُولِ الله صلى الله عليه وآله مُتنعلاً نعلَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، مُتقلداً سيفَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله فصعدَ المنبرَ فجلسَ عليه السلام عَليه مُتمكناً، ثُم شَبك بينَ أصابعهِ فَوضعها أسفلَ بطنهِ، ثُم قال: يامعشَرَ النَّاس سَلوني قبلَ أنْ تَفقدوني، هَذا سَفَط العلمِ، هَذا لُعاب رَسولِ الله صلى الله عليه وآله، هَذا مازقَّني رسُول الله صلى الله عليه وآله زَقاً زقاً، سَلوني فإن عِندي عِلْم الأولِين والآخِرين، أمَا والله لو ثُنيت لِي الوسَادة فجلسْتُ علَيها لأفتيتُ أهلَ التوراةِ بتوراتِهم حَتى تنطقُ التوراةُ فَتقول: صَدق عليٌّ ماكذبَ، لقد أتاكمْ بِما أنزلَ الله فيّ، وأفتيتُ أهلَ الإنجيل بإنجيلِهم حتى يَنطق الإنْجيلُ فيقول: صَدق عليٌّ ماكذب، لقدْ أفتاكُم بِما أنزل الله فِيّ، وأفتيتُ أهلَ القرآنِ بقرآنهمْ حتى يَنطقُ القرآنُ فيقولُ: صَدق عليٌّ ماكذب، لقدْ أفتاكمْ بما أنزلَ الله فِيّ، وأنتمْ تتلونَ القرآنَ ليلاً ونهاراً، فهلْ فيكُم أحدٌ يعلمُ ما نزلَ فيه، وَلولا آية فِي كتابِ الله لأخبَرتكُم بما كانَ، وبما يَكون، وماهوَ كَائن إلى يَوم القِيامة، وهيَ هذه الآية:

﴿يَمْحُوا اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1].

ثم قال:

١ـ الرعد ١٣: ٣٩.

«سَلُوني قَبلَ أن تَفقدوني، فَوالله الذيْ فلقَ الحبَّة وبَرأ النَّسْمة لو سَألتموني عنْ آيةٍ آيةٍ في لَيل أُنزلتْ أو في نَهار أُنزلت، مَكيّها ومَدنيّها، سَفريّها وحَضريّها، ناسِخها ومنسُوخها، مُحكمها ومُتشابهها، وتَأويلها وتَنزيلها لأَخْبَرتكم»[1].

وأورد الصدوق في «**معاني الأخبار**» خطبة عنه عليه السلام قال فيها:

أنا الهَادي، أنا المُهتدي، وأنا أبو اليَتامى والمسَاكين، وزَوج الأرامِل، وأنا مَلجأ كلِّ ضعيفٍ، ومأمنُ كلِّ خائفٍ، وأنا قائدُ المؤمنينَ، وأنا حبلُ الله المتين، وأنا عروةُ الله الوثقَى، وكلمةُ الله التقوى، وأنا عينُ الله، ولسَانُه الصَّادق، ويدهُ، وأنا جَنب الله الذيْ يقول:

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللّه﴾[2].

وأنا يدُ الله المبسُوطة على عبادهِ بالرحمةِ والمغفرةِ، وأنا بابُ حطَة منْ عَرَفني وعَرف حقِي فقدْ عَرفَ ربَه لأَنّي وصيّ نبيه فِي أرضِه وحُجته على خَلقه، لاينكِر هذا إلا رادٌ على الله وعلى رَسولهِ[3].

ومن أجل معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بشكل أفضل فإنه يمكنكم الرجوع إلى كتب: «**إحقاق الحق**»، و «**الغدير**»، و «**العبقات**»، و «**بحار الأنوار**»، و «**الإمام علي**»

١ـ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٣٤١، المجلس الخامس والخمسون، حديث ١؛ التوحيد: ٣٠٤، باب ٤٣، حديث ١؛ بحار الأنوار: ١١٧/١٠، باب ٨، حديث ١.

٢ـ الزمر ٣٩: ٥٦.

٣ـ معاني الأخبار: ١٧، حديث ١٤؛ بحار الأنوار: ٣٣٩/٣٩، باب ٩٠، حد ١٠.

لعبد الفتاح، و «**صوت العدالة**» لجورج جرداق، و «**شروح نهج البلاغة**»، وخاصة مقدمة ابن أبي الحديد، وكذلك الرجوع إلى مئات الكتب المعروفة والمشهورة الأخرى، كي تتضح لكم أكثر بعض الجوانب من شخصية الإمام علي عليه السلام، ويتبين لكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقدم عبثاً وبلا أمر على تنصيبه يوم الغدير إماماً للمسلمين حتى يوم القيامة، نعم، إنه هو فقط الذي كان يحمل أهلية خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله والإمامة من جميع الجهات، ولم يكن من المعقول ولامن المنطقي أن يستلم، ورغم وجوده هو، شخص آخر زعامة الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو لاعلم له بالقرآن الكريم وهو القانون الأساسي للإسلام، ولايملك حتى العلم العادي !.

إن الذين يقولون بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يعين خليفة من بعده، وأنه ترك أمر الخلافة لانتخاب الأمة، يقولون كذبة لم تسمع مثلها إلى الآن، ولن تسمع مثلها في المستقبل أيضاً، ولاشك أن كل ماوقع ويقع من ظلم وجناية وخيانة ومعصية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع العالم وإلى يوم القيامة فإنه على عاتق أولئك الكذابين، وأنا لاأدري إلى أي مقدار كان عمى أبصارهم وصمم آذانهم وقساوة قلوبهم وظلمها، ألم يطلع هؤلاء على آلاف الكتب للشيعة والسنة في هذا المجال، ولوقلنا أنهم لم يطلعوا لكنا كاذبين مثلهم، نعم، لقد اطلعوا وعرفوا، ولكن والله إنهم لشدة حسدهم وحقدهم ونفاقهم بالنسبة للحق والحقيقة فهم معاندون لاشك ولاترديد في ذلك !!.

إن ماتجلى من المحاسن والفضائل والكمالات والحقائق في علي عليه السلام قد تجلى في الأئمة الأحد عشر عليهم السلام من بعده، ويمكنكم مراجعة الكتب المرتبطة

بهذا الشأن لمطالعة ومشاهدة الوجه النوراني لهم عليهم السلام، فلايتسع المجال هنا لبيان جوانب شخصياتهم العظيمة.

حقيقة إنه لاروح له كل من لاحبيب له، فكل من لاحبيب له لاروح له حقيقة.

من هو المعشوق الذي لايشعر القلب بالسكينة بدون عشقه، ومن هو الحبيب الذي لايطمئن الإنسان بدون حنانه.

إنه المرتضى بطل الولاية وأسد الله وزوج الزهراء.

إن ألم الجسم دواؤه عند الأطباء ولكن ألم الروح لادواء له إلا تولي علي.

أي من الأنبياء والأولياء والأوصياء الطاهرين من لايتمسك بحجزة المرتضى.

فبدون علي تغرق سفينة البشر في بحر الطبيعة، وهل تصل السفينة إلى الساحل بلا ربّان.

حقاً إنه بعد ماصدر من أحمد ماصدر من قضايا الغدير، فكل من لايرى علياً خليفة فإنه لاوجدان له.

الباب

(٧٠)

في بيان حرمة المسلمين

قالَ الصّادِقُ عليه السلام:

لايُعَظِّمُ حُرْمَةَ الْمُسْلِمينَ إلاّ مَنْ قَدْ عَظَّمَ اللّهُ حُرْمَتَهُ عَلَى الْمُسْلِمينَ، وَمَنْ كانَ أَبْلَغَ حُرْمَةً لِلّهِ وَرَسُولِهِ كانَ أَشَدَّ حُرْمَةً لِلْمُسْلِمينَ، وَمَنِ اسْتَهانَ بِحُرْمَةِ الْمُسْلِمينَ فَقَدْ هَتَكَ سِتْرَ إيمانِهِ.

قالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله: إنَّ مِنْ إجْلالِ اللّهِ تَعالى إعْظامَ ذِي الْقُرْبى فِي الإسْلامِ.

وَقالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغيراً وَلا يُوَقِّرْ كَبيراً فَلَيْسَ مِنّا.

وَلا تُكَفِّرْ مُسْلِماً بِذَنْبٍ تُكَفِّرُهُ التَّوْبَةُ إلاّ مَنْ ذَكَرَهُ اللّهُ في الْكِتابِ قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿إِنَّ الْمُنافِقينَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النّارِ﴾[1] وَاشْتَغِلْ بِشَأْنِكَ الَّذي أَنْتَ بِهِ تُطالَبُ.

١ـ النساء ٤: ١٤٥.

«لاَيُعَظِّمُ حُرْمَةَ الْمُسْلِمينَ إلاَّ مَنْ قَدْ عَظَّمَ اللّهُ حُرْمَتَهُ عَلَى الْمُسْلِمينَ، وَمَنْ كانَ أَبْلَغَ حُرْمَةً لِلّهِ وَرَسُولِهِ كانَ أَشَدَّ حُرْمَةً لِلْمُسْلِمينَ، وَمَنِ اسْتَهانَ بِحُرْمَةِ الْمُسْلِمينَ فَقَدْ هَتَكَ سِتْرَ إيمانِهِ»

حرمة المسلمين:

يشير الصادق عليه السلام في هذا الباب إلى مسألة عظمة المسلمين وحرمتهم، وهي الحرمة والعظمة التي جعلها الله تعالى لعباده المسلمين.

وحفظ حرمة المسلمين عبارة عن مراعاة مجموعة من الحقائق الأخلاقية تجاههم، وهي عبارة عن حرمة الغيبة والتهمة والافتراء والسخرية تجاههم، وضرورة التواضع تجاههم، ومساعدتهم، وإعانة المحتاج والفقير والمسكين منهم، وزيارتهم، ورعاية يتيمهم، ورفع مشاكلهم، ونصرتهم إذا طلبوا النصرة، وإرشادهم إلى المعروف، ومنعهم من المنكر، وإصلاح مابينهم، ومعونتهم في الأمور المادية والمعيشية، فتعظيم حرمتهم يشمل كل هذه الأمور الأخلاقية والاجتماعية، وكل من لم يهتم من المسلمين بهذه الأمور تجاه المؤمنين الآخرين فهو بحسب كلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ليس من المسلمين. وقد نقل

حكيم شيراز المحقق رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وردت في الكتب الروائية بهذا المضمون:

«مَثَلُ المُؤْمِنين في تَوادِّهِمْ وتَراحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إذا اشْتَكى بَعْضُهُ تداعى سائِرُهُ بِالسَّهَرِ وَالْحمّى»[1].

وكم هوَ جميل المعنى كما صوره «سعدي الشيرازي» في شعره المجموع ضمن ديوانه «گلستان»:

بنو آدم أعضاء لجسد واحد، فهم في خلقتهم من جوهر واحد.

فإذا تألم عضو يوماً ما، فإن بقية الأعضاء تقلق لأجله.

فإذا لم تكن مغموماً لمحن الآخرين، فلاينبغي تسميتك ابن آدم.

يقول الإمام الصادق عليه السلام بأن حرمة المسلمين إنما يرعاها من أعزه الله تعالى وعظَّم حرمته عند المسلمين، وذلك بسبب فضائله، وهذا كناية عن أن من يتمتع بالكرامة والإنسانية والعزة هو الذي يرى للمسلمين حرمة وعظمة.

فكل من يهتم أكثر بحفظ حرمة الله ورسوله صلى الله عليه وآله يكون حافظاً لحرمة وعزة المسلمين أكثر من غيره، وذلك لأنه يرى حرمة المؤمن من حرمة الله ورسول الله صلى الله عليه وآله، وكل من يكون بصدد الاستخفاف والاستهزاء بالمسلمين فهو في الحقيقة يعمل على تخريب بناء حرمة إيمانه والذي هو الإيمان بالله والأنبياء والقيامة، وذلك لأن الاستخفاف بحرمة المسلمين استخفاف بحق الأنبياء والأولياء الإلهيين.

١ـ بحار الأنوار: ١٥٠/٥٨، باب ٤٣، حديث ٥٢٩.

«قالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله: إنَّ مِنْ إجْلالِ اللّهِ تَعالى إعْظامَ ذِي الْقُرْبى فِي الإسْلامِ.
وقالَ النّبيُّ صلى الله عليه وآله: مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغيراً وَلا يُوَقِّرْ كَبيراً فَلَيْسَ مِنّا»

إجلال ذي القربى:

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

إن من فروع تعظيم الله تعالى إجلال ذي القربى في الإسلام.

بمعنى أن رعاية حق الزهراء عليها السلام، وحفظ حرمة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وتعظيم الفقيه الجامع للشرائط، والعالم الرباني، هذا كله تعظيم للحق تعالى.

وكذلك يقول صلى الله عليه وآله بأن من لايرحم أطفال المسلمين ولايحترم كبارهم فهو ليس من أمتي.

«وَلا تُكَفِّرْ مُسْلِماً بِذَنْبٍ تُكَفِّرُهُ التَّوْبَةُ إِلاّ مَنْ ذَكَرَهُ اللّهُ في الْكِتابِ قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النّارِ﴾[1] وَاشْتَغِلْ بِشَأْنِكَ الَّذي أَنْتَ بِهِ تُطالَبُ»

تكفير المسلمين:

لاتكفر المسلم بمحض ارتكاب ذنب، وإن كان الذنب كبيراً، فمادامت التوبة تمحو ذلك الذنب فلاتكفره، ولاتقل له بأنك قد خرجت من الدين وأصبحت كافراً، فهذا اعتداء خطير جداً على حرمة المسلم وكرامته، إلا إذا ارتد أحد المسلمين من الدين بشكل علني وواضح ومن باب العناد والجد، أو تلبس بالنفاق حيث يقول القرآن بأن من يظهر الإسلام بلسانه ولكن قلبه لايعتقد بذلك فهو في الدرك الأسفل من النار.

حقاً، أيها المسلم! انشغل في جميع حركاتك وسكناتك وأفعالك وأخلاقك بما طلبه الله تعالى منك، وإلا فإنك ستبتلى يوم القيامة بمؤاخذة شديدة من قِبل الله تعالى.

ولو علم الإنسان قيمة عمره، لما رضي بأن يصرف لحظة منه ولا أقل من ذلك في أمر باطل لافائدة منه، فمن يعرف قيمة العمر فإنه يصرف كل جهده وسعيه

١ـ النساء ٤: ١٤٥.

في العبادة والعمل الصالح وخدمة عباد الله في جميع أمور الحياة، فخدمة عباد الله طبقاً للآيات والروايات هي خدمة لله وعبادة له تعالى.

أيها العزيز اسمع هذه النصيحة الواضحة واغتنم وقتك في الشباب.

وابذل جهدك في عهد النشاط على الدوام في تهذيب الأخلاق وتحصيل العلم.

وإذا وردت عليك أيام عصيبة فلاتغتم ولاتجعلها تضيق عليك طريق الحياة.

ولابد من تحصيل علمين تحتاج إليهما في كل وقت.

أحدهما علم الأبدان والثاني علم الأديان فبهذا يحيا الإيمان وبذاك تحيا الأرواح.

حرمة المسلمين في الروايات:

وكما لاحظتم في شرح رواية هذا الباب فإن رعاية الحرمة معناها أداء حقوق المسلمين، والروايات والأخبار الواردة في تفسير هذه الحقيقة تموج كالبحر المتلاطم أمام عيني الإنسان.

ولاشك في عدم إمكان الإشارة إلى جميع روايات هذا الباب في هذه الأوراق، ولذا نكتفي بنقل بعض الروايات من كتابي «**الكافي**» و «**بحار الأنوار**» المعتبرين:

عَنْ أَبي عَبْدِاللّهِ عليه السلام قالَ: «قالَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ أَصْبَحَ ولا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ»[1].

يقول العلامة المجلسي رحمه الله في شرح هذه الرواية:

١ـ الكافي: ١٦٣/٢، باب الاهتمام بأمور المسلمين، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٣٣٧/٧١، باب ٢٠، حديث ١١٦.

أي لايعزم على القيام بها ولايقوم بها مع القدرة عليها، فليس كامل الإسلام، ولايستحق هذا الاسم، وإن كان المراد عدم الاهتمام بشيء من أمورهم لايبعد سلب الاسم حقيقة لأن من جملتها إعانة الإمام ونصرته ومتابعته، وإعلاء الدين وعدم إعانة الكفار على المسلمين، وعلى التقادير المراد بالأمور أعم من الأمور الدنيوية والأخروية [١].

وعن الصادق عليه السلام أيضاً: قالَ رَسولُ اللّهُ صلى الله عليه وآله: «أَنْسَكُ النّاس نُسْكاً أَنْصَحُهُمْ جَيْباً وَأَسْلَمُهُمْ قَلْباً لِجَميعِ المُسْلِمينَ» [٢].

وفي رواية أخرى يقول الراوي: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«عَلَيْكَ بِالنُّصْحِ لِلّهِ في خَلْقِهِ، فَلَنْ تَلْقاهُ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْهُ» [٣].

وفي رواية أخرى:

عَنْ أَبي عَبْدِاللّهِ عليه السلام قالَ: قالَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: «اَلْخَلْقُ عِيالُ اللّهِ فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلى اللّهِ مَنْ نَفَعَ عِيالَ اللّهِ وَأَدْخَلَ أَهْلَ بَيْتٍ سُروراً» [٤].

سُئِلَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَحَبُّ النّاسِ إِلى اللّهِ؟ قالَ: أَنْفَعُ

١ـ بحار الأنوار: ٣٣٧/٧١، باب ٢٠، ذيل حديث ١١٦، بتصرف.

٢ـ الكافي: ١٦٣/٢، باب الاهتمام بأمور المسلمين، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٣٤٠/١٦، باب ٢١، حديث ٢١٧٠٩

٣ـ الكافي: ١٦٤/٢، باب الاهتمام بأمور المسلمين، حديث ٣؛ بحار الأنوار: ٣٣٨/٧١، باب ٢٠، حديث ١١٨.

٤ـ الكافي: ١٦٤/٢، باب الاهتمام بأمور المسلمين، حديث ٦؛ وسائل الشيعة: ٣٤١/١٦، باب ٢٢، حديث ٢١٧١٢.

النّاسِ لِلنّاسِ»[١].

قالَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ رَدَّ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمينَ عادِيَةَ ماءٍ أَوْ نارٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ[٢].

إذا أكرمت في يوم العجز المحتاجين فقد حملت راية قدر المروءة عند العجز.

لاتمحى وتثبت في دفتر مستقبلك إذا قدمت خدمة لمحتاج ولو بمقدار خطوة.

بكل شخص ترشده تجد طريقك وبظلمك لأي نفس فأنت تظلم نفسك.

كل يد تأخذها لتساعدها تكون عصا شيخوختك وكل شجرة تكسرها تكون قد كسرت شجرتك.

إذا آذيت قلباً بأهوائك النفسانية فقد أدرت ظهرك للصمد وتوجهت إلى الصنم.

لايبقى في هذه الدنيا الفانية سوى السمعة الحسنة ومهما قلت بأنك قد عملت حسناً فهو قليل أيضاً.

عَنْ أَبي عَبْدِاللّهِ عليه السلام قالَ: قالَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: «مِنْ إِجْلالِ اللّهِ إِجلالُ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ»[٣].

١ـ الكافي: ١٦٤/٢، باب الاهتمام بأمور المسلمين، حديث ٧؛ وسائل الشيعة: ٣٤١/١٦، باب ٢٢، حديث ٢١٧١٣.

٢ـ الكافي: ١٦٤/٢، باب الاهتمام بأمور المسلمين، حديث ٨؛ مشكاة الأنوار: ١٨٢، الفصل الرابع والعشرون.

٣ـ الكافي: ١٦٥/٢، باب إجلال الكبير، حديث ١؛ بحار الأنوار: ١٣٨/٧٢، باب ٥٣، حديث ٢.

قالَ أبو عَبْدِاللّهِ عليه السلام: «لَيْسَ مِنّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبيرَنا وَيَرْحَمْ صَغيرَنا»[١].

قالَ أبو عَبْدِاللّهِ عليه السلام: «عَظِّموا كِبارَكُمْ وَصِلوا أَرْحامَكُمْ، وَلَيْسَ تَصِلونَهُمْ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ كَفِّ الأَذى عَنْهُمْ»[٢].

قالَ أَبو عَبْدِاللّهِ عليه السلام: «اَلْمُسْلِمُ أَخو الْمُسْلِمِ هُوَ عَيْنُهُ وَمِرْآتُهُ وَدَليلُهُ لا يَخونُهُ وَلا يَخْدَعُهُ وَلا يَظْلِمُهُ وَلا يُكَذِّبُهُ وَلا يَغْتابُهُ»[٣].

حق المؤمن على المؤمن:

عن أبي المأمون الحارثي قال:

قلتُ لأبي عَبدِ الله عليه السلام ما حَق المؤمن علَى المؤمن؟. قال: إن مِن حقِّ المُؤمن علَى المُؤمن المَودة لَه فِي صَدره، والمواسَاة له فِي مَاله، وَالخلف لَه فِي أهله، والنُصرة له عَلى مَن ظلمَه، وإن كانَ نافلَة فِي المسْلِمين وكان غَائباً، أخذَ له بنَصيبهِ، وإذا مَات الزِّيارة إلى قَبره، وأنْ لا يَظلمه وأن لا يَغشه وأن لا يخُونه وأنْ لا يَخذله وأن لا يَكذِبه وأن لا يَقول له أُف وإنْ قالَ له أف فَليس بينهما ولايَة، وإذا قالَ له أنتَ عدويْ فَقد كَفر أحدهما، وإذا اتهمَه انماثَ الإيمانُ في قَلبه كما ينماثُ الملحُ في الماءِ[٤].

١ـ الكافي: ١٦٥/٢، باب إجلال الكبير، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٩٨/١٢، باب ٦٧ ، حديث ١٥٧٤٢.

٢ـ الكافي: ١٦٥/٢، باب إجلال الكبير، حديث ٣؛ بحار الأنوار: ١٣٩/٧٢، باب ٥٣ ،حديث ٤.

٣ـ الكافي: ١٦٦/٢، باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض، حديث ٥؛ وسائل الشيعة : ٢٠٤/١٢، باب ١٢٢، حديث ١٦٠٩٤.

٤- الكافي: ١٧١/٢، باب حق المؤمن على أخيه، حديث ٧؛ بحار الأنوار: ٢٤٨/٧١، باب ١٥، حديث ٤٥.

الشيعي الواقعي:

يقول محمد بن عجلان: كنتُ عندَ أبي عَبد الله عليه السلام فدخلَ رجلٌ فسلمَ، فسألهُ كيفَ من خلفتَ مِن إخْوانك قال: فأحسنَ الثناءَ وزكى وأطْرى، فقالَ لَه: كيفَ عِيادة أغْنيائهم على فُقَرائهم؟ فقالَ قَلِيلة، فقالَ: كيفَ مُشاهدة أغنيائهمْ لِفقرائهمْ؟ قالَ: قليلَة، فقالَ: كيفَ صِلَة أغنيائهمْ لِفقرائهمْ في ذاتِ أيديهمْ؟ فقالَ: إنكَ لَتَذكرُ أخلاقاً قلَّ ما هِيَ فيمنْ عِنْدنا، قَال: فَقال: كيفَ تزعمُ هَؤلاء أنهم شِيعة[1].

كانَ أَبوجَعْفَرٍ يَقولُ: «عَظِّموا أَصْحابَكُمْ وَوَقِّرُوهُمْ وَلا يَتَجَهَّمَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَلا تَضارُّوا وَلا تَحاسَدوا وَإِيّاكُمْ وَالْبُخْلَ كونوا عِبادَ اللّهِ الْمُخْلِصينَ»[2].

يقول «عماد فقيه كرماني»:

أيها القلب اطلب الفرج من حضرة الكبرياء واطلب إخلاصاً رادعاً وخلاصاً من الرياء. وتسول شيئاً من صدر أصحاب القلوب أو اطلب همة من خواطر أهل الصفاء. واطلب الشفاء لآلام روح المحبين واطلب الدواء للأسى المخفي لمتعبي القلوب. قد حان وقت الطرب فابحث عن الخلاص من التعب والأمل راحة فاطلب النجاة من البلاء. امدد يد الحاجة إذا كنت من أهل الحاجة فإذا لم يعط الغريب فاطلب من الحبيب. إذا أردت أن تصبح مستغنياً عن نسيم المسك فاطلب

١- الكافي: ١٧٣/٢، باب حق المؤمن على أخيه، حديث ١٠؛ وسائل الشيعة: ٤٢٨/٩، باب ٢٧، حديث ١٢٤٠٤

٢ـ الكافي: ١٧٣/٢، باب حق المؤمن على أخيه، حديث ١٢؛ بحار الأنوار: ٢٥٤/٧١، باب ١٥، حديث ٥٠.

رائحة من ضفائر شعره من الصبا. واطلب رسالة مَلِك الصفوة وإذن الرضا من المصطفى والمرتضى.

وعن أبي عَبْدِاللّهِ عليه السلام يَقولُ لأَصْحابِهِ: «اِتَّقوا اللّهَ وَكُونُوا إِخْوَةً بَرَرَةً مُتَحابّينَ فِي اللّهِ مُتَواصِلينَ مُتَراحِمينَ تَزاوَروا وَتَلاقَوا، تَذاكَروا أَمْرَنا وَأَحْيُوهُ»[1].

عَنِ الصّادِقِ عليه السلام عَنْ آبائِهِ عليهم السلام قالَ: قالَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: «كُلُّ مَعْروفٍ صَدَقَةٌ وَالدّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفاعِلِهِ وَاللّهُ يُحِبُّ إِغاثَةَ اللَّهْفانِ»[2].

عَنِ الصادِقِ عليه السلام قالَ: «مَنْ أَرادَ أَنْ يُدْخِلَهُ اللّهُ عَزَّوَجَلَّ في رَحْمَتِهِ وَيُسْكِنَهُ جَنَّتَهُ فَلْيُحْسِنْ خُلْقَهُ وَلْيُعْطِ النِّصْفَةَ مِنْ نَفْسِهِ وَلْيَرْحَمِ الْيَتيمَ وَلْيُعِنِ الضَّعيفَ وَلْيَتَواضَعْ لِلّهِ الَّذي خَلَقَهُ»[3].

وفي خَبَرِ مَناهِي النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قالَ: «أَلا وَمَنْ فَرَجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا فَرَّجَ اللّهُ عَنْهُ اثْنَيْنِ وَسَبْعينَ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الآخِرَةِ وَاثْنَيْنِ وَسَبْعينَ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا أَهْوَنُهَا الْمَغْصُ»[4].

١ـ الكافي: ١٧٥/٢، باب التراحم والتعاطف، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٤٠١/٧١، باب ٢٨، حديث ٤٥.

٢ـ الكافي: ٢٧/٤، باب فضل المعروف، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٢٨٦/١٦، باب ١، حديث ٢١٥.

٣ـ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٣٨٩، المجلس الحادي والستون، حديث ١٥؛ بحار الأنوار: ٣٧٠/١٦، باب ٣٨، حديث ١٢.

٤ـ من لا يحضره الفقيه: ١٥/٤، باب ذكر جمل من مناهي النبي صلى الله عليه وآله، حديث ٤٩٦٨؛ بحار الأنوار: ١٨/٧٢، باب ٣٣، حديث ٨

قالَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله:

«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ نَشَرَ اللّهُ عَلَيْهِ كَنفَهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ في رَحْمَتِهِ: حُسْنُ خُلُقٍ يَعيشُ بِهِ فِي النّاسِ، وَرِفْقٌ بِالْمَكْروبِ، وَشَفَقَةٌ عَلَى الْوالِدينِ وَإِحْسانٌ إِلَى الْمَمْلوكِ»[1].

عَنْ أَبي عَبْدِاللّهِ عليه السلام قالَ: «أَرْبَعَةٌ يَنْظُرُ اللّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ: مَنْ أَقالَ نادِماً، أَوْ أَغاثَ لَهْفانَ، أَوْ أَعْتَقَ نَسَمَةً، أَوْ زَوَّجَ عَزَباً»[2].

إدخال السرور على المؤمن:

قالَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: «مَنْ سَرَّ مُؤْمِناً فَقَدْ سَرَّني وَمَنْ سَرَّني فَقَدْ سَرَّ اللّهَ»[3].

عَنْ أَبي عَبْدِاللّهِ عليه السلام قالَ:

«مِنْ أَحَبِّ الأَعْمالِ إِلَى اللّهِ عَزَّوَجَلَّ إِدْخالُ السُّرورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ: إِشْباعُ جوعَتِهِ أَوْ تَنْفيسُ كُرْبَتِهِ أَوْ قَضاءُ دَيْنِهِ»[4].

قضاء حاجة المؤمن:

١ـ الخصال: ٢٢٥/١، حديث ٥٧؛ بحار الأنوار: ١٩/٧٢، باب ٣٣، حديث ٩.

٢ـ الخصال: ٢٢٤/١، حديث ٥٥؛ وسائل الشيعة: ٤٦/٢٠، باب ١٢، حديث ٢٤٩٩٥.

٣ـ الكافي: ١٨٨/٢، باب إدخال السرور على المؤمنين، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٣٤٩/١٦، باب ٢٤، حديث ٢١٧٣٣.

٤ـ الكافي: ١٩٢/٢، باب إدخال السرور على المؤمنين، حديث ١٦؛ بحار الأنوار: ٢٩٧/٧١، باب ٢٠، حديث ٢٩.

عَنْ أبي عَبْدِاللّهِ عليه السلام قالَ:

«ما قَضى مُسْلِمٌ لِمُسْلِمٍ حاجَةً إلاّ ناداهُ اللّهُ تَبارَكَ وَتَعالى: عَلَيَّ ثَوابُكَ وَلا أَرْضى لَكَ بِدونِ الْجَنَّةَ»[1].

عنْ أبي بَصِير قال: قالَ أبو عَبدِ الله عليه السلام: «تنافَسوا في المَعروفِ لإخْوانكم وكُونوا مِن أهلِه فَإن للجَنة باباً يُقال لَه المَعْروف لا يدْخله إلا مَن اصْطنع المَعروفَ في الحَياة الدنْيا، فإنّ العَبد لَيمشِي في حَاجةِ أخِيه المؤمن فَيوكلُ الله عزَّوجل به مَلَكين: واحِداً عن يمِينه وآخَر عن شِماله، يَسْتغفرون له ربَّه، ويَدعون بقَضاءِ حَاجَته، ثُم قال: والله لَرَسول الله صلى الله عليه وآله أسرُّ بقضاءِ حاجةِ المُؤمِن إذا وصَلْت إليهِ منْ صَاحب الحَاجةِ[2].

عَنْ أبِي الْمُعْتَمِرِ قالَ: سَمِعْتُ أميرَالْمُؤْمِنينَ عليه السلام قالَ: قالَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله:

«أَيُّما مُسْلِمٍ خَدَمَ قَوْماً مِنَ الْمُسْلِمينَ إلاّ أَعْطاهُ اللّهُ مِثْلَ عَدَدِهِمْ خُدّاماً فِي الْجَنَّةِ»[3].

إذا كنا أنا وإياك يساعد بعضنا بعضاً في كل عمل يكون اتحادنا سبب للافتخار. وإذا لم تكن السماء مساعدة لنا فأي غم لذلك إذا لم نبتعد بعضنا عن بعض. ربما نضيء مثل نجوم السماء من نور المحبة محفل الليالي المظلمة. مادام يمكن أن

١ـ الكافي: ١٩٤/٢، باب قضاء حاجة المؤمن، حديث ٧؛ ثواب الأعمال: ١٨٨.

٢ـ الكافي: ١٩٥/٢، باب قضاء حاجة المؤمن، حديث ١٠؛ بحار الأنوار: ٣٢٨/٧١، باب ٢٠، حديث ٩٩.

٣ ـ الكافي: ٢٠٧/٢، باب في خدمته..، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٣٨٠/١٦، باب ٣٤، حديث ٢١٨١٤.

تكون المحبة فمافائدة العداوة والشوك والورد لايتساويان. ونحن لسنا أقل من أي أحد في العالم إذا كنا متعاونين في طريق الوفاء.

أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وآله:

عَنْ أَبي عَبْدِاللّهِ عليه السلام قالَ: قالَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَشْبَهِكُمْ بي؟ قالوا بَلى يا رَسولَ اللّهِ قالَ: أَحْسَنُكُمْ خُلْقاً وَأَلْيَنُكُمْ كَنَفاً وَأَبَرُّكُمْ بِقَرابَتِهِ وَأَشَدُّكُمْ حُبّاً لِإِخْوانِهِ في دينِهِ وَأَصْبَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَكْظَمُكُمْ لِلْغَيْظِ، وَأَحْسَنُكُمْ عَفْواً وَأَشَدُّكُمْ مِنْ نَفْسِهِ إِنْصافاً فِي الرِّضا وَالْغَضَبِ»[1].

معاشرة الناس:

يقول صاحب كتاب «**آداب المريدين**» في باب معاشرة الناس:

اعلم أن أول الصحبة المعرفة، ثم المودة، ثم الألفة، ثم العشرة، ثم المحبة، ثم الأخوة.

وقد قالوا: غذاء النفوس في العشرة، وغذاء القلوب في الصحبة، والصحبة لاتكون إلا باتفاق البواطن، يقول الله في صفة المنافقين:

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾[2].

وإذا اقترنت الصحبة بشرائطها فهي من أفضل الأحوال.

يقول إبراهيم بن شيبان:

١ـ الكافي: ٢٤٠/٢، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، حديث ٣٥؛ بحار الأنوار: ٣٠٦/٦٦، باب ٣٧، حديث ٢٨.

٢ـ الحشر ٥٩: ١٤.

إننا لانصاحب من ذكر، إلا إذا تعاهدنا فيما بيننا على مراعاة بعض الأمور، وعدم إهمالها، وأن لاتكون بيننا خصومة أو جدال أو استهزاء أو مضايقة أو مغالبة أو غيبة، بل كل واحد يكون تجاه من هو أكبر منه كالابن، وتجاه نظيره كالأخ، وتجاه الصغير كالأب، وتجاه الأستاذ كالعبد.

ومن آدابهم بعد اجتماعهم أن يجعلوا أحدهم مقدماً عليهم ليكون مرجعاً لهم، ويعتمدوا عليه في جميع الأحوال، والأولى بالتقديم هو أعقلهم، ثم أعلاهم همَّة، ثم أفضلهم حالاً، ثم أعلمهم بالمذهب، ثم الأقرأ فإن رسول الله قال: إمام القوم أقرؤهم بكتاب الله. وإذا استووا في جميع هذه الأمور فالمقدم يكون أفقههم، وإذا تساووا في الفقه فالأولى هو الأشرف، وإذا تساووا في الشرف فالأولى هو الأسن، وإذا تساووا في هذا أيضاً فالأولى هو الأقدم هجرة.

ولابد أن يكون خادمهم الأصدق في نيته والأكثر شفقة، وأن يكون حليماً وقوي القلب، وأكمل في ديانته وأمانته أيضاً.

وقد سئل أبو عثمان الحيري عن الصحبة فقال: ابذل مالك لصاحبك، ولاتطمع في ماله، وكن تبعاً له، ولاتطلب منه أن يكون تبعاً لك.

يقول «فيض»:

تعالِ ليكن كلٌّ منَّا مؤنساً لليالي الآخر ولنستغرق ثانية في النظر كلٌّ منَّا للآخر.

فلتجعل أنت من جمالك وأنا من نار قلبي المخفية مصباح زينة كلٌّ منَّا للآخر.

إن عيون الآخرين تتطلع باحثة عن عيوبنا فلاتسمح أن يُسقِط كلٌّ منا الآخر.

كيف يجد العدو طريقه بيننا إذا كان كلٌّ منا ينتظر إيماء الآخر.

بشكر فرح اليوم حيث قلوبنا حيَّة فلم لايتشارك كلٌّ منا مع الآخر في غم غده.

وحتى لا نضيع في وادي العشق فمن الجيد أن يصغي كلٌّ منَّا للآخر.

ولنبعد الرقيب علينا من أمام طريقنا كما نبعد الشوك وليفكر كلٌّ منَّا في جراح الآخر.

وإذ قد حلَّ الفراق من الحبيب بكى «صابر» وقال تعال ليكن كلٌّ منَّا مؤنساً لليالي الآخر.

الباب

(٧١)

في برِّ الوالدين

قالَ الصّادِقُ عليه السلام:

بِرُّ الْوالِدَيْنِ مِنْ حُسْنِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِاللّهِ تَعالى إِذْ لا عِبادَةَ أَسْرَعُ بُلُوغاً بِصاحِبِها إِلى رِضَى اللّهِ تَعالى مِنْ بِرِّ الْوالِدَيْنِ الْمُسْلِمَيْنِ لِوَجْهِ اللّهِ تَعالى لأَنَّ حَقَّ الْوالِدَيْنِ مُشْتَقٌّ مِنْ حَقِّ اللّهِ تَعالى إِذا كانا عَلى مِنهاجِ الدّينِ وَالسُّنَّةِ وَلا يَكونانِ يَمْنَعانِ الْوَلَدَ مِنْ طاعَةِ اللّهِ تَعالى إِلى مَعْصِيَتِهِ وَمِنَ الْيَقينِ إِلَى الشَّكِّ وَمِنَ الزُّهدِ إِلَى الدُّنْيا وَلا يَدْعُوانِهِ إِلى خلافِ ذلِكَ فَإِذا كانَ كَذلِكَ فَمَعْصِيَتُهُما طاعةٌ وَطاعَتُهُما مَعْصِيَةٌ.

قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾[1].

وَأَمّا في باب الْمِشْرَةِ فَدارِهِما وارْفَقْ بِهِما واحْتَمِلْ أَذاهُما نَحْوَ مَااحْتَمَلا عَنْكَ في حالِ صِغَرِكَ وَلا تُضَيِّقْ عَلَيْهِما مِمّا قَدْ وَسَّعَ اللّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْمَأْكُولِ وَالْمَلْبُوسِ وَلا تُحَوِّلْ وَجْهَكَ عَنْهُما وَلا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فَوقَ أَصْواتِهِما فَإِنَّ تَعْظيمَهُما مِنْ أَمْرِ اللّهِ تَعالى وَقُلْ لَهُما بِأَحْسَنِ الْقَوْلِ وَأَلْطَفِهِ فَإِنَّ اللّهَ لا يُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنينَ.

١ـ العنكبوت ٢٩: ٨

«بِرُّ الْوالِدَيْنِ مِنْ حُسْنِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِاللّهِ تَعالى إِذْ لا عِبادَةَ أَسْرَعُ بُلُوغاً بِصاحِبِها إِلى رِضَى اللّهِ تَعالى مِنْ بِرِّ الْوالِدَيْنِ الْمُسْلِمَيْنِ لِوَجْهِ اللّهِ تَعالى لأَنَّ حَقَّ الْوالِدَيْنِ مُشْتَقٌّ مِنْ حَقِّ اللّهِ تَعالى إِذا كانا عَلى مِنهاجِ الدّينِ وَالسُّنَّةِ وَلا يَكونانِ يَمْنَعانِ الْوَلَدَ مِنْ طاعَةِ اللّهِ تَعالى إِلى مَعْصِيَتِهِ وَمِنَ الْيَقينِ إِلىَ الشَّكِ وَمِنَ الزُّهدِ إِلَى الدُّنْيا وَلا يَدْعُوانِهِ إِلى خلافِ ذلِكَ فَإِذا كانَ كَذلِكَ فَمَعْصِيَتُهُما طاعةٌ وَطاعَتُهُما مَعْصِيَةٌ.

قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾[1]»

برُّ الوالدين:

يشير الإمام الصادق عليه السلام في هذا المقطع إلى واحدة من أهم المسائل الإسلامية والعاطفية، وهي مسألة الإحسان إلى الوالدين.

وتعتبر مسألة الوالدين من أهم المسائل الإلهية، ويكفي في بيان أهميتها مجيء الإحسان للوالدين في القرآن الكريم بعد مسألة التوحيد وعبادة الله.

١ـ العنكبوت ٢٩: ٨

وقد أشار الإمام عليه السلام هنا إلى أن حسن معاشرة الإنسان لوالديه ناشئ من حسن معرفة الإنسان بربه.

وأشار عليه السلام إلى أن الإحسان الكامل للوالدين إنما يكون إذا كان الوالدان مؤمنين ولايدعوان ابنهما من طاعة الله إلى معصيته، وإلا فإن طاعتهما تكون معصية حينئذ ومعصيتهما تكون طاعة.

«وَأَمّا في باب الْعِشْرَةِ فَدارِهِما وارْفقْ بِهِما واحْتَمِلْ أَذاهُما نَحْوَ مَااحْتَمَلا عَنْكَ في حالِ صِغَرِكَ وَلا تُضَيِّقْ عَلَيْهِما مِمّا قَدْ وَسَّعَ اللّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْمَأْكُولِ وَالْمَلْبُوسِ وَلا تُحَوِّل وَجْهَكَ عَنْهُما وَلا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فَوقَ أَصْواتِهِما فَإِنَّ تَعْظيمَهُما مِنْ أَمْرِ اللّهِ تَعالى وَقُلْ لَهُما بِأَحْسَنِ الْقَوْلِ وَأَلْطَفِهِ فَإِنَّ اللّهَ لا يُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنينَ»

حقوق الوالدين في القرآن:

يشير القرآن إلى أن الله تعالى قد أوصى جميع الأمم باحترام الوالدين والإحسان إلى الأب والأم، وجعل الاهتمام بهما من أهم القضايا وجعل ذلك من جملة عبادته تعالى.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَتَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[1].

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[2].

١ـ البقرة ٢: ٨٣.

٢ـ الأنعام ٦: ١٥١.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[1].

يقول العلامة الكبير صاحب تفسير «الميزان» حول هذه الآية:

وهذا [الإحسان للوالدين] بعد التوحيد لله من أوجب الواجبات كما أن عقوقهما أكبر الكبائر بعد الشرك بالله، ولذلك ذكره بعد حكم التوحيد وقدمه على سائر الأحكام المذكورة المعدودة وكذلك فعل في عدة مواضع من كلامه.

وقد تقدم في نظير الآية من سورة الأنعام ـ الآية ١٥١ من السورة ـ أن الرابطة العاطفية المتوسطة بين الأب والأم من جانب والولد من جانب آخر من أعظم ما يقوم به المجتمع الإنساني على ساقه، وهي الوسيلة الطبيعية التي تمسك الزوجين على حال الاجتماع فمن الواجب بالنظر إلى السنة الاجتماعية الفطرية أن يحترم الإنسان والديه بإكرامهما والإحسان إليهما، ولو لم يجر هذا الحكم وهجر[ه] المجتمع الإنساني بطلت العاطفة والرابطة للأولاد بالأبوين وانحل به عقد الاجتماع.

ويتابع قائلاً:

وتخصيص حالة الكبر بالذكر لكونها أشق الحالات التي تمر على الوالدين فيحسان فيها الحاجة إلى إعانة الأولاد لهما وقيامهم بواجبات حياتيهما التي يعجزان عن القيام بها، وذلك من آمال الوالدين التي يأملانها من الأولاد حين

١ـ الإسراء ١٧: ٢٣ ـ ٢٤.

يقومان بحضانتهم وتربيتهم في حال الصغر وفي وقت لاقدرة لهم على شيء من لوازم الحياة وواجباتها.

فالآية تدل على وجوب إكرامهما ورعاية الأدب التام في معاشرتهما ومحاورتهما في جميع الأوقات وخاصة في وقت يشتد حاجتهما إلى ذلك وهو وقت بلوغ الكبر من أحدهما أو كليهما عند الولد[١].

ومن الآيات الأخرى التي تشير إلى هذا الموضوع:

﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً﴾[٢].

﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾[٣].

إن سلوك الأنبياء وفعلهم، كيفما كانوا، برهان وحجة على الناس في جميع المجالات، ويجب على جميع الناس الاقتداء بهم عليهم السلام في العمل والأخلاق والإيمان، وقد كان الأنبياء في قمة الاحترام لآبائهم وأمهاتهم، ولم يكونوا مقصرين في الإحسان إليهم.

﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون﴾[٤].

١ـ الميزان: ١٣ / ٧٩-٨٠.

٢ـ مريم ١٩: ١٤.

٣ـ مريم ١٩: ٣٢.

٤ـ العنكبوت ٢٩: ٨

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

حقوق الوالدين في الروايات:

يركز القرآن في آياته الكريمة على المشقة والآلام الكثيرة التي تتحملها الأم خاصة، ولذلك فقد وردت الوصية بالأم أكثر من الوصية بالأب في جملة من الروايات والأقوال الحكيمة !!.

فقد ورد في الكتاب العظيم «**الكافي**»:

عَنْ أَبي عَبْدِاللّهِ عليه السلام قالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وآله فَقالَ: «يا رَسولَ اللّهِ مَنْ أَبَرُّ؟ قالَ: أُمَّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: أُمَّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: أُمَّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: أباك»[2].

حق الجهاد أم حق الأم:

عَنْ جابِرٍ قالَ: أَتى رَجُلٌ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله «فَقالَ إِنّي رَجُلٌ

١ـ لقمان ٣١: ١٤ ـ ١٥.

٢ـ الكافي: ١٥٩/٢، باب البر بالوالدين، حديث ٩؛ وسائل الشيعة: ٤٩١/٢١، باب ٩٤، حديث ٢٧٦٧٠.

شابٌّ نَشيطٌ وَأُحِبُّ الْجِهادَ وَلي والِدَةٌ تَكْرَهُ ذلِكَ، فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: اِرْجِعْ فَكُنْ مَعَ والِدَتِكَ، فَوالَّذي بَعَثَني بِالْحَقِّ نَبِيّاً لأُنْسُها بِكَ لَيْلَةً خَيْرٌ مِنْ جِهادِكَ في سَبيلِ اللّهِ سَنَةً»[1].

وهناك روايات عديدة في الجوامع الحديثية من قبيل هذه الرواية التي تقدم حق الأم على الجهاد، ولكن كبار العلماء وفقهاء الشيعة العظام كالمقدس الأردبيلي في «زبدة البيان»[2] والعلامة المجلسي في «بحار الأنوار» يقولون:

إن المعذورية عن الجهاد مادام الإمام لم يوجبه على شخص بعينه، ومادامت لاتوجد حاجة إليه أثناء هجوم الكفار على البلاد الإسلامية، وأما إذا أمره الإمام بشخصه، أو كانت هناك حاجة إليه في دفع الكفار، فإن حق الجهاد يكون مقدماً على حق الأم حينئذ، ويجب عليه الذهاب إلى ساحة الحرب حينئذ وإن لم تكن أمه راضية!.

قصة «جريح» وأمه:

يشير النبي صلى الله عليه وآله في إحدى الروايات إلى عاقبة «جريح» حيث يقول:

«إنَّ امْرَأَةً نادَتْ اِبْنَها وَهُوَ في صَلاتِه، قالَتْ: يا جُرَيْحُ، قالَ: اللّهُمَّ أُمّي وَصَلاتي. قالَتْ: يا جُرَيْحُ، فَقالَ: اللّهُمَّ أُمّي وَصَلاتي. فَقالَ: لايَمُوتُ حَتّى يَنْظُرَ في وُجُوهِ الْمُومِساتِ»[3].

١ـ الكافي: ١٦٣/٢، باب البر بالوالدين، حديث ٢٠؛ بحار الأنوار: ٥٩/٧١، باب ٢، حديث ٢٠.

٢ـ زبدة البيان: ٢٠٩.

٣ـ بحار الأنوار: ٣٧/٧١، باب ٢.

يقول كبار الفقهاء بأن الإنسان إذا كان قائماً يصلي صلاة مستحبة ونادته أمه، فمن اللازم عليه قطع الصلاة وإجابتها.

وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام بسند معتبر قال:

كان في بني إسرائيل عابد يقال له جريح وكان يتعبد في صومعة، فجاءته أمه وهو يصلي فدعته فلم يجبها فانصرفت، ثم أتته ودعته فلم يلتفت إليها فانصرفت، ثم أتته ودعته فلم يجبها ولم يكلمها، فانصرفت وهي تقول: أسأل إله بني إسرائيل أن يخذلك. فلما كان من الغد جاءت فاجرة وقعدت عند صومعته قد أخذها الطلق فادَّعت أن الولد من جريح ففشا في بني إسرائيل أن من كان يلوم الناس على الزنا قد زنى وأمر الملك بصلبه، فأقبلت أمه إليه فلطم[1] وجهها فقال لها: اسكتي! إنما هذا لدعوتك. فقال الناس لما سمعوا ذلك منه: وكيف لنا بذلك؟ قال: هاتوا الصبي فجاؤا به فأخذه فقال: من أبوك؟ فقال فلان الراعي لبني فلان، فأكذب الله الذين قالوا ما قالوا في جريح فحلف جريح ألا يفارق أمه يخدمها[2].

أمي إن وجهك القمري هو روحي ونفسي، ومحبتك تمنح القوة لبدني وروحي.

أنت في عمق فكري كنزي الثمين، ونظرة منك تعدل كلا العالمين.

ياطيبة الطينة لاأفكر معك بالحسن والقبح، فالله قد جعل الجنة تحت أقدامك.

حنانك أيها القمر ينفخ الروح فيَّ، وكلامك يبث الدفء والقوة في النفس.

فكرك المسنّ يمنحني حظاً فتياً، وكل مايطلبه القلب فإن لطفك يمنحه له.

١- [لعله خطأ مطبعي، فيحتمل أن يكون الأصل: تلطم].

٢- قصص الأنبياء، الراوندي: ١٧٧، باب ٩، حديث ٢٠٧؛ بحار الأنوار: ٧٥/٧١، باب ٢ ،حديث ٦٩.

أيتها العظيمة أمي يامن تراب مسيرك تاجي لاترفعي لطفك عني.

إن كل ماعندي هو منك أنت فبصري نور وهو من وجهك المنير.

مادام في قلبي محبتك المتزايدة فمهما كنتُ أقسم بالله إن قلبي عبد لك وكذلك روحي.

ماهذا اللطف الذي في وجهك القمري وماهذه الحال التي كانت في عينك السوداء.

وأي سرّ كامن في نظراتك، أدعو الله أن يكون عونك دائماً.

حتى تُسرِّي قلبي بنظراتك دائماً وتذهبي عنه الغم والألم.

لاتوجد نغمة موزونة أطرب وأعز على القلب من كلمة الأم، بل أجمل لحن هو نداء الأم، وهذه الكلمة وإن كانت صغيرة ولكنها تحمل معنى كبيراً جداً وتنبض بنور العشق والأمل، وذلك لأن جميع العواطف القلبية من الحنان والعطف والرقة واللطافة كامنة فيها.

فالأم كل شيء في حياة الإنسان، فهي التي تشرح الصدر عند الغم والألم، وهي نافذة الأمل عند اليأس والإحباط، وهي الباعثة على النشاط والقوة في يوم العجز والضعف.

نعم، الأم منبع المحبة والرقة، والعفو والتسامح، ومن يفقد أمه فلن يجد بعدها صدراً يحتضنه، أو يداً تلاطفه، أو عيناً ترعاه.

وكل شيء في الطبيعة آية للأم، والكل يتحدث عن عالم الأمومة، فالشمس أم للأرض وبإرسال أشعتها إليها تحفظ حياتها وتقوم بتربيتها، ولاتغيب عن الأرض قبل أن تجعلها تنام على أنغام أمواج البحار وألحان الأنهار وأصوات

العصافير الجميلة وأصوات الطواحين، والكرة الأرضية أيضاً هي بدورها أم حنون للأشجار والأزهار والأعشاب التي تنبتها وتعمل على إنمائها، والأشجار والأزهار أيضاً بدورها أمهات عطوفة للثمار اللذيذة والحبوب الطازجة، والأم لكل مافي عالم الخلقة هي تلك الروح الكلية الأزلية الخالدة التي تفيض جمالاً ورأفة.

رضا الله في رضا الأم:

كان شخص صالح من عباد الله المخلصين يقبل قدم أمه كل يوم، وذات يوم وصل إلى إخوانه متأخراً، فلما سألوه عن سبب تأخره، أجاب بأنه كان يستريح في بساتين الجنة، وذلك أن قد ورد أن الجنة تحت أقدام الأمهات، وأن الله تعالى تكلم مع موسى عليه السلام بثلاثة آلاف وخمسمئة كلمة وكان آخر كلامه تعالى: ياموسى، أحسن إلى أمك، وكرَّر خطابه هذا سبع مرات، فقال: يكفيني، ثم قال: ياموسى، رضا الأم رضاي، وغضبها غضبي[1].

آلام الاحتضار:

عَن أبي عبدِ الله عليه السلام، حَضرَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله شَاباً عِند وفاتِه فَقالَ له: قُل: لا إلهَ إلا الله، قَالَ: فاعْتقل لِسَانُه مِراراً فقالَ لامرأة عِندَ رَأسِه: هَل لِهذا أُمٌ؟ قالتْ نَعم أنا أمُّه، قالَ أفسَاخِطة أنتِ عليهِ؟ قالَت: نعمْ، ما كلَّمته مُنذ سِت حِجَج، قالَ لَها: ارضِي عَنْه، قَالتْ رَضِي الله عَنه برضَاك يا رَسول الله. فقالَ له رَسول الله: قُلْ لا إلَه إلا الله، قالَ فَقالَها، فقالَ النَّبيُ صلى الله عليه وآله ما تَرى؟

١ـ المستطرف: ٩/٢،

فقالَ أَرى رَجُلاً أسْودَ قَبيحَ المَنظرِ وسِخَ الثِّياب مُنْتن الرِّيح قَدْ وَلِيني السَّاعة فأَخَذ بِكظمِي فَقالَ لَه النَّبيﷺ: قُلْ: «يَا مَنْ يَقبلُ اليَسِيرَ ويَعْفو عَن الكَثير اقْبَل مِنِّي اليَسِير واعْفُ عَني الكَثِير إنَّك أَنتَ الغَفُورُ الرَّحِيم» فقالَها الشَّابُ، فَقالَ له النَّبيﷺ انْظُر مَا تَرى؟ قالَ أَرَى رَجلاً أَبيضَ اللونِ، حَسنَ الوجهِ، طَيِّب الريحِ حَسن الثياب، قَد وَلِيني وأرى الأَسْود قَد تَولَّى عَني، قَالَ أَعِد فَأعادَ، قَالَ ما تَرى قالَ لَسْتُ أَرى الأَسْود، وأَرى الأَبيضَ قَد وَلِيني، ثُمَّ طَفَى عَلى تِلكَ الحَال[1]!.

وقالوا شعراً في الأم:

ماذا تسأل عن جنة الله أيها الفتى، فاعلم أن الجنة تحت أقدام الأم.

خذ الأمر من أمك الكبيرة الضعيفة فإن أمر أمك مثل أمر الحَكم.

وقد أضحى جسمها الملائكي مقوساً من أجل تربيتك فلاتنظر الآن إلى جسمك وهو نخلة قوية.

لم تنم عينها في الليالي من أجل أن تنام أنت وبَقِيَتْ كالمُنجِّم عيناها معلقة بالنجوم.

وكم غنت بجانب مهدك «لالاي،لالاي» حتى ضجت السماء من كثرة ماغنت «لالاي،لالاي».

فالأم أرحم من كل من تراه في الكونين سوى إلهك الرحمن الرحيم.

١ـ الأمالي، الشيخ المفيد: ٢٨٧، المجلس الرابع والثلاثون، حديث ٦؛ بحار الأنوار: ٧٥/٧١، باب ٢، حديث ٦٨.

والدا النبي صلى الله عليه وآله:

ورد في ذيل الآية الشريفة:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾[١].

أن رسول الله صلى الله عليه وآله توفي أبوه عندما كان في الشهر السادس من حمله أو بعد ولادته بفترة وجيزة، وعندما بلغ السنتين من عمره توفيت أمه، ولما سئل الإمام الصادق عليه السلام عن سبب وفاة أبويه، أجاب:

«لِئَلاّ يَكُونَ لِمَخْلُوقٍ عَلَيْهِ حَقٌّ».

ومعنى هذا الكلام أن عبء الرسالة ثقيل جداً، وحق الأبوين كبير جداً أيضاً، ولهذا فلم تكن مشيئة الله الرحيم لتجعل بعهدته حقين ثقيلين جداً، وأن يكون لأبويه عليه حق كبير جداً[٢]!!.

وورد أيضاً في تفسير الآية الشريفة:

﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً﴾[٣].

أن الله خاطب موسى وهارون عليهما السلام بأن يتحدثا بلين مع فرعون عند مواجهته، وأن تكون دعوتهما له بلطف وحسن !. وأن لاتكون هناك قسوة معه لأن له حق التربية على موسى عليه السلام، فعليهما مخاطبته بالرفق والمداراة مراعاة لحقه[٤] !!.

عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسى عليه السلام قالَ: «سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله:

١ـ الضحى ٩٣: ٦.

٢ـ منهج الصادقين: ٢٧٤/١٠؛ بحار الأنوار: ١٣٦/١٦، باب ٧.

٣ـ طه ٢٠: ٤٤.

٤ـ منهج الصادقين: ٤٨٩/٥.

ما حَقُّ الْوالِدِ عَلى وَلَدِه ؟ قالَ: لايُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ، وِلا يَمْشي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلا يَجْلِسُ قَبْلَهُ وَلا يَسْتَسِبُّ لَهُ»[١].

عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حازِمٍ عَنْ أَبي عَبْدِاللّهِ عليه السلام قالَ: «قُلْتُ: «أَيُّ الأَعْمالِ أَفْضَلُ؟ قالَ: الصَّلاةُ لِوَقْتِها، وَبِرُّ الْوالِدَيْنِ وَالْجِهادُ في سَبيلِ اللّهِ»[٢].

عَنْ مُحَمَّدِ بنِ مَرْوانَ قالَ: قالَ أَبُوعَبْدِاللّهِ عليه السلام: «ما يَمْنَعُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ أَنْ يَبِرَّ والِدَيْهِ حَيَّيْنِ وَمَيِّتَيْنِ يُصَلّي عَنْهُما وَيَتَصَدَّقْ عَنْهُما وَيَحِجُّ عَنْهُما فَيَكُونَ الَّذي صَنَعَ لَهُما، وَلَهُ مِثْلُ ذلِكَ فَيَزيدَهُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبِرِّهِ وَصِلَتِهِ خَيْراً كَثيراً»[٣].

حقوق الوالدين في كلام العلامة المجلسي رحمه الله:

ينقل العلامة المجلسي رحمه الله عن كبار العلماء عدة أمور لابد من مراعاتها مع الأبوين:

١- حرمة السفر المباح والمندوب بدون رضاهما، وأما السفر الواجب كالسفر لطلب العلم إذا لم يمكن ذلك في بلدهما فلامانع منه.

٢- إذا أمرا بشيء وحَضَر وقت الصلاة، فليؤخر الصلاة إذا كان هناك وقت لها.

١ـ الكافي: ١٥٨/٢، باب البر بالوالدين، حديث ٥؛ وسائل الشيعة: ٥٠٥/٢١، باب ١٠٦، حديث ٢٧٧٠٥.

٢ـ الكافي: ١٥٨/٢، باب البر بالوالدين، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ٤٥/٧١، باب ٢، حديث ٥.

٣ـ الكافي:١٥٩/٢، باب البر بالوالدين، حديث ٧؛ جامع السعادات: ٦٧/٢، بر الوالدين.

٣- إذا كان يصلي النافلة، ودعواه فالأفضل له قطع الصلاة وإجابتهما.

٤- يلزم على الولد إطاعة أمر أبيه إذا نهاه عن صوم مستحب.

٥- ترك العهد والقسم إذا لم يكن ذلك في فعل واجب أو ترك محرم، إلا إذا كان إذنهما في البين[١].

سبب قطع الرجل:

سئل الزمخشري عن سبب قطع قدمه، فأجاب: أمسكت في صغري عصفوراً، ونتفت ريشه، ثم ربطت رجله بخيط، وذات يوم فرَّ العصفور، ودخل في ثقب، فركضت خلفه وكان مقدار من الخيط ظاهراً، فأمسكت به وسحبته بشدة فانقطعت رجل العصفور، وعندما سمعت أمي بهذه القصة غضبت وقالت لي: قطع الله رجلك كما قطعت رجل هذا الحيوان البريء!.

وعندما بلغت سن الرشد، وقعت من على ظهر الحصان عندما كنت في سفر إلى «بخارى» فانكسرت رجلي، ومهما حاولت لم أتمكن من علاجها، ولم يكن مفر إلا قطعها.

الإسلام والنصراني وخدمة الأم:

ينقل الشيخ الكليني في كتابه الشريف «**الكافي**» في باب برّ الوالدين عن زكريا بن إبراهيم قال:

١ـ بحار الأنوار: ٣٨/٧١، باب ٢.

كنتُ نَصرانياً فأسْلمتُ وحَجَجت، فدَخلتُ عَلى أبي عَبد الله عليه السلام، فقلتُ إنِّي كُنتُ على النَّصرانية وإنِّي أسْلمت فَقال: وأيُّ شيءٍ رأيتَ فِي الإسْلامِ؟ قلتُ قول الله عزَّوجل «ما كنتَ تدري ماالكتابُ ولا الإيْمان ولكنْ جَعلناه نُوراً نهدِي بِه مَن نشَاء » فقالَ: لقدْ هَداك الله، ثُم قَال اللهمَّ اهدِه- ثلاثاً- سلْ عَما شِئتَ يا بُني، فقلتُ: إنَّ أبِي وأمِّي على النَّصرانية وأَهْل بَيتي، وأمِّي مَكفوفَة البَصر فأكُون مَعهم، وآكل في آنيتهم؟ فقالَ: يأكلُون لحمَ الخِنزيرِ؟ فقلتُ لا، ولا يَمسُّونه، فقال: لابأسَ فانظرْ أُمَّك فَبرّها فإذا ماتَت فَلا تَكِلها إلى غَيرك كن أنتَ الذيْ تَقوم بِشأنها، ولا تُخبِرن أحَداً أنك أتيتني حَتى تَأتيني بمِنى إنشَاء الله، قالَ: فأتَيْته بِمنى والناسُ حَوله كَأنه مُعلِّم صِبيان، هَذا يَسْأله وهَذا يَسأله. فَلمَّا قَدمت الكوفَة ألطَفتُ لأمِّي وكنتُ أُطعِمها وأفلِّي ثَوبَها ورأسَها وأخْدِمها، فقالتْ لِي: يا بُني ما كنتَ تصنَعُ بِي هَذا وأنتَ علَى دِيني فما الذيْ أرَى مِنك مُنذ هاجرتَ فَدخلتَ فِي الحَنيفيةِ؟ فقلتُ: رجلٌ مِن ولدِ نَبينا أَمَرني بِهذا، فقالتْ: هَذا الرجلُ هوَ نَبيٌّ؟ فقلتُ: لا ولكِنَّه ابن نَبي، فقالتْ: يا بنيَّ هَذا نبيٌّ، إن هذه وصَايا الأنبِيَاء، فقلتُ: يا أَمَه إنه ليسَ يكُون بَعدَ نَبينا نَبي ولكنه ابنُه، فقالتْ: يا بُني دِينكَ خَيْر دِين، اعرِضْهُ عَلي فعرضْتُه عَليها فدخلَتْ في الإسلامِ وعَلَّمتها فصلَّت الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ الآخرةَ، ثمَ عَرضَ لها عارضٌ فِي الليلِ فقالتْ: يا بُني أعدْ عَليَّ ما علَّمتني!

فأعَدتهُ عَليها، فأقرتْ به وماتَتْ. فَلَما أصْبَحت كانَ المُسْلِمون الذينَ غسَّلوها، وكنتُ أنا الذِي صَلَّيتُ عَليها ونزلتُ فِي قَبْرها[1].

حقوق الأبناء على الوالدين:

ولابد في نهاية هذا القسم من الالتفات إلى أن للأبناء حقوقاً على الآباء والأمهات ومراعاتها واجب إلهي على الوالدين، كما كان للآباء والأمهات حقوق على الأبناء وكان يجب على الأولاد مراعاتها، وأهم تلك الحقوق هي:

١- تسميتهم بأسماء حسنة.

٢- تعليمهم القرآن.

٣- بذل الجهد في تربية الأولاد سواء من جهة البدن أم الروح.

٤- تأمين المسكن واللباس والطعام لهم بالمقدار اللازم.

٥- تزويج البنات عند الحاجة للزواج بأحسن وجه.

٦- تزويج الذكور عند الحاجة للزواج.

٧- تعليمهم الواجبات والأحكام الإلهية.

٨- العفو عن أخطائهم.

٩- معاملتهم باللطف والمحبة.

١٠- حثهم على الأعمال الحسنة.

١١- نهيهم عن الأعمال السيئة، وتذكيرهم بعواقب تلك الأعمال.

١- الكافي: ١٦٠/٢، باب البر بالوالدين، حديث ١١؛ بحار الأنوار: ٥٣/٧١، باب ٢، حديث ١١.

١٢- إكرامهم، وتأمين وسائل الراحة والطمأنينة لهم.

ويمكنكم الرجوع في مجال حقوق الأولاد على والديهما، وحقوق الوالدين على أولادهما، وحقوق الزوج والزوجة كل منهما على الآخر، إلى الكتب القيّمة أمثال: «**الكافي**» المجلد ٢، و«**وسائل الشيعة**» المجلد ١٤ والمجلد ١٥، و«**بحار الأنوار**» المجلد ٧١، و«**الصحيفة السجادية**» الدعاء ٢٣، والدعاء ٢٤.

إلهي! وفقنا لمعرفة المعارف والوصول إلى الواقعيات والعمل بأوامرك، واحفظنا من التلوث والذنب والعصيان والمعصية واتباع شياطين الجن والإنس، واتباع هوى النفس والجهل، فهذه مناشئ الفساد والهلاك.

لاتسقطني من عين لطفك أيها الحبيب وارمني في مجلس عشقك.

أذقني حلاوة قربك واسقِني شراب محبتك.

وفقني للجهد والجهاد ونوِّر بذلك باطني.

اجمع همتي على طاعتك وأدم عشقك في قلبي.

وأخلص نيتي بعناية منك ونوِّر قلبي بنور صفائك.

أنا معك وأنا منك ياإلهي وأملي فيك يارب كما هو.

اجعلني من الأتقياء عندك وأحي قلبي في مجلس السَحَر.

واحشرني مع الصالحين واجعلني من السابقين.

واجعلني أُسرع إلى الخيرات وأعنِّي على المَبرّات.

وزيّني بالأعمال الحسنة ونوِّر روحي وطينتي.

وارفع هذا العبد المحزون المجروح القلب يامن لايُسأل عما يفعل إلى أعلى المقامات.

أيها القدير الذي لامثيل ولاشبيه له نجني من كل غِلٍّ ومن كل قيد.

واجعل حرارة عشقك في قلبي وأشعل نار عشقك في وجودي.

أنا مسكين وأسير ومتعب القلب وليس لي ملجأ سوى باب لطفك.

الباب

(٧٢)

في بيان الموعظة

قالَ الصّادِقُ عليه السلام:

أَحْسَنُ الْمَواعِظِ ما لا يُجاوِزُ الْقَوْلُ حَدَّ الصِّدْقِ وَالْفِعْلُ حَدَّ الإِخْلاصِ.

فَإِنَّ مَثَلَ الْواعِظِ وَالْمَوْعُوظِ كَالْيَقْظانِ وَالرّاقِدِ، فَمَنِ اسْتَيْقَظَ مِنْ رَقْدَةِ غَفْلَتِهِ وَمُخالَفاتِهِ وَمَعاصيهِ صَلُحَ أَنْ يُوقِظَ غَيْرَهُ مِنْ ذِلكَ الرُّقادِ.

وَأَمَّا السّائِرُ في مَفاوِزِ الأَعْتِداء، الخائِضُ في مَراتِعِ الْغَيِّ وَتَرْكِ الْحَياء بِاسْتِحْبابِ السُّمْعَةِ وَالرِّياءِ وَالشُّهْرَةِ وَالتَّصَنُّعِ فِي الْخَلْقِ الْمُتَزَيّي بِزِيِّ الصّالِحينِ الْمُظْهِرِ بِكَلامِهِ عِمارَةَ باطِنِهِ وَهُوَ في الْحَقيقَةِ خالٍ عَنْها قَدْ غَمَرَتْها وَحْشَةُ حُبِّ الْمَحْمَدَةِ وَغَشِيَها ظُلْمَةُ الطَّمَعِ فَما أَفْتَنَهُ بِهَواهُ وَأَضَلَّ النّاسَ بِمَقالَتِهِ قالَ اللّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[1].

وأمّا مَنْ عَصَمَهُ اللّهُ بِنُورِ التَّأْييدِ وَحُسْنِ التَّوْفيقِ وَطَهَّرَ قَلْبَهُ مِنَ الدَّنَسِ فَلا يُفارِقُ الْمَعْرِفَةَ وَالتُّقى فَيَسْتَمِعُ الْكَلامَ مِنَ الأَصْلِ وَيَتْرُكُ قائِلَهُ كَيْفَ ما كانَ.

قال الحُكَماءُ: خُذِ الْحِكْمَةَ مِنْ أَفْواهِ الْمَجانينَ.

قالَ عيسَى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام: جالِسوا مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللّهَ رَؤْيَتُهُ وَلِقاؤُهُ فَضْلاً عَنِ الْكَلامِ، وَلا تُجالِسوا مَنْ تُوافِقُهُ ظَواهِرُكُمْ وَتُخالِفُهُ بَواطِنُكُمْ فَإِنَّ ذِلكَ لَمُدَّعي بِما لَيْسَ لَهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ فِي اسْتِفادَتِكُمْ.

وَإِذا لَقيتَ مَنْ فيهِ ثَلاثُ خِصالٍ فَاغْتَنِمْ رُؤْيَتَهُ وَلِقاءَهُ وَمُجالَسَتَهُ وَلَو ساعَةً فَإِنَّ ذِلكَ يُؤَثِّرُ في دينِكَ وَقَلْبِكَ وَعِبادَتِكَ: قَوْلٌ لا يُجاوِزُ فِعْلَهُ،

١ـ الحج ٢٢: ١٣.

وَفِعْلٌ لا يُجاوِزُ صِدْقَهُ، وَصِدْقٌ لا يُنازِعُ ربَّهُ، فَجالِسْهُ بِالْحُرْمَةِ وَانْتَظِرِ الرَّحْمَةَ وَالْبَرَكَةَ.

وَاحْذَرْ لُزومَ الْحُجَّةِ عَلَيْكَ، وَراعِ وَقْتَهُ كَيْ لا تُلْزَمَهُ فَتَخْسَرَ، وَانْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ فَضْلِ اللّهِ تَعالى عَلَيْهِ وَتَخْصيصِهِ لَهُ وَكَرامَتِهِ إِيّاهُ.

«أَحْسَنُ الْمَواعِظِ ما لا يُجاوِزُ الْقَوْلُ حَدَّ الصِّدْقِ وَالْفِعْلُ حَدَّ الإِخْلاصِ»

حقيقة التبليغ والموعظة:

الكلام في هذا القسم عن الوعظ والواعظ والمتعظ، وبعبارة أخرى فإن الكلام هنا عن التبليغ والمبلغ والمستمع.

يشير الإمام الصادق عليه السلام في هذا الفصل إلى هذه المواضيع الثلاثة ويبين الجهات المختلفة لها.

والتبليغ في ثقافة الإسلام له مكانة مهمة جداً، فلاشك في أنه لولا التبليغ والمبلغ لما وصل دين الله والأحكام الإلهية إلى الناس، كما أن التبليغ الديني واجب على الواجدين للشرائط.

ومن الممكن أن تواجه الإنسان أخطار ومشاكل في طريق الوعظ والموعظة والإبلاغ والتبليغ، ويقول الدين الإلهي بأنه يجب على المبلغ تحمل تلك المخاطر من أجل الله، مؤملاً ثوابه وأجره الجزيل.

ويذكر القرآن الكريم في الكثير من آياته الأنبياء عليهم السلام على أنهم مبلغون لرسالات الله، ويمتدح عملهم العظيم، ويعتبر أن تبليغهم هو السبب في دوام

وبقاء الدين، ويذكر المصائب التي تحملها الأنبياء عليهم السلام في هذا السبيل ليكون صبرهم وتحملهم الذي ظهر منهم في سبيل الحق أسوة وقدوة لكل مبلغ.

تبليغ الأنبياء عليهم السلام:

يذكر القرآن أن نوحاً عليه السلام بقي في قومه تسعمئة وخمسين عاماً يدعوهم ويبلغهم الدين، وقد أصيب خلال ذلك بالمصائب والابتلاءات البدنية والروحية، ورغم ذلك فإنه لم يكف عن القيام بتبليغ الدين إلى اللحظة التي نزل بقومه العذاب الإلهي بسبب تكبرهم عن قبول الحق، وكان يقول:

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَتَعْلَمُونَ﴾[1].

كذلك يحدثنا القرآن الكريم عن النبي هود عليه السلام الذي كان مأموراً بتبليغ رسالات الله إلى قوم عاد، وأنه قد أصابه منهم أنواع الآلام الروحية والجسمية، ولكنه رغم ذلك فإنه كان يقول لهم حتى آخر لحظة قبل نزول العذاب عليهم:

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[2].

إن الداعي البصير والصابر بين الناس هو في الحقيقة يقوم بعمل الأنبياء، ولهذا فإن له المكانة السامية عند الله تعالى، ويجب على الناس تقدير عمله من خلال الإصغاء إلى نصائحه، والالتفاف حوله لاستماع كلامه.

وأجر أمثال هؤلاء هو فقط وفقط عند الله تعالى:

١ـ الأعراف ٧: ٦٢.

٢ـ الأعراف ٧: ٦٨.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللّهَ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللّهَ وَكَفَى بِاللّهَ حَسِيباً﴾[١].

تبليغ أولياء الله:

إن الإنسان صاحب المعرفة يعيش بتمام وجوده ضمن إطار العبودية، وبسبب معرفته فهو يرغب أن يعرف الناس ربهم من خلال قيامه بتبليغ الدين ويرجعوا إليه، وهو يرى الدعوة والتبليغ وظيفة واجبة عليه، وأنها من أهم العبادات، ولايخشى المشاكل والمصائب في هذا السبيل، ولايخاف أحداً أثناء قيامه بإبلاغ الدين، وأحياناً يتقدم بالتبليغ إلى حدّ الشهادة في سبيل الله، ويرى القتل في هذه السبيل نعمة إلهية.

إن أمثال أبي ذر وميثم، ورشيد وحجر بن عدي، والمعلى بن خنيس وكميل، وسعيد بن جبير وحبيب النجار، والسيد جمال الدين والشيخ فضل الله النوري، والسيد حسن المدرس وعبد الحسين الواحدي ونواب الصفوي، والذين لأسمائهم تلألؤ خاص في سماء التاريخ، قد ضحوا بأرواحهم في سبيل تبليغ الدين، ولم يكونوا يخشون أحداً سواه تعالى أثناء قيامهم بالتبليغ. وشرح أحوال حياة كل واحد من هذه الشخصيات الطاهرة تحتاج إلى كتاب مستقل، ومن حسن الحظ فقد ألفت كتب مفصلة ومتعددة في هذا المجال، ومن اللازم قراءة تلك الكتب، ليُعلم مدى أهمية تبليغ الدين، وأنه مهم لدرجة أن المبلغ صاحب

١ـ الأحزاب ٣٣: ٣٩.

المعرفة ورغم علمه بأنه سيقتل فإنه مستعد للمتاجرة مع ربه بروحه العزيزة عليه في سبيل إعلاء كلمة الحق.

تضحية ابن السكيت:

كان أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الدورقي الأهوازي من كبار الإمامية، ومن علماء اللغة العربية ومعروف بابن السكيت.

وقد وثقه كبار العلماء، وعدّوه من أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام، وكان حامل لواء علوم العربية والأدب والشعر واللغة والنحو، وله تأليفات كثيرة في هذه العلوم.

وقد أجبره المتوكل العباسي على تعليم أولاده، وقد سأله في أحد الأيام: أيما أحب إليك ابناي هذان، أي المعتز والمؤيد، أم الحسن والحسين؟ فقال ابن السكيت: والله إن قنبراً خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنيك فقال المتوكل للأتراك سلّوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات[1].

ومن الممكن أن يكون البعض قد قال أو يقول: إن هذا موضع تقية، وكان من اللازم على ابن السكيت عدم إظهار الحق حفظاً لحياته.

ويقول العلامة الكبير الملا محمد تقي المجلسي رحمه الله في جوابهم:

اعلم أن أمثال هؤلاء الأعلام كانوا يعلمون وجوب التقية، ولكنهم يصيرون غضباً لله تعالى بحيث لا يبقى لهم الاختيار عند سماع هذه الأباطيل كما هو الظاهر لمن كان له قوة في الدين.

١- الكنى والالقاب: ٣٠٩/١.

إن تعريض النفس للقتل اختياراً في سبيل الله فيما إذا كان ذلك يحقق للإسلام رفعة وعزة هو من الأمور المستحسنة الممدوحة.

وعندما يكون الدين وأصوله في معرض الخطر، أو عندما تكون مقاومة الإنسان سبباً في بقاء الحق وحفظ عزة الإسلام فلايكون الموضع موضع تقية، بل هو موضع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك المداهنة، وفي هذا المعنى توجد رواية مهمة:

قالَ أَميرُالْمُؤْمِنينَ عليه السلام: «إِنَّ اللّهَ تَعالى ذِكْرُهُ لَمْ يَرْضَ مِنْ أَوْلِيائِهِ أَنْ يُعْصى فِي الأَرْضِ وَهُمْ سُكُوتٌ مُذْعِنونَ لا يَأْمُرُونَ بِمَعْروفٍ وَلا يَنْهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ»[1].

وأما شرائط التبليغ فهي عبارة عن:

الاطلاع النسبي على الإسلام، ومعرفةالمعروف والمنكر، والتحلي بالأخلاق الحسنة، والأهم من كل هذا وحسب كلام الإمام الصادق عليه السلام فإن أحسن موعظة تكون عندما يقترن كلام الواعظ بالصدق وعمله بالإخلاص.

يتكلم ولكن قلبه ووجوده يصدق هذا الكلام.

يتكلم ولكن من أجل الله ولهداية الناس.

يتكلم ولايكون قصده من الكلام جلب رضا الناس أو مدحهم أو الشهرة أو تحصيل المنفعة الشخصية أو إظهار النفس.

١ـ بحار الأنوار: ٥٢٥/٣٢، باب ١٢.

يتكلم ولكن لإعلاء الحق وتقوية الإسلام، وبعبارة أخرى لإيقاظ النائم وإرشاد الجاهل وتنبيه الغافل.

يتكلم ولكن يكون قصده من كلامه الله تعالى، ويجعل همته رضاه تعالى، ويتكلم مع الناس نيابة عن الله والأنبياء والأئمة والأولياء، ويجعل الموعظة والتبليغ سبباً لصفاء أرواح الناس وطهارة قلوبهم، ولايستريح ساعة أو لحظة في هذا العمل، فهذا التعب والمشقة التي يتحملها في سبيل المحبوب باعثة على نورانية قلبه ووصوله إلى مقام اللقاء والقرب الإلهي.

يقول «صائب تبريزي»:

لايصل القلب العطشان إلى عين الحياة فهؤلاء الذين يشبهون اسكندر هم عين الحياة.

وعيونهم مثل الشقائق قد امتزجت بدم القلب، هم المضيفون وهم المدعوون.

.متى يكون لهم وقت لرؤية عيوب الناس وفنونهم، فهم يراقبون أنفسهم ليلاً ونهاراً بمئة عين.

يطلبون من الله تعب أنفسهم وراحة الناس، وهم مرهم جراح الأشخاص الجرحى.

وأي عجب إذا قالوا للكلام القاسي إنه لذيذ حلو فليس أحلى من الكلام الحلو إلا هم.

اجمع خاطرك ولاتخف منهم يا«صائب» فإنهم مشغولون بأنفسهم وقلقون عليها.

«فَإِنَّ مَثَلَ الْواعِظِ وَالْمَوْعُوظِ كَالْيَقْظانِ وَالرّاقِدِ، فَمَنِ اسْتَيْقَظَ مِنْ رَقْدَةِ غَفْلَتِهِ وَمُخالَفاتِهِ وَمَعاصيهِ صَلُحَ أَنْ يُوقِظَ غَيْرَهُ مِنْ ذلِكَ الرُّقادِ»

مكانة الوعظ والتبليغ:

إن الواعظ والمتعظ هما في الحقيقة كالمتيقظ والنائم، وبالتالي فالإنسان الذي استيقظ من نوم الغفلة ونجى من أسر العصيان والمخالفة للحق تعالى هو الذي يملك الأهلية لإنقاذ أهل الغفلة من غفلتهم، وإيقاظ النائمين، وإصلاح الفاسدين وهدايتهم.

فالإنسان الطاهر المتخلق بأخلاق الحق المتحلي بالتقوى المجتنب للخلاف والعصيان إذا قام بالموعظة فإن موعظته تترك أثراً عجيباً في القلوب المستعدة، فالذين عرفوا الله تعالى على مرِّ التاريخ إنما عرفوه بواسطة هؤلاء الوعاظ، والذين رجعوا إلى الله بالتوبة إنما رجعوا إليه بواسطة هؤلاء.

تبليغ المحدث القمي:

حكى لي أحد علماء طهران، والذي كان مقيماً في مدينة قم لسنوات طويلة في زمن مرجعية آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري، فقال:

عندما جاء المحدث القمي صاحب كتاب «**المفاتيح**» و«**السفينة**» إلى مدينة قم، دعاه المرحوم الحاج الشيخ لإقامة مجالس الخطابة بعد صلاتي المغرب والعشاء لمدة

عشرة أيام، وقد لبى ذلك الشخص الصالح تلك الدعوة، فكان يقوم بالوعظ والموعظة ليلاً في صحن حرم السيدة المعصومة (س) للناس وطلبة العلوم الدينية.

وعندما سئل المرحوم الحائري عن رأيه بمنابر الحاج الشيخ عباس؟

أجاب بتواضع وأدب: إنني مستعد للاقتداء بصلواتي الواجبة لثلاثة أيام بأي طالب أراه بجانب منبره ويحضر مجلس وعظه، وذلك لأن منابر ومواعظ هذا الشخص تؤثر في إيجاد روح العدالة عند المستمع؟!.

نعم، عندما يكون الواعظ من أهل المعرفة والمعنى والصفاء، ومتخلقاً بالأخلاق الإلهية، ومتحلياً بالصدق والإخلاص، فإنه ينقل المستمع من ظلمات الضلالة إلى عرش الكرامة، ومن وادي الاضطراب إلى فضاء الأمن، ومن نقطة البعد إلى مقام القرب، ومن صحراء الهجران إلى جنة اللقاء.

يقول «كمباني»:

فداء نور وجهه الذي صعقني مثل طور عندما تجلى.

إن فيضان حزني من سويداء قلبي أجرى دموعي كالبحر.

وألقى الملح على جرح قلبي شَرَرٌ أثار جمالك.

إذا أخذ القوة من بدني فسوف يقوى القلب مئة ضعف.

لقد أخذني العشق من حضيض الثرى إلى أعلى من أوج الثريا.

التضرع الخالص للشيخ جعفر كاشف الغطاء:

يحكي أحد العلماء عن الشهيد الثالث ـ المدفون في قزوين، والذي استشهد على اليد القذرة لحزب البهائية المشؤوم في محراب العبادة عند السحر:

عندما دخل الشيخ جعفر الكبير ـ المعروف بكاشف الغطاء ـ قزوين، نزل في منزل أخي الملا محمد صالح، وكان المكان عبارة عن بستان كبير.

ونام الضيوف كلٌّ في مكان، واستلقيت أنا أيضاً في زاوية من البستان، وبعد مضي شطر من الليل، شعرت بالشيخ يناديني كي أقوم وأصلي صلاة الليل، فأجبته بأنني سوف أقوم، فتركني الشيخ ومضى، وأخذني النعاس ثانية فغفت عيني، وفجأة شعرت بأن حالي قد تغيرت وكأن ألماً أصاب قلبي فجأة، ونهضت من شدة الألم، وتبين لي أن تغير حالي سببه الصوت الذي أسمعه، وتتبعت الصوت، وعندما اقتربت من مصدره رأيت الشيخ جعفر كاشف الغطاء مشغولاً بالمناجاة مع قاضي الحاجات وهو في منتهى الخضوع والخشوع والتضرع، وقد أثر التأوه الخالص له في قلبي لدرجة أنني وعلى أثر ذلك التأوه كنت أنهض لصلاة الليل والمناجاة لمدة خمس وعشرين عاماً !!.

نعم، إن وجوه الأتقياء، وأحوال المحسنين، و أخلاق الصالحين، والعمل الصالح وكلام المخلصين وحتى تأوههم وتضرعهم في السحر له تأثير عجيب في القلوب المستعدة.

فموعظة الإنسان المتيقظ غير الغافل تكون مثل نَفَس المسيح تحيي الروح. وقد نقل عن الشيخ الأنصاري أنه كان يسأل أحياناً في نهاية درس يوم الأربعاء: أين مكان مجلس الحاج الشيخ جعفر الشوشتري الذي يعظ فيه، فالروح قد أصابها الألم والكدر، والقلب قد بدا عليه الصدأ، أو كان يسأل: هل يوجد الليلة منبر لواعظ يذهب الصدأ عن القلب!

نعم، فالواعظ ذو المعرفة والمتقي مَثَله مَثَل المتيقظ، والمتعظ مَثَله مَثَل النائم، فإذا استيقظت الأمة النائمة على أثر النصائح والمواعظ، فإنها سوف تحفظ حينئذ من الشرور والفتن، وسوف تكون مصونة من خطر الحوادث.

تنبه الناس في التبليغ:

سمعت المحقق الخراساني ـ وهو عالم متقي كان يصعد على المنبر في سن الثمانين ـ يقول:

لقد ربى الفاتيكان مبلغين كثيرين لتبليغ المسيحية، وسلَّح كل واحد من المبلغين باللغة الخاصة بالمنطقة التي سيذهب إليها، وقد أرسل أحد هؤلاء المبلغين إلى مناطق الحدود الشمالية لإيران، وقبل وصول ذلك المبلِّغ المسيحي تم شراء بيت في القرية الحدودية وجعلت كنيسة ليكون للمبلِّغ عند وصوله إلى هناك مكان للتبليغ.

وعند وصول المبلِّغ المسيحي إلى قرب القرية، كان هناك شاب صغير في الثالثة عشر أو الرابعة عشر من عمره قد خرج إلى الصحراء مع بعض الأغنام يرعاها، والتقى به القس فلاطفه بمحبة وسأله عن عنوان الكنيسة في القرية، فأعطاه الشاب عنوان المكان، فقال القس: أحسنت ياولدي، إنك فتى عزيز وشهم، إنني أدعوك للكنيسة عند وقت الغروب لأراك، فسأله الشاب: لماذا؟. قال: لأدلك على طريق الجنة، فرمى الشاب نظرة إلى وجه القس وقال: اذهب أيها المسكين، لقد كنت عاجزاً عن معرفة مكان كنيسة في زاوية قرية، وقد طلبت مني عنوانها، فكيف تقدر أن تدلني على عنوان جنة الله الموجودة في فضاء لامتناه من المعنوية؟!.

وأدرك القس بقوة فراسته أن هناك عالماً بصيراً وناصحاً مشفقاً وواعظاً يقظاً مشرف على هذه القرية، ومع وجوده فلن ينجح التبليغ والترويج للمسيحية، فرجع من حيث أتى.

نعم، فالمتنبهون عندما يوقظون شخصاً، فهم في الحقيقة قد أحيوا روحه الميتة، وأيقظوا عقله المتعب، وحولوا نحاس قلبه إلى ذهب، وحصَّنوه تجاه الحوادث ومخاطر شياطين الجن والإنس.

إن المبلغين والخطباء المتصفين بالصفات الحميدة والأخلاق الحسنة، والذين قبل أن يطالبوا الناس ويدعوهم إلى:

«تَخَلَّقوا بِأَخْلاقِ اللّهِ»[1]

فإنهم يكونون قد اتصفوا بتلك الأخلاق الإلهية، ليس لهم هدف وغرض سوى إلفات الناس إلى الحقائق وأن ظواهر الأمور ليست أكثر من مجرد لهو ولعب، وهمتهم في أن يوجه الناس قلوبهم من عالم الفناء إلى عالم البقاء، ويعملوا بما يجعل وجودهم مرآة للجمال ومنبعاً للكمال.

إنهم يقولون لمستمعيهم:

أيها القلب إلى متى تبقى غافلاً عن حال نفسك وإلى متى تبقى راغباً بالعيش في الدنيا.

أنت طائر من حظائر الجنان ولك منزل على غصن شجرة طوبى.

١ـ بحار الأنوار: ١٢٩/٥٨، تتميم.

فماالذي جرى حتى صرت بعد ذلك المكان هناك أسيراً هنا ومع كل نَفَس يأتيك النداء من العرش.

إياك أن تخرب مكانك فإن مأواك كان داخل الجنان.

وليس هذا العالم وطنك أيها القلب بل أنت هنا غريب.

وإذ بك تتعلق بالغربة بشدة بحيث أنك قد انفصلت وتخليت عن موطنك.

فاذكر موطنك مرة أخرى وابتهج من تذكر وطنك.

فقد قال خاتم الرسل حب الوطن من الإيمان.

فإذا شعرت بميل إلى الوطن في الغربة فابحث حتى تجد واحداً من أهل وطنك.

واقطع بإرشاده هذا الطريق وإياك أن تمشي وحدك.

فإنه سوف يأخذ بك إلى الوطن وسوف يخلصك من ألم الغربة.

موعظة الميرزا مهدي الأصفهاني:

يقول العالم الرباني المرحوم الحاج الشيخ مجتبى القزويني صاحب كتاب «**بيان الفرقان**»، وهو من أساتذة خراسان الذين يقل نظيرهم:

عندما زار الميرزا مهدي الأصفهاني مدينة مشهد، وشرع في درس المعارف الإلهية طبقاً لمذاق القرآن وأهل البيت عليهم السلام، قمت بدعوة زميلي في الدرس الشيخ هاشم القزويني إلى تلك الجلسة المليئة بالفيض والبركة.

وقد حضر إلى الدرس، ولكن ذلك المجلس لم يجذبه، ولأنه اعتبر مجلس درس الميرزا سهلاً وعادياً، فلم تكن لدي رغبة بمجيئه إلى ذلك الدرس، ولكنه

بعد مدة جاء إلى الدرس أثناء الدرس كان يلقي الأسئلة والإشكالات على الميرزا بشكل غير عادي، وذات ليلة قال له الميرزا وسط الدرس: «**راقب الله**».

وهدأ الشيخ هاشم بشكل تام، وعندما خرجنا من الجلسة سألته: ياشيخ هاشم! لقد كنتُ كارهاً مجيئك إلى درس الميرزا مهدي، لأنني رأيتك في عالم الرؤية تستشكل على الأستاذ بكثرة، فهجم الأستاذ عليك بسكين وقطع رأسك.

نعم، سكين المراقبة، تقطع رأس هوى النفس، وتمنع الإنسان من الحركات غير الإلهية.

وكان الشيخ هاشم يقول في آخر عمره:

إن جملة «**راقب الله**» في تلك الليلة للميرزا مهدي قد منعتني لمدة خمسين سنة من الأعمال غير الإلهية !.

حقاً، كم للنفس التقية من تأثير عجيب في القلوب المستعدة والأرواح المتهيئة، حيث بنهيب واحد تحفظ شخصاً لمدة خمسين عاماً ضمن مدار دائرة الحق !.

يقول «فروغي بسطامي»:

لهذا التضرع الخالص آثار، فإنه ينير أسحار الليالي المظلمة.

فلاتغفل عن أحوال القلب الذي أحرقه العشق فإنه يقدح الشرر في مرجل القلب.

«وَأَمَّا السَّائِرُ في مَفاوِزِ الأَعْتِداء، الخائِضُ في مَراتِعِ الْغَيِّ وَتَرْكِ الْحَياء بِاسْتِحْبابِ السُّمْعَةِ وَالرِّياء وَالشُّهْرَةِ وَالتَّصَنُّعِ فِي الْخَلْقِ الْمُتَزيّي بِزِيِّ الصّالِحينِ الْمُظْهِرِ بِكَلامِهِ عِمارَةَ باطِنِهِ وَهُوَ في الْحَقيقَةِ خالٍ عَنْها قَدْ غَمَرَتْها وَحْشَةُ حُبِّ الْمَحْمَدَةِ وَغَشِيَها ظُلْمَةُ الطَّمَعِ فَما أَفْتَنَهُ بِهَواهُ وَأَضَلَّ النّاسَ بِمَقالَتِهِ قالَ اللّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[1]»

تظاهر بطهارة الباطن:

أما من كان حاله كما تبينه هذه الفقرات هنا، وقد خالف ظاهره باطنه، وهو يسعى للسمعة والشهرة، وقلبه خال عن حقائق مايقوله للناس، فكيف له أن يكون مرشداً للناس، وهادياً لهم من الضلال !.

---

١ ـ الحج ٢٢: ١٣.

«وأمّا مَنْ عَصَمَهُ اللّهُ بِنُورِ التَّأْييدِ وَحُسْنِ التَّوْفيقِ وَطَهَّرَ قَلْبَهُ مِنَ الدَّنَسِ فَلا يُفارِقُ الْمَعْرِفَةَ وَالتُّقى فَيَسْتَمِعُ الْكَلامَ مِنَ الأَصْلِ وَيَتْرُكُ قائِلَهُ كَيْفَ ما كانَ. قال الحُكَماءُ: خُذِ الْحِكْمَةَ مِنْ أَفْواهِ الْمَجانينَ»

المتعظ المستعد:

يشير الإمام الصادق عليه السلام في هذه الجمل إلى المتعظ المستعد وهو الذي عصمه الله بتوفيقه من الهلاك، وطهر قلبه من القذارات وأصبح مستعداً للتأثر من المواعظ، وأنه عندما يسمع الكلام فإنه يلاحظ مضمون الكلام ولاينظر إلى القائل طبقاً للحكمة القائلة: خذ الحكمة ولو من أفواه المجانين.

نعم، إن من يسعى للهداية ويعشق الحكمة والحقيقة، ويريد طي طريق الكمال والفلاح، فإنه يهتم بأصل الكلام لابالمتكلم، فهو إنسان متعظ ولو كانت الموعظة قد كتبت على الجدار، أو كان المتكلم بها مجنوناً أو من أعداء الله، فالعالم وكل مافيه هو موعظة لقلب الإنسان المتنبه اليقظ.

والقرآن إنما خصص قسماً من آياته الكريمة لبيان حياة فرعون ونمرود وأمثالهما من الظلمة، والأقوام والأمم الفاسدة، وذلك كي يتعظ الناس من حياة

هؤلاء، ويفهموا أنهم إن سلكوا طريق هؤلاء فإنهم سينتهون إلى عاقبة سيئة وينالهم العذاب الإلهي، فالقلب المتنبه والفؤاد المتيقظ يتعظ أيضاً من الملحدين والظلمة والجائرين، ولاشغل له بمصدر الموعظة.

الاتعاظ من الحيوان:

نقلوا أن الواعظ العامل الحاج الشيخ جعفر الشوشتري سافر من طهران بقصد زيارة الإمام الرضا عليه السلام، ورافقه في السفر مجموعة من العلماء والطلاب بإذنه.

وتحركت القافلة، ووصلت إلى مسجد كان قد تم نصف بنائه، وكان العمال مشغولين بالعمل، وفجأة لاحظوا أن الشيخ جعفر جلس على الأرض وهو يبكي بشدة، ولما سألوه عن السبب، أجاب: عندما وصلت إلى هنا، وجدت أن العمال كانوا قد أفرغوا الحمل الذي كان هذا الحمار يحمله من الحجارة والحصى، ورفعوا عنه الحزام كي يستريح، وجلس الحمار على الأرض يفرك بدنه على الأرض بحركاته، وفي البين نظر إلي، وصاح: ياشيخ! لقد أوصلت حمل صاحبي إلى المنزل المقصود، فهل أوصلت أنت وقد مضى على عمرك أكثر من خمسين عاماً أمانة صاحبك حضرة الحق إلى المنزل المقصود أم لا؟ ولم أستطع تحمل هذا التحذير من هذا الحيوان، فلم أستطع منع نفسي من البكاء !!.

نعم، إذا كان بناء الإنسان على أن يتعظ، فإنه يستطيع الاتعاظ من كل شيء ومن كل أحد فيستفيد من ذلك في كماله وفلاحه، وأما إذا لم يكن بناؤه على الاتعاظ فإنه لن يتعظ من أي شيء كان ومن أي شخص كان، ولن يسمع الموعظة حينئذ حتى لو كانت من الحق تعالى.

يقول «صائب تبريزي»:

شغلت عين قلبي البصيرة بالدنيا وسددت نافذة القلب بحفنة من الوحل.

لم أكن أعلم أنه ستدخل الأشواك في قدمي وكسرت بلاسبب إبرة القلب في ثوب البدن.

خدعتني العين فعلقت سفينتي آخر الأمر في الوحل ولم تكن لتعلق لو أني أمسكت بحجزة القلب.

إذا جعلني حطب جهنم فياحسرة إذ جعلت شجرة القلب المباركة خالية من الثمار.

موعظة من الفقيه الخراساني:

دعيت إلى إحدى المحافظات لإلقاء خطبة بمناسبة ولادة الإمام الحسين عليه السلام، والتقيت هناك بعالم جليل، وكنت زميله حتى انتهاء إقامتي هناك، وكان يتحدث معي بنكات توحيدية وأخلاقية ثمينة، وكان يشير أحياناً إلى مسائل لها بعد وعظي وتنبيهي.

كان يقول: كنت قد سمعت كثيراً باسم الحاج الشيخ غلام رضا يزدي المعروف بالفقيه الخراساني، وقد سمعت أوصاف ذلك الرجل من أهل الدين، وأنه رجل عظيم، وله أحوال وروحيات، وأنه قدم خدمات للإسلام، وخصوصاً في محرم وصفر وشهر رمضان حيث كان يذهب من أجل الوعظ والتبليغ بواسطة الحمار أو البغل أو الحصان إلى المناطق النائية من يزد وجندق وبيابانك وكرمان وسيرجان، وبعبارة أخرى كان يذهب إلى المناطق التي لم يصل إليها عالم من قبل، وكان أحياناً يدفع من جيبه تكاليف السفر وحتى إقامة مجالس

الوعظ والتبليغ، وكان سبب سفره بواسطة الدواب عدم توفر السيارات في تلك المناطق في زمنه، أو كانت قليلة بحيث لاتكفي.

وقد رغبت بلقاء ذلك العالم الجليل، ولكني لم أوفق لذلك، إلى أن تشرفت بزيارة مدينة مشهد المقدسة، وفي إحدى الليالي رأيت الناس مجتمعين بعد الزيارة في روضة نهاوندي في مسجد گوهرشاد يستمعون لخطبة رجل بكامل انتباههم، وكان نور الله بادياً على وجهه، ولما سألت الخادم عن الواعظ وأنه من يكون، قال لي: إنه الحاج الشيخ غلام رضا يزدي المعروف بالفقيه الخراساني.

واشتركت في ذلك المجلس المبارك، وكان مشغولاً بالوعظ بلهجته اليزدية الجميلة، وكان الدمع يجري أحياناً من عينيه على وجهه النوراني، وضمن موعظته نقل الحكاية التالية:

لقد تعرفت في يزد على رجل كان مورد اعتمادي من جميع الجهات، ودعاني في إحدى الليالي إلى منزله لتناول العشاء، وقال لي: إن سبب الدعوة هو أن لي شريكاً في أمور التجارة في كرمان وقد أتى إلى يزد من أجل مراجعة الحسابات المالية وهو ضيفي في بيتي، وهو مشتاق جداً للقائك، فقلت له: سوف أذهب بعد الصلاة والخطبة، وبعد انتهاء برنامج المسجد ركبت الحمار وتحركت باتجاه منزل ذلك الرجل، وكان المطر ينزل وقد امتلأت الأزقة بالطين والوحل، ودخلت الزقاق المعهود، فوقعت رجل الحمار في الفتحة التي كان معدة لتصريف مياه الأمطار، ووقعت أنا على الأرض وتلوثت عمامتي وعباءتي بالوحل، وجاء صاحب المنزل فساعدني وأخذني إلى منزله، وأرسلت إلى منزلي فأرسلوا لي عباءة وعمامة، وانتهت الجلسة، وعدت إلى منزلي قرابة منتصف

الليل، وبعد عام على مضي هذه الحادثة دعاني صديقي ثانية إلى منزله، وكان السبب هذه المرة عرس ولده، وقد قبلت الدعوة لأنه كان رجلاً متديناً وتقياً جداً، وبعد صلاتي المغرب والعشاء ومجلس الوعظ، تحركت بنفس ذلك الحمار إلى بيت ذلك الرجل، وعندما وصلت إلى ذلك الزقاق توقف الحمار عن الحركة، ولم أستطع بأي وسيلة جعله يدخل ذلك الزقاق، وفجأة التفت إلى هذه الحقيقة، وهي أنه في العام الفائت قد وقع حماري في هذا الزقاق بسبب الفتحة الموجودة في الزقاق، وقد تذكر الحمار هذا عندما رأى الزقاق ثانية الآن، ولهذا فهو يمتنع من الدخول في الزقاق.

وبعد أن ذكر هذه القصة خاطب الناس وهو يبكي قائلاً: حيوان امتنع عن الحركة بعد عام كامل بسبب مواجهته لخطر واحد، وأنتم ورغم رؤيتكم لكل هذه الأضرار للذنوب، وكل هذه المفاسد للمعاصي، مازلتم تمدون أيديكم للذنوب، وتلوثون أنفسكم بالمعصية؟!!.

يقول الحكيم الجليل «فيض»:

يمكن أن يختطف قلبي إلى الحق وتصبح أخلاقي كلها حسنة بجذبة واحدة.

يمكن أن تطير الروح نحو الحق وتفيدها يديّ الأمل تمسك بهما ساق العرش.

يمكن أن يأتي نسيم الحق من طرف اليمن بشكل يذهب العقل من الرأس والروح من البدن.

يمكن أن تصبح عبوديتي خالصة ويمتحن إخلاصي بصدق العبودية.

«قالَ عيسَى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام: جالِسوا مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللّهَ رَؤْيَتُهُ وَلِقاؤُهُ فَضْلاً عَنِ الْكَلامِ، وَلا تُجالِسوا مَنْ تُوافِقُهُ ظَواهِرُكُمْ وَتُخالِفُهُ بَواطِنُكُمْ فَإِنَّ ذلِكَ لَمُدَّعي بِما لَيْسَ لَهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ فِي اسْتِفادَتِكُمْ»

المجالسة والصداقة:

وينقل الإمام الصادق عليه السلام هنا كلاماً لعيسى بن مريم عليه السلام يبين فيه صفات من ينبغي مجالستهم ممن لاينبغي مجالستهم.

فينبغي مجالسة من تذكر رؤيته الله فضلاً عن كلامه.

ولاينبغي مجالسة من يكون ظاهره حسناً، ولكن باطنه خلاف ذلك، خوف سراية خبث باطنه إلى جليسه، فإنه منافق.

وهذا كله إذا كان الإنسان صادقاً في طلب الحقيقة.

«وَإذا لَقيتَ مَنْ فيهِ ثَلاثُ خِصالٍ فَاغْتَنِمْ رُؤْيَتَهُ وَلِقاءَهُ وَمُجالَسَتَهُ وَلَو ساعَةً فَإنَّ ذلِكَ يُؤَثِّرُ في دينِكَ وَقَلْبِكَ وَعِبادَتِكَ: قَوْلٌ لا يُجاوِزُ فِعْلَهُ، وَفِعْلٌ لا يُجاوِزُ صِدْقَهُ، وَصِدْقٌ لا يُنازِعُ رَبَّهُ، فَجالِسْهُ بِالْحُرْمَةِ وَانْتَظِرِ الرَّحْمَةَ وَالْبَرَكَةَ. وَاحْذَرْ لُزومَ الْحُجَّةِ عَلَيْكَ، وَراعِ وَقْتَهُ كَيْ لا تُلْزَمَهُ فَتَخْسَرَ، وَانْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ فَضْلِ اللّهِ تَعالى عَلَيْهِ وَتَخْصيصِهِ لَهُ وَكَرامَتِهِ إِيّاهُ»

خصال الرفيق والجليس:

يقول الصادق عليه السلام:

إذا وجدت شخصاً فيه ثلاث خصال فاغتنم مجالسته ولقاءه ولو لفترة وجيزة، لأن هذا اللقاء يزيد في قوة دينك ونور قلبك وإخلاصك في مقام العبودية، وتنتقل بركاته إليك، والخصال هي:

١- قوله يلازمه عمله.

٢- عمله يلازمه الصدق.

٣- صدقه يكون من أجل طاعة الله ورضاه.

فمع مثل هذا لتكن مجالستك ومصاحبتك، واحترمه، واجعل نفسك في معرض نسيم بركاته وخيره، والتفت إلى أنك إن لم ترع حرمته ولم تستفد من مجالسته فقد تمت الحجة الإلهية عليك، ولن يقبل منك عذر في ذلك.

وانتبه كي لاتتلف وقته دون فائدة، ولاتتعبه، ولاتزعجه، فهذا يرجع عليك بالضرر، وتذكر دائماً فضل الله وكرامته ولطفه الخاص به، وعاشره، فإن المعاشرة مع مثله واستماع كلامه ينجي الإنسان من أسر الجهل والهوى والشهوة والشيطان، ويأخذ به إلى فضاء النور والتوحيد.

يقول «عطار»:

إذا أصبحت من خواص بيت التوحيد فإنك تصبح مَلِك العالم وفخر بني آدم.

كن ظلاً حتى إذا أشرقت الشمس فلاتبقى وتزول بالشمس وتصبح من الخواص.

اجعل روحك معتكفة دائماً في التوحيد فلماذا أنت في عالم التفرقة وفي كل نفس تصبح مئة عالم.

كنت موافقاً في السابق وتريد أن تكون كذلك مستقبلاً فكن في هذا الزمن أيضاً موافقاً لتصبح مقرباً.

اجعل لونك لون البحر مثل قطرة الندى التي لالون لها لتصبح شبيهاً بالبحر وإن كنت ستغدو مجرد قطرة ندى.

ماهي قطرة الندى لتنفصل عن البحر ولو جربت أنت لأصبحت أيضاً بلا غَمٍّ في البحر الكبير.

إنك إذا أتيت يا«عطار» وأنت لاشيء فسوف تصبح كل شيء دائماً وإذا كنت تريد كل شيء مثل الرجال فسوف تصبح لاشيء خلال لحظة.

الباب

(٧٣)

في الوصايا

قالَ الصّادِقُ عليه السلام:

أَفْضَلُ الْوَصايا وَأَلْزَمُها أَنْ لا تَنْسى رَبَّكَ وَأَنْ تَذْكُرَهُ دائِماً وَلا تَعْصِيَهُ وَتَعْبُدَهُ قاعِداً وَقائِماً وَلا تَغْتَرَّ بِنِعْمَتِهِ وَاشْكُرْهُ أَبَداً وَلا تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ آثارِ عَظَمَتِهِ وَجَلالِهِ فَتَضِلَّ وَتَقَعَ في مَيْدانِ الْهَلاكِ وَإِنْ مَسَّكَ الْبَلاءُ وَالضَّرّاءُ وَأَحْرَقَكَ بِنيرانِ الْمِحَنِ وَاعْلَمْ أَنَّ بَلاياهُ مَحْشُوَّةٌ بِكَراماتِهِ الأَبَدِيَّةِ وَمِحَنُهُ مُورِثَةٌ رِضاهُ وَقُرْبَهُ وَلَوْ بَعْدَ حينٍ فَيالَها مِنْ أَنْعُمٍ لِمَنْ عَلِمَ وَوُفِّقَ لِذلِكَ.

رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً اِسْتَوْصى رَسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله فَقالَ: لا تَغْضَبْ أَبَداً فَإِنَّ فيهِ مُنازَعَةَ رَبِّكَ. فَقالَ: زِدْني فَقالَ: إِيّاكَ وَما تَعْتَذِرُ مِنْهُ فَإِنَّ فيهِ الشِّرْكَ الْخَفِيَّ فَقالَ: زِدْني فَقالَ: صَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ فَإِنَّ فيها الْوُصْلَةَ وَالْقُرْبى. فَقالَ: زِدْني فَقالَ: اِسْتَحْيِ مِنَ اللّهِ تَعالى اسْتِحْياءَكَ مِنْ صالِحِ جيرانِكَ فَإِنَّ فيهِ زِيادَةَ الْيَقينِ.

وَقَدْ جَمَعَ اللّهُ تَعالى ما يَتَواصى بِهِ الْمُتَواصُونَ مِنَ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ في خَصْلَةٍ واحِدَةٍ وَهِيَ التَّقْوى، يَقولُ اللّهُ تَعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[1].

وَفيهِ جِماعُ كُلِّ عِبادَةٍ صالِحَةٍ وَبِهِ وَصَلَ مَنْ وَصَلَ إِلَى الدَّرَجاتِ الْعُلى وَالرُّتَبِ الْقُصْوى وَبِهِ عاشَ مَنْ عاشَ مَعَ اللّهِ بِالْحَياةِ الطَّيِّبَةِ وَالأُنْسِ الدّائِمِ.

قالَ اللّهُ تَعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[2].

١ـ النساء ٤: ١٣١.

٢ـ القمر ٥٤: ٥٤ ـ ٥٥.

«أَفْضَلُ الْوَصايا وَأَلْزَمُها أَنْ لا تَنْسى رَبَّكَ وَأَنْ تَذْكُرَهُ دائِماً وَلا تَعْصِيَهُ وَتَعْبُدَهُ قاعِداً وَقائِماً وَلا تَغْتَرَّ بِنِعْمَتِهِ وَاشْكُرْهُ أَبَداً وَلا تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ آثارِ عَظَمَتِهِ وَجَلالِهِ فَتَضِلَّ وَتَقَعَ في مَيْدانِ الْهَلاكِ وَإِنْ مَسَّكَ الْبَلاءُ وَالضَّرّاءُ وَأَحْرَقَكَ بِنيرانِ الْمِحَنِ وَاعْلَمْ أَنَّ بَلاياهُ مَحْشُوَّةٌ بِكَراماتِهِ الأَبَدِيَّةِ وَمِحَنُهُ مُورِثَةٌ رِضاهُ وَقُرْبَهُ وَلَوْ بَعْدَ حينٍ فَيالَها مِنْ أَنْعُمٍ لِمَنْ عَلِمَ وَوُفِّقَ لِذلِكَ»

أفضل الوصايا:

يقدم الإمام الصادق عليه السلام في هذا الفصل أفضل الوصايا للناس، ويبدو حسب الظاهر أنه عليه السلام بصدد تعليم الذين يريدون تقديم الوصية والنصيحة لغيرهم بأن يقدموا لهم أفضل الوصايا والنصائح، فعن طريق هذه الوصايا يتعرف الناس على الحقائق وتتخلص قلوبهم من الكدر والظلمة، ويتحلون بالفضائل والكمالات، وباعتبار أن جميع أبواب الكتاب القيّم «**مصباح الشريعة**» هي عبارة عن وصايا الإمام الصادق عليه السلام لعباد الله، فإننا نكتفي بتوضيح مختصر لهذا الباب، ونحيل تفصيله إلى مامضى في الأبواب السابقة ومايأتي منها أيضاً.

يقول عليه السلام:

إن أفضل وأهم وأعلى وأوجب الوصايا هي أن لاتنسى الله في أي حال، واذكره

دائماً وفي جميع الحالات، فإنه تعالى قد أنعم عليك بأنواع النعم، ولم ينسك في شيء من ذلك.

إياك ومخالفة أوامره ونواهيه، ولاتخرج أبداً وفي جميع الحالات عن زي العبودية والطاعة، فإنه يستحق أن تطيعه وتعبده، وأنت شأنك الخدمة والعبودية له تعالى.

ولاتغتر بنعمه التي أنعم بها عليك من باب لطفه ورأفته.

فمن أصابه الغرور بالمال وقع في أخلاق قارون، ومن أصابه غرور السلطة تحول إلى فرعون، ومن أصابه غرور العلم والمعرفة صار بلعم بن باعورا، وكل هؤلاء قد وقعوا في عذاب الدنيا والآخرة، ونالوا الخزي الأبدي.

أما أهل اليقظة والبصيرة فقد حفظوا أنفسهم، والتزموا جانب التقوى والطاعة، فصرفوا مالهم بعد أن أخذوا حصتهم منه في سبيل الله من خلال تقديمه للأيتام وذوي القربى والفقراء والمساكين والمحتاجين وجبهات الحق ضد الباطل، وكذلك في سبيل نشر المعارف الإلهية، ونالوا بذلك رضا الحق تعالى.

أولئك الذين استفادوا من المقام والجاه والشهرة والمنصب الذي لهم في سبيل خدمة عباد الله فقد نالوا عناية الحق ولطفه الخاص بهم، وأولئك الذين استفادوا من علمهم في سبيل نشر المعارف وهداية عباد الله فقد نالوا الكرامة والمحبة الأبدية.

إن الانخداع بظواهر الدنيا والنعم المادية والمعنوية هو عين الحماقة ومحض الجهل وابتعاد عن التقوى وطاعة الله.

فكن شاكراً لنعم المحبوب، وشكره تعالى يكون بصرف نعمه بالشكل المناسب الذي أمر به هو.

ولاتخرج من تحت ظل رحمته وعظمته وجلاله بسبب العصيان والذنب فتقع في الضلال والهلاك، وتصاب حينئذ بسوء العاقبة وينالك العقاب الإلهي.

ولابد لك من الالتفات طبعاً إلى أن الاستقامة والصبر في سبيل الدين، والبقاء في دائرة الشكر والعبودية يترافق مع أنواع البلاء والمتاعب، فمهما ابتليت في سبيل الله بأنواع المصائب والابتلاءات والآلام فاصبر عليها، واعلم أن المصائب والابتلاءات التي ليست من صنعك وإنما تصل إليك منه تعالى فهي تحمل معها الكرامة وهي سبب للقرب والنورانية وجلب رضا الله تعالى، وإن تأخر ذلك عنها. آه! كم تحمل هذه البلاءات والمحن في سبيل الله من أسباب التوفيق والسعادة للإنسان !!.

أولئك الذين استنارت قلوبهم في طريق معرفته تعالى بنور العشق لايخافون شيئاً في سبيل الوصول إلى القرب الإلهي، ولايتراجعون أمام أي مصيبة كانت، ولايتعبون من الابتلاءات والصعوبات، فالعشق هو محركهم ومربيهم إلى أن يصلوا إلى المعشوق.

«رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً اِسْتَوْصى رَسولَ اللّهِ ﷺ فَقالَ: لا تَغْضَبْ أَبَداً فَإِنَّ فيهِ مُنازَعَةَ رَبِّكَ. فَقالَ: زِدْني فَقالَ: إِيّاكَ وَما تَعْتَذِرُ مِنْهُ فَإِنَّ فيهِ الشِّرْكَ الْخَفِيَّ فَقالَ: زِدْني فَقالَ: صَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ فَإِنَّ فيهَا الْوَصْلَةَ وَالْقُرْبى. فَقالَ: زِدْني فَقالَ: اِسْتَحْيِ مِنَ اللّهِ تَعالى اسْتِحْياءَكَ مِنْ صالِحِ جيرانِكَ فَإِنَّ فيهِ زِيادَةَ الْيَقينِ. وَقَدْ جَمَعَ اللّهُ تَعالى ما يَتَواصى بِهِ الْمُتَواصُونَ مِنَ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ في خَصْلَةٍ واحِدَةٍ وَهِيَ التَّقْوى، يَقولُ اللّهُ تَعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[1]»

الوصية بالتقوى:

التقوى وصية جميع الأنبياء، والأولين والآخرين، والرواية واضحة في معناها فيما حذرت منه من الغضب فإن فيه منازعة الله تعالى، ومن إتيان مايوجب الاعتذار منه فإن فيه الشرك الخفي، وفيما حثت عليه من لزوم أن يصلي الإنسان صلاته وكأنها صلاته الأخيرة فإن ذلك يعينه في زيادة الارتباط بالله والتقرب منه تعالى، ومن لزوم الاستحياء من الله تعالى كاستحياء الإنسان من جيرانه الصالحين

١ـ النساء ٤: ١٣١.

فإن ذلك يزيد من يقينه.

وسوف نتعرض بالشرح للتقوى في الباب الثاني والثمانين بتوفيقه تعالى.

«وَفيهِ جِماعُ كُلِّ عِبادَةٍ صالِحَةٍ وَبِهِ وَصَلَ مَنْ وَصَلَ إِلَى الدَّرَجاتِ الْعُلى وَالرُّتَبِ الْقُصْوى وَبِهِ عاشَ مَنْ عاشَ مَعَ اللّهِ بِالْحَياةِ الطَّيِّبَةِ وَالأُنْسِ الدّائِمِ.

قالَ اللّهُ تَعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[1]»

فالتقوى روح العبادة الصالحة، وهي سبب الوصول إلى المقامات العالية، وبها يعيش الإنسان الأنس بالله تعالى.

يقول «عراقي»:

أيها الغني لقد رجعت ثانية إلى بابك حاملاً معي احتياجي راجياً منك القبول.

جئت مؤملاً إلى باب لطفك فالرجاء منك أن لاأرجع آيساً.

رميت قلبي أمام بابك فأنت تعلم جميع مافيه.

إذا نظرت ولو مرة للقلب المحزون فسوف تحرره من حرارة الهجران المحرقة.

لقد جئت عاجزاً من نفع قلبي فأحيه بلطفك وأعده نافعاً.

١ـ القمر ٥٤: ٥٤ ـ ٥٥.

الباب

(٧٤)

في الصدق

قالَ الصادِقُ عليه السلام: اَلصِّدْقُ نُورٌ مُتَشَعْشِعٌ في عَالَمِهِ، كَالشَّمْسِ يَسْتَضيءُ بِها كُلُّ شَيْءٍ بِمَعْناهُ مِنْ غَيْرِ نُقْصانٍ يَقَعُ عَلى مَعْناهُ.

وَالصّادِقُ حَقّاً هُوَ الَّذي يُصَدِّقُ كُلَّ كاذِبٍ بِحَقيقَةِ صِدْقِ ما لَدَيْهِ وَهُوَ الْمَعْنَى الَّذي لا يُسْمَعُ مَعَهُ سِواهُ أَوْ ضِدُّهُ مِثْلُ آدَمَ عليه السلام صَدَّقَ إِبْليسَ في كِذْبِهِ حينَ أَقْسَمَ لَهُ كاذِباً لِعَدَمِ ما بِهِ مِنَ الْكِذْبِ في آدَمَ عليه السلام قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[1].

وَلأَنَّ إِبْليسَ أَبْدَعَ شَيْئاً كانَ أَوَّلَ مَنْ أَبْدَعَهُ وَهُوَ غَيْرُ مَعْهودٍ ظاهِراً وَباطِناً فَخَسِرَ هُوَ بِكِذْبِهِ عَلى مَعْنى لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْ صِدْقِ آدَمَ عليه السلام عَلى بَقاءِ الأَبَدِ.

وَأَفادَ آدَمَ عليه السلام بِتَصْديقِهِ كِذْبَهُ بِشَهادَةِ الْمَلائِكَةِ بِنَفْيِ عَزْمِهِ عَمّا يُضادُّ عَهْدَهُ فِي الْحَقيقَةِ عَلى مَعْنى لَمْ يَنْتَقِضْ مِنِ اصْطِفائِهِ بِكِذْبِهِ شَيْئاً.

فَالصِّدْقُ صِفَةُ الصّادِقِ، وَحَقيقَةُ الصِّدْقِ ما يَقْتَضي تَزْكِيَةَ اللّهِ لِعَبْدِهِ كَما ذَكَرَ عَنْ صِدْقِ عيسى عليه السلام فِي الْقِيامَةِ بِسَبَبِ ما أَشارَ اِلَيْهِ مِنْ صِدْقِهِ وَهُوَ مِرْآةٌ لِلصّادِقينَ مِنْ رِجالِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فقال اللّه تعالى: ﴿هذا يَوْمُ يَنفَعُ الصّادِقينَ صِدْقُهُمْ﴾[2] وَقالَ أَميرُالْمُؤْمِنينَ عليه السلام:

اَلصِّدْقُ سَيْفُ اللّهِ في أَرْضِهِ وَسَمائِهِ أَيْنَما أَهْوى بِهِ نَفَذَ، فَإِذا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَصادِقٌ أَنْتَ أَمْ كاذِبٌ فَانْظُرْ في قَصْدِ مَعْناكَ وَغَوْرِ دَعْواكَ وَعَيِّرْهُما

١ـ طه ٢٠: ١١٥.

٢ـ المائده ٥: ١١٩.

بِقِسْطاسٍ مِنَ اللّهِ عَزَّوَجَلَّ كَأَنَّكَ فِي الْقِيامَةِ. قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾[1] فَإذا اعْتَدَلَ مَعْناكَ بِدَعْواكَ ثَبَتَ لَكَ الصِّدْقُ.

وَأَدْنى حَدِّ الصِّدْقِ أَنْ لا يُخالِفَ اللِسانُ القَلْبَ ولا القلبُ اللسانَ.

وَمَثَلُ الصّادِقِ المَوْصُوفِ بِما ذَكَرْنا كَمَثَلِ النّازِعِ رُوحَهُ إِنْ لَمْ تَنْزِعْ فَماذا يَصْنَعُ؟!

١ـ الأعراف ٧: ٨

«اَلصِّدْقُ نُورٌ مُتَشَعْشِعٌ في عَالَمِهِ، كَالشَّمْسِ يَسْتَضيءُ بِها كُلُّ شَيْءٍ بِمَعْناهُ مِنْ غَيْرِ نُقْصانٍ يَقَعُ عَلى مَعْناهُ»

حقيقة الصدق:

الصدق واقعية مهمة جداً، واتساع شعاع نورها بسعة عالم الخلقة، وبانبساط الغيب والشهود.

وكما ذكر الإمام الصادق عليه السلام في الجملة الأولى من الرواية فإن الصدق نور وضياء، ولهذه الحقيقة أهمية خاصة بين الفضائل.

فالإنسان الصادق منشأ للخير وبعيد عن الشر والشرور، والناس تستفيد من بركات وجوده.

ويحث القرآن الناس على التزام الصادقين في جميع شؤون الحياة حيث يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1].

ويرى القرآن أن للصدق قيمة كبيرة لدرجة أن صدق الصادقين سوف ينفعهم يوم القيامة:

١ـ التوبة ٩: ١١٩.

﴿هذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[١].

أهل الصدق في القرآن:

يرى القرآن أن شعاع الصدق يتسع للاعتقاد والعمل والقول، وأن نجاة الإنسان في الدنيا والآخرة تكمن في الاعتقاد الصادق، والعمل الصادق، والقول الصادق.

ولابد هنا من بحث مسألة الصدق المهمة في أبعادها الثلاثة: الإيمان والعمل والقول، وذلك من خلال آيات القرآن الكريم، كي يتبين من هو العبد الحقيقي والعاشق الواقعي والعارف الحرّ؟ وأقسم بالله أنه لاطريق إلى حريم قربه تعالى إلا من خلال طريق الصدق في العقيدة والعمل والقول، فأولئك الذين وصلوا وطووا منازل العرفان ومدارج الكمال إنما فعلوا ذلك من طريق الصدق، وأولئك الذين تخلوا من الرذائل وتحلوا بالفضائل، ووصلوا إلى حيث لم يعودوا يرون غير المحبوب، ولايتحدثون عن غير المحبوب، ولايعملون لغير المعشوق، إنما وصلوا إلى ذلك من خلال الصدق، وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم بعنوان الصدّيقين وذلك لما اطلع عليه تعالى من صدقهم في جميع مجالات حياتهم، وفي ظاهرهم وفي باطنهم، وفي إيمانهم وعملهم وقولهم:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً﴾[٢].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً﴾[٣].

١ـ المائدة ٥: ١١٩.

٢ـ مريم ١٩: ٤١.

٣ـ مريم ١٩: ٥٦.

﴿مَاالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾[١].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهَ وَرُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾[٢].

﴿فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[٣].

والمقصود بالصدِّيقين في الآيتين الأخيرتين هم الأنبياء والأئمة عليهم السلام والكُمَّل من الأولياء والذين تمت تربيتهم في مدرسة الحق والحقيقة، وهذا طريق مفتوح لكل أحد، ومقام من شأن جميع المكلفين اكتسابه، ولكنه مع الأسف فإن أكثر الناس يُقصِّرون في تحصيل هذا المقام الملكوتي العظيم !.

فأغلب الناس يضيعون أوقاتهم في جمع المال ومجالسة أهل المعاصي، والخوض في الباطل واللهو واللعب، والنوم والأكل والشهوة، ولهذا فإنه لاتظهر عليهم آثار تلك الحقائق.

الصدق في الإيمان:

يرى القرآن الكريم أن الإيمان الذي يرافقه اليقين، ويكون سبباً لعشق الإنسان للحق، ومحركاً له للتحلي بالأخلاق الحسنة والتزام العمل الصالح، يكون صادقاً، والذي يملك مثل هذا الإيمان هو من أهل الصدق:

١ـ المائدة ٥: ٧٥.

٢ـ الحديد ٥٧: ١٩.

٣ـ النساء ٤: ٦٩.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[١].

وكذلك يبين القرآن في سورة البقرة الصفات الإيمانية والعملية والأخلاقية لأهل الإيمان خلال خمس عشرة مرحلة، ومن ثم يقول في نهاية الآية الشريفة بأن من كانت فيه تلك الصفات هو من أهل الصدق:

﴿أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوْا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٢].

إن الصدق في الإيمان كنز ثمين، وبضاعته غالية جداً، فأشخاص مثل سلمان وأبي ذر والمقداد ورشيد وحجر وعمَّار وبلال وميثم وكميل و... إنما وصلوا إلى تلك المقامات الملكوتية العالية بواسطة الصدق.

كثيرون من الناس قد رأوا النبيﷺ وحضروا مجلسه وأظهروا الإيمان، ولكن الله تعالى يرُدُّ بشكل صريح في القرآن ادعاءهم الإيمان، ويذكرهم على أنهم غير مؤمنين، أو منافقون، أو كاذبون، فلاحظوا الآيات التالية:

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٣].

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ وَاللّهُ

١ـ الحجرات ٤٩: ١٥.

٢ـ البقرة ٢: ١٧٧.

٣ـ الحجرات ٤٩: ١٤.

﴿يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[١].

فالمنافقون يبادرون للعبادة والعمل الصالح رياءً وطمعاً بالمنافع الدنيوية، ولكنه باعتبار أنه لاإيمان لهم ولاإخلاص ولا اعتقاد صحيح لديهم، فإنه لاقيمة لتلك العبادة والعمل عند الله تعالى، ولاينفعهم هذا شيئاً يوم القيامة، فعمل المؤمن رحمة بينما عمل المنافق نقمة.

وصلاة المنافق تكون بعد نزاع وجدال مع الله، ومن أجل المكر والخديعة والاحتيال، بينما صلاة المؤمن تكون للوصول إلى مقام القرب، والفوز بالنجاة يوم القيامة.

يقول «مولوي» في ديوانه «مثنوي معنوي»:

يأتي المنافق إلى الصلاة مع الموافق لكن بعد نزاع وجدال لامن باب الاحتياج.

في الصلاة والصوم والحج والزكاة يشترك المؤمنون مع المنافق في الربح والخسارة.

أما المؤمنون فعاقبتهم الفوز وأما المنافق فيخسر في الآخرة.

كل منهما يذهب إلى مقامه وكل منهما يذهب إلى مايطابق اسمه.

فإذا نادوا المؤمن منهما طربت روحه وأما المنافق فيصبح وقوداً لجهنم.

الصدق في العمل:

عندما يتحقق اليقين نتيجة المعرفة بحقائق الوجود، وخاصة وجوده تعالى، ويُسَلِّم القلب بشؤونه تعالى، ويتعلق الفؤاد بمحبوبه بعشق، ويحس الإنسان بكل

١ـ المنافقون ٦٣: ١.

وجوده بتحقق القيامة ويوم الحساب والذي هو وعد المحبوب، فإن عمله وسعيه وجهده يصبح مبنياً حينئذ على هذه الحالات الملكوتية والواقعيات الربانية، ويتجلى نور الإيمان بالحق والقيامة والنبوة والولاية في جميع حركاته، ويقال للعمل حينئذ بأنه عمل صادق.

فالصدق في العمل معناه أن يكون العمل كله مستغرقاً في نور الإيمان والإخلاص، ويكون فعل الإنسان بأمره تعالى ومن أجله.

وإذا كان نظام العمل مبنياً على هذا الأساس عند جميع الناس، فإنه لن يبقى هناك من أثر للشر والشرور والمفاسد والخبائث، لأن كل هذه الرذائل نتيجة العمل الفاقد للنور والسعي لغير الله.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِي مِن لَدُنكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾[1].

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[2].

﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[3].

١ـ الإسراء ١٧: ٨٠.

٢ـ الأحزاب ٣٣: ٢٣.

٣ـ الحشر ٥٩: ٨.

كم هي لذيذة دنيا الصدق، وأي شجرة مثمرة هو الصدق، وأي واقعية جميلة، وأي واقعية لذيذة وحال معنوية ثمينة. فليت جميع الناس يبنون إيمانهم وعملهم وأخلاقهم وأقوالهم وسلوكهم على أساس الصدق، كي تتحقق معنى الجنة في الآخرة على هذه الدنيا أيضاً.

إن الذي يعيش من دون تزوير ولارياء، وبدون خداع واحتيال، ودون مكر وغش وحقد، بل بإخلاص وصفاء ونقاء وإيمان، ومتحلياً بالمحاسن، ومتخلياً عن الرذائل، ولاهدف له من حياته سوى جلب رضا الله، هو من أهل الصدق، فهو صادق في سعيه وحركته في سبيل المحبوب، ولايهاب في هذا السبيل من تقديم رأسه وسفك دمه.

الصدق في القول:

للصدق في القول قيمة كبيرة لايدركها أحد، فأفضل الكلام في عالم الخلقة هو الكلام الصادق، ولو أن جميع الناس يصدقون بعضهم مع بعض لما وقعت مشكلة لأحد من الناس.

والأساس والمنشأ الأولي للصدق هو الإيمان بالله، وسلامة القلب من شوائب الشرك والرذائل الأخلاقية، ولايمكن تحصيل لسان الصدق الذي تطرحه آيات القرآن الكريم إلا من خلال الإيمان والتوكل على الله.

والكاذب إما أنه بلاإيمان، أوضعيف، أو خائف، أو محتال يغش.

وأما الصدق والصادق فهي صفة الأنبياء وأولياء الله، وإذا أردت أن تكون في ذلك الصف فقم بتحلية لسانك بالصدق، واجتنب الكلام غير الحق في جميع الأمور، فالصادقون يحبهم الله تعالى، ومقامهم ملكوتي كمقام الملكوتيين.

فتعالوا لنكن صادقين مع الله ومع جميع الناس، وفي جميع الأمور، ولانعرض عن باب النجاة هذا بأي صورة كانت.

إن الصدق سبب نورانية القلب، وعلة ضياء الروح، وهو الذي يوصل الإنسان إلى منشأ الكمالات، يعني الله تعالى.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾[1].

ويهاجم القرآن بشدة أولئك الذين تخالف ألسنتهم قلوبهم، ويسميهم بالمنافقين في آيات عديدة.

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[2].

أهل الصدق في الروايات:

الذين تكون ألسنتهم صادقة هم أهل الإيمان والصفاء والإخلاص، ويتضح من صدقهم في قولهم وكلامهم أنهم قد ارتبطوا بالله تعالى بحب. ولهذا نجد أن الأئمة الطاهرين عليهم السلام قد حثوا الناس في الروايات والأحاديث التي وصلتنا منهم على معاشرة الإنسان الأمين والصادق، لأن الأمين والصادق في القول يكون مصدراً للبركة ومنشأ للرحمة واللطف.

عَنْ أَبي عَبْدِاللّهِ عليه السلام قالَ: «لا تَغْتَرُّوا بِصَلاتِهِمْ وَلا بِصِيامِهِمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ رُبَّما لَهِجَ بِالصَّلاةِ وَالصَّوْمِ حَتّى لَوْ تَرَكَهُ اسْتَوْحَشَ

١ـ مريم ١٩: ٥٠.

٢ـ الفتح ٤٨: ١١.

وَلَكِنْ اخْتَبِرُوهُمْ عِنْدَ صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَداءِ الأَمانَةِ»[١].

عَنْ أَبي عَبْدِاللّهِ عليه السلام: «مَنْ صَدَقَ لِسانُهُ زَكى عَمَلُهُ»[٢].

عَنْ أَبي عَبْدِاللّهِ عليه السلام قالَ: «كونوا دُعاةً لِلنّاسِ بِالْخَيْرِ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِكُمْ لِيَرَوْا مِنْكُمُ الأِجْتِهادَ وَالصِّدْقَ وَالْوَرَعَ»[٣].

وَقالَ عليه السلام: «أَحْسَنُ مِنَ الصِّدْقِ قائِلُهُ وَخَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ فاعِلُهُ»[٤].

الصدق نور يتلألأ في عالم المعنى، ويضيء كل باطن الإنسان وظاهره، فهو كالشمس تمنح النور لكل ماكان تحت دائرتها، ولاينقص هذا العطاء للنور شيئاً من ذلك المنبع ولايضعفه.

١ـ الكافي: ١٠٤/٢، باب الصدق وأداء الأمانة، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٢/٦٨، باب ٦٠، حديث ٢.

٢ـ الكافي: ١٠٤/٢، باب الصدق وأداء الأمانة، حديث ٣؛ بحار الأنوار: ٢٠٩/٧٥، باب ٢٣، حديث ٨٣.

٣ـ الكافي: ١٠٥/٢، باب الصدق وأداء الأمانة، حديث ١٠؛ وسائل الشيعة: ١٦٢/١٢، باب ١٠٨، حديث ١٥٩٥٥.

٤ ـ مجموعة ورام: ٧٥/٢؛ بحار الأنوار: ٩/٦٨، باب ٦٠، حديث ١٤.

«وَالصّادِقُ حَقّاً هُوَ الَّذي يُصَدِّقُ كُلَّ كاذِبٍ بِحَقيقَةِ صِدْقِ ما لَدَيْهِ وَهُوَ الْمَعْنَى الَّذي لا يُسْمَعُ مَعَهُ سِواهُ أَوْ ضِدُّهُ مِثْلُ آدَمَ عليه السلام صَدَّقَ إِبْليسَ في كِذْبِهِ حينَ أَقْسَمَ لَهُ كاذِباً لِعَدَمِ ما بِهِ مِنَ الْكِذْبِ في آدَمَ عليه السلام قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[1].

وَلأَنَّ إِبْليسَ أَبْدَعَ شَيْئاً كانَ أَوَّلَ مَنْ أَبْدَعَهُ وَهُوَ غَيْرُ مَعْهودٍ ظاهِراً وَباطِناً فَخَسِرَ هُوَ بِكِذْبِهِ عَلى مَعْنى لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْ صِدْقِ آدَمَ عليه السلام عَلى بَقاءِ الأَبَدِ. وَأَفادَ آدَمُ عليه السلام بِتَصْديقِهِ كِذْبَهُ بِشَهادَةِ الْمَلائِكَةِ بِنَفْيِ عَزْمِهِ عَمّا يُضادُّ عَهْدَهُ فِي الْحَقيقَةِ عَلى مَعْنى لَمْ يَنْتَقِضْ مِنِ اصْطِفائِهِ بِكِذْبِهِ شَيْئاً»

نور الصدق:

إن الإنسان المتحلي بالصدق، وبمقتضى صدقه فإنه لايرى الكذب والخداع في الأشخاص الكاذبين، فيحمل أعمالهم على الصحة والصدق.

فيصدق مايظهرونه. نعم، فهذا هو نور الصدق وحقيقة المعنى، ولايتوقع منه غير ذلك.

١ـ طه ٢٠: ١١٥.

وذلك كما صدَّق آدم عليه السلام إبليس في كذبه، لأنه أقسم يميناً فصدقه آدم، لأنه لم يكن في وجود آدم أثر من الكذب والخداع.

يقول الله تعالى في سورة طه:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾.

وكان إبليس أول من استخدم الكذب والخداع، ولم يكن لذلك من سابقة في الظاهر والباطن، وقد خسر إبليس بسبب خيانته، ولم ينتفع من صدق آدم وصفائه ونقائه في سبيل إغوائه، ولم يخرجه من حالة الصدق والروحانية التي كان فيها بسبب كذبه الذي أظهره حول مسألة خلوده في الجنة.

وأما صفة الصدق في آدم عليه السلام، فقد كانت نافعة له، لأنه بسبب صدقه لم يجعل لغير الصدق سبيلاً إلى نفسه، ولم يحتمل في إبليس الكذب، وصدَّق كذبه الذي كان في ظاهره صدقاً.

وهذا هو مايخبر عنه تعالى: بأننا لم نجد عند آدم شيئاً مخالفاً للعهد الذي عهدنا به إليه، فهو لم يقصد العصيان أبداً، ولهذا فإنه لم ينقص من مقام اصطفائه شيئاً بسبب احتيال وكذب إبليس.

«فَالصِّدْقُ صِفَةُ الصّادِقِ، وَحَقيقَةُ الصِّدْقِ ما يَقْتَضي تَزْكِيَةَ اللّهِ لِعَبْدِهِ كَما ذَكَرَ عَنْ صِدْقِ عيسى عليه السلام فِي الْقِيامَةِ بِسَبَبِ ما أَشارَ اِلَيْهِ مِنْ صِدْقِهِ وَهُوَ مِرْآةٌ لِلصّادِقينَ مِنْ رِجالِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فقال اللّه تعالى: ﴿هذا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[1]»

صفة الصادق:

الصدق صفة من الصفات الإنسانية الملكوتية العالية، وتحصل هذه الحقيقة الإلهية على أثر التهذيب والتزكية، وكذلك فإن حصول الصدق سبب للتزكية وبراءة الإنسان من السيئات وقبائح الأعمال، وذلك كما أن عيسى عليه السلام ونتيجة ظهور صدقه فقد أتت تزكيته وتبرئته من الله تعالى، ووقع مورد المدح، وأصبح مرآة للصادقين من أمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

يقول الله تعالى بأن الصادقين سوف ينتفعون من صدقهم يوم القيامة.

وبمقدار مايكون الصدق راسخاً مستقراً في وجود الإنسان فإنه يحصل على تزكية وطهارة بنفس ذلك المقدار.

---

١ ـ المائده ٥: ١١٩.

«وقالَ أَميرُالْمُؤْمِنينَ عليه السلام: اَلصِّدْقُ سَيْفُ اللّهِ في أَرْضِهِ وَسَمائِهِ أَيْنَما أَهْوى بِهِ نَفَذَ، فَإِذا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَصادِقٌ أَنْتَ أَمْ كاذِبٌ فَانْظُرْ في قَصْدِ مَعْناكَ وَغَوْرِ دَعْواكَ وَعَيِّرْهُما بِقِسْطاسٍ مِنَ اللّهِ عَزَّوَجَلَّ كَأَنَّكَ فِي الْقِيامَةِ. قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾[1] فَإذا اعْتَدَلَ مَعْناكَ بِدَعْواكَ ثَبَتَ لَكَ الصِّدْقُ.

وَأَدْنى حَدِّ الصِّدْقِ أَنْ لا يُخالِفَ اللِسانُ القَلْبَ ولا القلبُ اللسانَ.

وَمَثَلُ الصّادِقِ المَوْصُوفِ بِما ذَكَرْنا كَمَثَلِ النّازِعِ رُوحَهُ إِنْ لَمْ تَنْزِعْ فَماذا يَصْنَعُ؟ !»

ميزان الصدق:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام بأن الصدق سيف قاطع يظهر في عباد الله الخاصين بعنايته تعالى، وهو نافذ وقاطع أينما وقع.

وإذا أردت أن تعلم أنك من الصادقين أم من الكاذبين، فلابد لك من التدقيق في باطنك وسلوكك وأعمالك، وتزن قلبك وظواهرك بميزان العدل الإلهي وهو

١ـ الأعراف ٧: ٨

القرآن والنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فتعرض نفسك على القوانين الإلهية بدون تحيز، وكأنك قد حضرت أمام محكمة العدل الإلهي يوم القيامة، والله تعالى يقول:

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

فإذا كان أمرك من جهة الأفكار والعقائد والأخلاق قائماً على أساس العدل والصحة، وكان ادعاؤك مطابقاً لباطنك، فإن مقام الصدق يكون ثابتاً لك، وهذه أقل مرتبة الصدق وهي أن لايكون هناك اختلاف بين اللسان والقلب.

والشخص الصادق بالشكل الذي ذكرناه تكون حاله كحال الإنسان المحتضر، فهو شاء أم أبى متوجه إلى عالم المعنى، وقد تخلى عن عالم المادة والصورة، فكذلك الإنسان الصادق فهو في جميع أحواله وأقواله وأفكاره تابع للصدق مئة بالمئة، وقد أعرض عن التظاهر والتنازع والدعوى وشهوات الناس.

كمال الصدق:

يقول الملا عبد الرزاق اللاهيجي:

اعلم أن كمال الصدق لايحصل في الإنسان إلا بوجود الصدق في أمور أربعة:

الأول: صدق اللسان، بأن يكون صادقاً في كل مايقوله وكل مايخبر عنه، سواء كان مع الله أم مع الخلق، وسواء كان عن الماضي أم عن المستقبل، فيكون

١- الأعراف: ٧: ٨.

صادقاً في كل ذلك، وبناءً على هذا، فمع وجود الميل إلى الدنيا والرغبة فيها، يكون قول:

﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[١].

وقول:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢].

وأمثال ذلك من الآيات والأدعية كذباً.

الثاني: صدق النية، فالصدق الحقيقي والصحيح والتحقيقي يقتضي عدم لحاظ غير الله في نية أي فعل وطاعة وعبادة، ولايدخل في نية التقرب إليه تعالى غيره، وإلا يكون كاذباً في تلك النية.

الثالث: صدق العزم، فيكون عزمه بأنه لو أوكلت إليه ولاية منطقة من المناطق فإنه سيكون عادلاً، وأنه لو أصبح صاحب ثروة وأموال فإنه سيكون محسناً لأهل الحاجة والضعفاء، وأنه لو رأى أحداً أولى منه في القضاء وفي تولي أمور منطقة ما أو في التدريس فإنه سوف يرجع الولاية والتدريس إليه.

الرابع: صدق المقامات، بمعنى أن يطلب في كل مقام من المقامات الستة، وهي الزهد، والمحبة، والتوكل، والخوف، والرجاء، والرضا، حقيقة ذلك المقام، ولايرضى بالمرتبة الضعيفة منه، ويكون كاملاً في كل مقام من المقامات

١ـ الأنعام ٦: ٧٩.

٢ـ الفاتحة ١: ٥.

المذكورة، فإذا كان خلاف ذلك، ورضي بالمرتبة الناقصة من هذه المراتب فإنه يكون كاذباً وغير صادق.

المحتويات

الباب (٦٤) في آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٩

الهدف من بعثة الأنبياء: ١٠

إصلاح النفس: ١٢

اتباع هوى النفس: ١٣

هوى النفس في الآيات والروايات: ١٤

مجاهدة النفس في الآيات والروايات: ١٥

النفس هي الحجاب بين العبد والحق: ١٦

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن: ١٧

مفاد آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ١٩

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الروايات: ٢١

أهلية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٢٧

شرائط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر: ٣١

الباب(٦٥) في الخوف والخشية من الله

حقيقة الخوف من الله: ٣٨
آفات العلم: ٤٠
أشقى الناس: ٤٤
العالم الحقيقي في كلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ٤٥
العالم هو طبيب الروح: ٤٧

الباب(٦٦) في آفة قرّاء القرآن

عظمة القرآن: ٥٤
دعاء الشروع بقراءة القرآن: ٥٥
شرح الصدر بالقرآن: ٥٦
البدن والقرآن: ٥٧
البصيرة بالقرآن: ٥٨
اللسان والقرآن: ٥٨
الاستعانة بالحق: ٥٨
وصايا الإمام علي عليه السلام تجاه القرآن: ٥٨
التوسل بالقرآن: ٥٩
القرآن في كلام الملا محسن فيض: ٦١
حقيقة القرآن وفضله: ٦٤
القرآن في نهج البلاغة: ٦٦

أسماء وصفات القرآن: ٦٧
القرآن والحقائق الملكية والملكوتية: ٦٩
معرفة الله: ٧٠
طريق الوصول إلى الحق تعالى: ٧١
رجوع الناس إلى الحق تعالى: ٧٢
التعريف بعشاق الحق: ٧٣
التعريف بمنكري الحق:٧٣
تبيين الصراط المستقيم: ٧٤
قرّاء القرآن الجهلة: ٧٤
عذاب القارئ الجاهل: ٧٧
القراء المنافقون: ٧٨
رضا الله في الطاعة: ٧٩
القارئ والخوف من الله: ٨١

الباب(٦٧) في بيان الحق والباطل

حقيقة التقوى: ٨٧
الحق في آيات القرآن: ٩٠
الله حق: ٩٠
خلق السماوات والأرض: ٩٠
بعثة الأنبياء وإرسال الرسل: ٩١
الكتب السماوية: ٩١

ماجاء من عند الله: ٩٢
كتمان الحق: ٩٢
الموت وسكراته: ٩٣
صيحة القيامة: ٩٤
القيامة: ٩٤
موازين الأعمال: ٩٤
قضاء الله: ٩٤
مواعد الله تعالى: ٩٥
العارفون بالحق: ٩٦
الهوى مانع من الوصول إلى الله: ٩٨
الهوى بنظر الإمام علي عليه السلام: ١٠٠
التقوى ميزان العلم والحكمة: ١٠٧
التقوى سبب للوصول إلى الحقائق: ١١٣
إحاطة القدرة الإلهية: ١١٦

الباب(٦٨) في معرفة الأنبياء

نبوة الأنبياء: ١٢٢
مفاد رواية هذا الباب: ١٢٥
الأنبياء أهم احتياجات الإنسان: ١٢٨
ولاية الفقيه: ١٣١
آيات الهداية في القرآن الكريم: ١٣٢

الحكومة في القرآن: ١٣٤
حكومة داوود: ١٣٤
حكومة إبراهيم وذريته: ١٣٥
حكومة الفقهاء: ١٣٦
الحكومات غير الإلهية: ١٣٧
وظيفة الناس تجاه حكومة الكفر: ١٣٩
دليل آخر على حاجة الإنسان الضرورية للأنبياء: ١٣٩
خصائص الأنبياء الإلهيين وصفاتهم: ١٤٢
أفضلية الأنبياء: ١٤٣
معجزات الأنبياء: ١٤٤
علم الأنبياء وحكمتهم: ١٤٦
عالم المعقول والمحسوس: ١٤٨
عالم الملك والملكوت: ١٤٩
علم الإنسان وعمله: ١٥١
صفات الأنبياء في كلام الملا صدرا: ١٥٢
محبة الأنبياء وكرامة الإنسان: ١٥٤
إقامة الحدود الإلهية: ١٥٥
خصائص الأنبياء: ١٥٧
يوسف عليه السلام في مرآة الواقعية: ١٥٩
الحوار بين يوسف عليه السلام وزليخا: ١٦٠
نفحة من تعاليم الأنبياء السامية: ١٦٣
العالم الكبير والعالم الصغير: ١٦٣

الإحاطة بظاهر الوجود وباطنه: ١٦٥
الأسماء الإلهية: ١٦٧
إحصاء الأسماء الإلهية: ١٦٨
عظمة الخالق وحقارة المخلوق: ١٧٠
العبادة والعبودية من أجل ارتقاء الإنسان: ١٧١
الصلاة والذكر: ١٧١
التنازل عن مال الدنيا: ١٧١
الصوم واجتناب الرذائل: ١٧١
الاعتبار من الماضين: ١٧٢
الاعتبار من السابقين في نهج البلاغة: ١٧٢
أوامر الأنبياء للناس: ١٧٥
بشارة الكتب السماوية بنبي الإسلام والأئمة الطاهرين: ١٧٨
النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في التوراة: ١٨١
النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في الإنجيل: ١٨١
النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام عند اليهود: ١٨٢
النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في كلام سليمان عليه السلام: ١٨٤
بشارة كبار علماء الجاهلية بظهور نبي الإسلام صلى الله عليه وآله: ١٨٤
شعر «أديب الممالك» في ولادة النبي صلى الله عليه وآله: ١٨٦
كرامة لآية الله الحائري مرتبطة بشعر «أديب الممالك»: ١٨٧
أسماء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ١٨٨
أخلاق النبي صلى الله عليه وآله و صفاته: ١٨٩
أخلاق النبي صلى الله عليه وآله في القرآن: ١٩٠

عظمة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله: ١٩٢
أخلاق النبي صلى الله عليه وآله في الروايات: ١٩٦
مقام جمع الجمع للنبي صلى الله عليه وآله : ١٩٩
النبي صلى الله عليه وآله في كلام الملا صدرا: ٢٠١
حكم النبي صلى الله عليه وآله وتوجيهاته الأخلاقية: ٢٠٢
أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وأتباعه الواقعيون: ٢٠٦
سلمان الفارسي: ٢٠٦
أبو ذر الغفاري: ٢٠٨
المقداد بن الأسود: ٢٠٩
بلال الحبشي: ٢٠٩
جابر بن عبد الأنصاري: ٢١٠
فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ٢١١
بعض كلمات الزهراء عليها السلام الحكيمة: ٢١٩
من أدعية الزهراء عليها السلام بنقل السيد ابن طاووس: ٢٢٠
الحياة المادية بنظر الزهراء عليها السلام: ٢٢٣

الباب(٦٩) في معرفة الأئمة الطاهرين عليهم السلام

الإمامة والولاية: ٢٣١
الإمامة والولاية في كلام الإمام الرضا عليه السلام: ٢٣٥
الشيعة في الإسلام: ٢٣٧
الراسخون في العلم: ٢٣٩

الإمامة والولاية في كلام الإمام السجاد عليه السلام: ٢٤١
الخلافة المباشرة (بلافصل) لأمير المؤمنين عليه السلام: ٢٤٧
أسانيد حديث الغدير عند كبار أهل السنة: ٢٥٤
المؤرخون من أهل السنة: ٢٥٤
المحدّثون: ٢٥٥
المفسرون والمتكلمون وسائر العلماء: ٢٥٨
أسانيد حديث الغدير عند كبار الشيعة: ٢٦٠
الخطبة الشقشقية: ٢٦٢
أنوار من شخصية مولى الموحدين عليه السلام: ٢٦٤
أزهد الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله: ٢٦٨
قميص الإمام علي عليه السلام: ٢٦٨
طعام الإمام علي عليه السلام: ٢٦٩
الإمام علي عليه السلام والخياط: ٢٧٠
سيف الإمام علي عليه السلام: ٢٧١
بيت المال والإمام علي عليه السلام: ٢٧١
إطعام الإمام علي عليه السلام: ٢٧٢
إنفاق الإمام علي عليه السلام: ٢٧٣
علم الإمام علي عليه السلام: ٢٧٤

الباب (٧٠) في بيان حرمة المسلمين

حرمة المسلمين: ٢٨٢

إجلال ذي القربى: ٢٨٤
تكفير المسلمين: ٢٨٥
حرمة المسلمين في الروايات: ٢٨٦
حق المؤمن على المؤمن: ٢٨٩
الشيعي الواقعي: ٢٩٠
إدخال السرور على المؤمن: ٢٩٢
قضاء حاجة المؤمن: ٢٩٢
أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وآله: ٢٩٤
معاشرة الناس: ٢٩٤

الباب(٧١) في برِّ الوالدين

برُّ الوالدين: ٣٠١
حقوق الوالدين في القرآن: ٣٠٣
حقوق الوالدين في الروايات: ٣٠٦
حق الجهاد أم حق الأم: ٣٠٦
قصة «جريح» وأمه: ٣٠٧
رضا الله في رضا الأم: ٣١٠
آلام الاحتضار: ٣١٠
والدا النبي صلى الله عليه وآله: ٣١٢
حقوق الوالدين في كلام العلامة المجلسي رحمه الله: ٣١٣
سبب قطع الرجل: ٣١٤

الإسلام والنصراني وخدمة الأم: ٣١٤
حقوق الأبناء على الوالدين: ٣١٦

الباب(٧٢) في بيان الموعظة

حقيقة التبليغ والموعظة: ٣٢٣
تبليغ الأنبياء عليهم السلام: ٣٢٤
تبليغ أولياء الله: ٣٢٥
تضحية ابن السكيت: ٣٢٦
مكانة الوعظ والتبليغ: ٣٢٩
تبليغ المحدث القمي: ٣٢٩
التضرع الخالص للشيخ جعفر كاشف الغطاء: ٣٣٠
تنبه الناس في التبليغ: ٣٣٢
موعظة الميرزا مهدي الأصفهاني: ٣٣٤
التظاهر بطهارة الباطن: ٣٣٦
المتعظ المستعد: ٣٣٧
الاتعاظ من الحيوان: ٣٣٨
موعظة من الفقيه الخراساني: ٣٣٩
المجالسة والصداقة: ٣٤٢
خصال الرفيق والجليس: ٣٤٣

الباب(٧٣) في الوصايا

أفضل الوصايا: ٣٥٠
الوصية بالتقوى: ٣٥٣

الباب(٧٤) في الصدق

حقيقة الصدق: ٣٦١
أهل الصدق في القرآن: ٣٦٢
الصدق في الإيمان: ٣٦٣
الصدق في العمل: ٣٦٥
الصدق في القول: ٣٦٧
أهل الصدق في الروايات: ٣٦٨
نور الصدق: ٣٧٠
صفة الصادق: ٣٧٢
ميزان الصدق: ٣٧٣
كمال الصدق: ٣٧٤
المحتويات: ٣٧٨